جامعة القديس يوسف
كلية الآداب والعلوم الانسانية
فرع الآداب العربية



أبو سلمى الاديب الانسان

رســـالة ماجستير

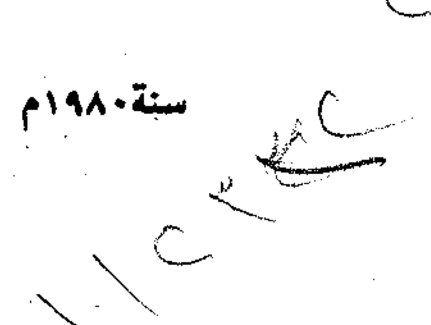
أعدهـــا

مصطفى محمـــد الفـــار

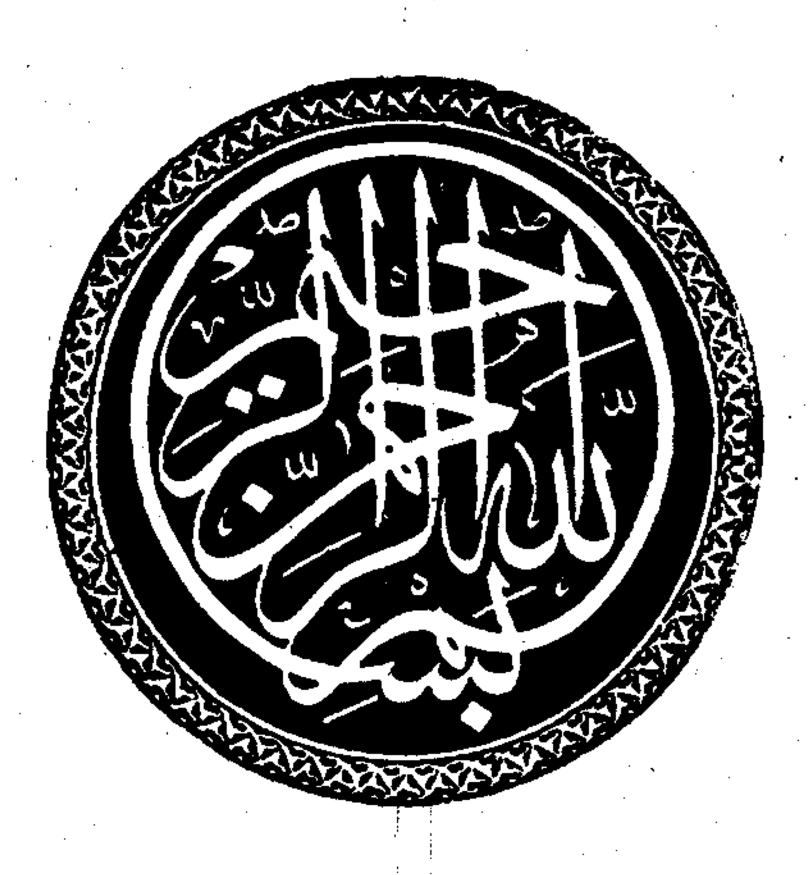


واشرف عليها

الاستاذ الدكتور أسعد احمد علي



سنة ١٩٨٠م


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

يحتل عبدالكريم الكرمي الملقب بأبي سلمى من تاريخ الشعر العربـــي المعاصر مكانة بارزة ، فقد عاصر عدة اجيال قبل النكبة الفلسطينية وبعدهـا ، وهو احد ثلاثة شعراء فلسطينيين كانوا علامات خضراً في الشعر الفلسطيني قبـــل نكبة ١٩٤٨م وهم : ابراهيم طوقان وعبدالرحيم محمود ، وأبو سلمى .

وقد كان شغفي بشعر ابي سلمى واضحا منذ الصغر ، فشعره صادق غاضـــب ، وقد كان ابو سلمى في طليعة الشعراء الواقفين مع الشعب في نضاله في زمــــن كان فيه الشعراء يدبجون القصائد الطوال في مدح الملوك والامراء ، فكان ذلـــك من الاسباب التي اجتذبتني اليه ودفعتني الى الكتابة عنه .

كذلك ، من الدوافع التي حفزتني الى هذه الدراسة الأدبية حول أبي سلمى ، أن ما كتب عنه لا يعدو مجموعة من المقالات المتفرقة في المجلات الأدبية العربيـة الشهرية ، أو جزءا من دراسة شاملة للأدب والشعر الفلسطيني بعامة ، كدراســة الدكتور صالح الأشتر في شعر النكبــة الفلسطينية ، ودراسة الدكتور عبدالرحمن ياغي عن حياة الأدب الفلسطيني ، ودراسة الدكتور كامل السوافيرى عن الشـــعر العربي الحديث في مأساة فلسطين ، والاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيـــني ، ودراسة الدكتور ناصر الدين الاسد في الشعر الحديث في فلسطين والاردن ، ودراسة الدكتورة سلمى الخضراء الجيوسي عن الشعر العربي الحديث .

لكن هذه الدراسات الجزئية المتفرقة لم تفه حقه ، ولا تغني عن دراســة منهجية ترسم لأبي سلمى الشاعر ، والأديب صورة واضحة متكاملة ، يمكن من خلالهـــا دراسة شعره وأدبه دراسة شاملة متئدة تمتد من اواخر العشرينات حين كان فـــتى يافعا ، وحتى الآن وهو في شيخوخته بعد أن تخطى السبعين .

ولعل العامل الأهم ، هو أن الشاعر الفلسطيني وهو صوت شعبه ، ولســـان أمته ، كان له دور فاعل في مقاومة الاستعمار والصهيونية منذ نكبت بـــــلاده

بالانتداب البريطاني ، فكان سلاحا فتاكا من أسلحة المقاومة ضد سياسة التهويد والقمع ، وأبو سلمى عاش مرحلة ما قبل النكبة ، وأسهم بالكلمة المقاتلة والكفاح الدائب ضد العدوين اللدودين : الصهيونية والاستعمار ، كما عاش مرحلة ما بعد النكبة كمثقف ثوري ملتزم بتطلعات الجماهير ، فقد ظل يحمل وطنه فلسطين في كل جارحة من شعره سواء أكان عن طريق التبشير بالثورة أم بالوصف أم بتخليد الشهداء ، أم بتصوير لواعج الحنين في نفسه الى حبيبته وصباه ووطنه ، أم بشعره الناقم الساخط ضد القيد ، وضد العبيد ، وضد محن الانكسارات واحتلال الأرض والوطن ، وقد انتبهت له اللجنة الخاصة بجائزة " اللوتس " الأدبية المنبثقة عن منظمة الأدباء الأفرو آسيوية ومنحته جائزتها لعام ١٩٧٨ .

من أجل ذلك ، فان دراسة شعره وأدبه بصورة متكاملة تفيد في القاء مزيد من الضوء على مراحل النضال الفلسطيني باعتباره جزءا من حركات التحرر على الصعيدين العربي والعالمي ، فضلا عما يمكن أن تفيده مثل هذه الدراسة في القاء الضوء على انسانيته وانسانية أشعاره وممارساته .

انطلاقا من هذه العوامل والافكار عولت على اعداد هذه الدراسة الاكاديمية .

وحين شرعت في تحديد أطر هذه الدراسة ، ورسم معالمها وأبعادها ، كان الموضوع يبدو شائكا ، ولا يخلو من مشكلات كثيرة ، وجوانب متعددة ، فدراسة أبي سلمى وشعره تعني التعرض لتجربة معاصرة ما تزال تنتج وتعطي ، وفي ذلك ما فيه من صعوبة في الاستقصاء والمتابعة .

وقد كان من بين الصعوبات التي واجهتني في هذه الدراسة : فقد أبي سلمى للكثير من آثاره القلمية شعرا ونثرا ، وفي أن معظم قصائده غير مرتبة تاريخيا الأمر الذي يجد الباحث من العسير عليه تتبع تطور الشاعر عبر المراحل المختلفة ، وقد استطعت أن أحصل على كثير من قصائده التي لم تتضمنها مجموعاته الشعرية ، وديوانه الكامل بعد أن قضيت سنوات ثلاثا في البحث والاستقصاء والاطلاع على الصحف الفلسطينية والعربية اليومية التي كانت موجودة قبل النكبة ،

وتحملت كثيرا من العناء في سبيل الحصول على نسخ منها كما استطعت الحصول على عدد كاف من مقالاته ، ومحاضراته ذات القيمة الفنية والتراثية ، وقد استعنت بعدد من أصدقائي لتزويدي ببعض المصادر البعيدة عن متناول يدي والتي لا يتوافر وجودها في المكتبات .

ولم تكن هذه الصعوبات هي الوحيدة التي واجهتني ، بل كان للأحداث الدامية المؤسفة التي وقعت في لبنان العزيز تأثير على اتصالاتي بأستاذي المشرف على هذه الأطروحة ، وبخاصة ابّان وجوده في لبنان .

وأمام مشكلة تحصيل المصادر ، والعثور عليها ، ومشكلة تنظيم الدراسات اللازمة للاعداد والبحث كان لا بد من تقسيمها الى فئات خمس اثبتها في مكانها من ثبت المصادر والمراجع .

الفئة الاولى : مصادر البحوث التاريخية والسياسية والاجتماعية في النكبة الفلسطينية .

الفئة الثانية : المجموعات الشعرية للشاعر ، ومؤلفاته ومجموعات الشعراء المعاصرين ودواوينهم .

الفئة الثالثة : مجموعة مختارة من كتب النقد والدراسات الأدبية أهمها التي تبحث في الأدب الفلسطيني ، فالكتب التي تبحث في الأدب والنقد العربي .

الفئة الرابعة : مجموعة من الصحف الفلسطينية والعربية والمجلات العربية الشهرية والاسبوعية .

الفئة الخامسة : الوثائق والمخطوطات التي حصلت عليها من الشاعر نفسه ومنها الرسائل التي تبادلها مع الادباء والشعراء مما تعتبر اكتشافا جديدا لم يسبق الاشارة اليه من قبل .

وقد قسمت هذه الدراسة الى أربعة فصول مهدت لها أولا بتمهيد يشتمل على البيئة العامة محاولا دراسة المجتمع الفلسطيني من سنة ١٩١٨ - ١٩٤٨ وهي المرحلة التي عاش فيها ابو سلمى طفولته وشبابه قبل النكبة " دراسة سياسية

واجتماعية وثقافية موجزة " ، لم يكن الهدف منها اعطاء صورة تاريخية مجملة عن هذه المرحلة ، مستخلصة من دراسات الباحثين والمؤرخين بقدر ما كان الهدف هو الكشف عن العوامل الهامة التي أثرت في تفكير الشاعر الأديب وتكوينه النفسي منذ نشأته حتى الوقت الحاضر ، وهذا ما دفعني لاتناول في الفصل الاول من هذه الدراسة حياة الأديب الشاعر ، وقد كانت هذه الدراسة بمثابة أرض صلبة وقفت عليها خلال تناولي لأبي سلمى وشعره ، كما كانت عاملا قويا في فهم آرائه ومبادئه وسلوكه وعلاقاته بمعاصريه .

في الفصل الثاني من هذه الدراسة تناولت فيه موضوعات شعره بالعرض والتحليل ، وفي الفصل الثالث تناولت الخصائص الفنية لشعره محاولا من خلال هذه الدراسة أن أضع أبا سلمى في موضعه الصحيح من تاريخ الشعر الفلسطيني بخاصة والعربي بعامة .

وفي الفصل الرابع حاولت تسليط الاضواء على نثر ابي سلمى " الذى ما زال مجهولا لدى الكثيرين " فأدرت البحث فيه في مجالين : مجال النقد الأدبي ، ومجال النقد الاجتماعي ، كما عرضت وحللت آثاره القلمية المطبوعة منها والمخطوطة ، وبينت قيمتها الأدبية والتاريخية .

ثم ختمت هذا الفصل بخاتمة أوجزت فيها السمات العامة التي تلوح في أدبه شاعرا وناثرا .

أما منهجي في هذه الدراسة فهو المنهج الفني الذى يتخذ من النص موضوعا للدراسة يحدد خصائصه ، ويوضح قيمته ، ويضيء جوانبه ، واستعنت بالمنهج التاريخي في النقد الذى يعتمد على الصلة الوثيقة بين الأدب والتاريخ ، ويرى أن أدب الأمة تعبير صادق عن حياتها وبيئتها وأن فهمه وتفسيره يتوقفان على معرفة تاريخها .

وبعد ، فقد جهدت جهدى في محاولة دراسة الأديب الشاعر أبي سلمى ، وكل ما أرجوه أن أكون وفيته حقه وقمت بشيء من الواجب تجاه هذا الشاعر

والأديب الانسان ، وتجاه الأدب العربي •

واني لأشكر لأستاذي الفاضل الدكتور أسعد احمد علي ما أسداه الـــي خلال اعدادي الأطروحة من ارشاد وعون ثمينين •

والله نسأل أن يبلغنا الغاية ويجنبنا الضـــلال •

مصطفى محمد الفـــار

تمهيـــــد

تحتل فلسطين موقع القلب من الوطن العربي فهي الجسر الذى يعبر منـــه العرب في آسيا الى اخوانهم في افريقيا ، وهي الطريق الطبيعي الذى يصل البحر المتوسط بالسهول الداخلية وصحارى شبه الجزيرة العربية •

لقد لعب هذا المركز المتوسط أدوارا كبيرة في حياة الوطن العربـــي خلال الفترات التاريخية ، فقد كانت فلسطين معبرا لغزوات كثيرة أتتها مـــن الشرق ومن الغرب • ففي العصور القديمة غزاها الفراعنة ومن أشهرهم تحتمس • ومن العراق غزاها سرجون الثاني الآشوري في القرن الثامن قبل الميلاد • ومـــن العراق أيضا غزاها بختنصر في القرن السادس قبل الميلاد ، وخرب القدس وأزال دولة العبرانيين الجنوبية ، ومن الفاتحين المشهورين الذين اتخذوا من فلسطين جسرا لهم : كورش الفارسي في القرن السادس قبل الميلاد والاسكندر المقدونـــي في القرن الرابع قبل الميلاد •

وفي العصور الوسطى لعبت فلسطين دورا خطيرا مماثلا • فمنها نزل عمرو ابن العاص الى مصر وفتحها ، ومنها تسلل الصليبيون الى مصر ، وعلى أرضهـــا جرت معارك اشترك فيها جنود الشام ومصر وألحقوا بالصليبيين والمغول هزائـــم ساحقـة •

يضاف الى ذلك ، أن فلسطين كانت طريقا موصلا بين مراكز الحضارة الاسلامية في الشرق والغرب ونعني بذلك بغداد والكوفة والبصرة ودمشق من ناحيـــة ، والقاهرة وتونس والقيروان ومراكش من ناحية أخرى •

ولم تكن فلسطين في عهد العرب دولة منفصلة بل كانت جزءا مـن وحـــدة أكبر(١) ، وقد كانت كذلك في عهد الرومان والدول التي سبقتهم ، وعندمـــا انتقلت فلسطين وسائر سورية الى الحكم العثماني في القرن السادس عشـــر ، ظلت حياة الشعب سائرة على وتيرتها الأولى دون أن تتغير وفقا للتقاليد الموروثة ،

---

(١) محمود الشرقاوى ـ المجتمع العربي ـ سلسلة اقرأ ـ دار المعارف القاهرة ط ١ ـ ١٩٦١ ص ٤٧ •

العرب عن الصهيونيين أنفسهم ، هذا في الوقت الذى كانت فيه المدارس اليهودية مستقلة في ادارتها وتوجيهها وتعيين مناهجها وبرامجها الدراسية .(١)

ولم تكتف حكومة الانتداب بكل ذلك ، بل عملت على تشريد ألوف العمال والمزارعين العرب الذين كانوا يطردون بالقوة من أراضيهم وأعمالهم ، ويقابلون بالرصاص في كل هبة أو محاولة للمقاومة أو التذمر للتعبير بالطرق المشروعة عن أحاسيسهم المكبوتة ، فامتلأت سجون فلسطين بأحرار العرب وشبابهم المناضل وسيطر على المجتمع الفلسطيني جو فظيع من الحكم الارهابي البوليسي الذى يستهدف العرب وحدهم ، بينما نعم اليهود الصهيونيون في حرية لا مثيل لها لتمكين دعائم استعمارهم الاجرامي .

وفي ظل هذه السياسة الاستعمارية ، تم لليهود ما أرادوه ، فقفز عددهم في فلسطين من (٥٥) ألفا عام ١٩١٨ الى أكثر من (٤٠٠) ألف عام ١٩٤٦ ثم الى (٧٥٠) ألف يهودى عام ١٩٤٧(٢) فسيطروا على مرافق البلاد ، وأقاموا مئات المستعمرات في جميع أنحاء فلسطين .

وفي هذه الفترة المشؤومة أزيلت اعشرات القرى العربية من الوجود وانتقلت مساحات شاسعة من الأراضي الى أيدى اليهود .

ولئن كان اليهود لم يستحوذوا - رغم جهودهم الحثيثة - الا على نحو (٧٪) من مجموع اراضي فلسطين ، الا أن ما تسرب من أيدى عرب فلسطين لا يزيد عن (٢٥٠،٠٠٠) دونم أى ثمن (١/٨) الأراضي التي تسربت الى أيدى اليهود(٣)، وكان وقوع الكثير منها في ظروف قاهرة ، اذ على الرغم من أن البلاد كانت في حال بؤس وفقر ، فقد عملت حكومة الانتداب على تحصيل الضرائب من الفلاح العربي بصورة ترهق كاهله ، كما عملت على تنزيل أسعار غلات البلاد تنزيلا عظيما وذلك بمنع اصدار الغلال والزيت الى الخارج كما استعمل اليهود

---

(1) A.L. Tibawi. Arab Education in Mandatory- Palestine - London - W.C.I 1956 P. 13.

(٢) اميل الغورى - المؤامرة الكبرى - دار النيل للطباعة - القاهرة ط ١ ١٩٥٥ ص ٤٣

(٣) أمين الحسيني - حقائق عن قضية فلسطين - القاهرة - ط ١ ١٩٥٤ ص ١١ - ١٢

سلاح المقاطعة في قتل الزراعة العربية .

ونتيجة لهذه السياسة المتحيزة من جانب حكومة الانتداب ، قام العرب الفلسطينيون بهبات وانتفاضات ، وشهدت جبال فلسطين وسهولها ووديانها أكثر من ثورة عربية ضد الاستعمار البريطاني والعدو الصهيوني ، ولكن أسباب النضال وعوامل الوعي والطاقات الكفاحية لم تكن متكافئة بين الطرفين(١).

ومع ذلك كله ، لم تتوقف الانتفاضات العربية ولم تستكن ، فمنها الاصطدام الدموى الاول في القدس سنة ١٩٢٠ فثورة يافا سنة ١٩٢١ وثورة البراق سنة ١٩٢٩ والانتفاضة سنة ١٩٣٣ وحركة القسام سنة ١٩٣٥ فالثورة الكبرى عام ١٩٣٦ - ١٩٣٩ . وطوال هذه المراحل المنيفة ، كان الانجليز يلجأون الى ارسال اللجان لدراسة الحالة في فلسطين دون أن يأخذوا برأى هذه اللجان الذى كان دوما الى جانب العرب ، مما جعل العرب يوقنون بأن ارسال هذه اللجان انما هو لتخدير العرب وتمكين اليهود من انتزاع فلسطين من أصحابها الشرعيين . وكان آخر هذه البيانات الكتاب الابيض عام ١٩٣٩ الذى حمل للعرب وعودا بوقف الهجرة اليهودية ووضع حد لاستملاك اليهود أراضي جديدة ، والتوقف عن الاستمرار في ترسيخ دعائم الوطن القومي اليهودى ، والعمل على انشاء مؤسسات للحكم الذاتي في البلاد . وقد رفض عرب فلسطين الكتاب الابيض لعدم ثقتهم بوعود بريطانيا التي ثبت فعلا من قبل ومن بعد عدم جدية وعودها وجدواها . ولأنهم أصلا رفضوا الحكم البريطاني والاستيطان الصهيوني الذى نشأ في ظله ... ورفض الصهيونيون أيضا الكتاب الأبيض ، لأنه لم يحقق لهم ما أرادوه في تلك المرحلة ، وبدأوا يمارسون اعمال عنف متفرقة ومفتعلة ضد الجنود البريطانيين والمؤسسات الحكومية ، وساعدهم على ذلك أنهم كانوا قد جندوا اعدادا كبيرة من الشباب الصهيوني في المنظمات العسكرية الارهابية ولا سيما (الهاجاناه) التي رعت الحكومة البريطانية نشأتها في ظل الوكالة اليهودية وأغفت عن نشاطها .

---

(1) Fayez A. Sayegh - Zionist Colonialism in Pal. Beirut-1965- P. 17.

وبعد الحرب العالمية الثانية ، خرجت بريطانيا متهدمة ، وعلى الرغم من انتصارها ، انتقل مركز الثقل الاستعماري الى الولايات المتحدة ، وفي الثاني من نيسان سنة ١٩٤٧ أحالت بريطانيا القضية الفلسطينية الى هيئة الامم المتحدة ، ووضعت لجان هيئة الأمم المتحدة مشروعا لتقسيم فلسطين خلافا للمنطق الذي تفرضه نسبة ملكية الاراضي وتوزيع السكان ، اذ رسم قرار التقسيم الذي قدم كتوصية ، فلسطين الى ستة اجزاء رئيسية ، ثلاثة منها تمثل ٥٦٪ من مجموع مساحة البلاد لاقامة دولة يهودية فيها ، وخصصت الأجزاء الثلاثة الاخرى بما فيها جيب يافا وتمثل ٤٣٪ من مجموع المساحة لاقامة دولة عربية فيها ، أما القدس وما يحيط بها وتمثل ١٫٥٪ فقد خصصت لتكون قطاعا دوليا تتولى ادارته الامم المتحدة (١) ، ونلاحظ في هذا التقسيم ان المناطق التي يملكها ويقطنها يهود داخلة ضمن رقعة الدولة اليهودية ، ولكن أضيفت اليها مساحات بكاملها يملكها ويقطنها عرب . فقد أدخلت منطقة النقب وهي تشمل حوالي نصف مجموع أراضي البلاد ، ولم تكن ملكية اليهود فيها تتجاوز ٥و١٪ - أدخلت في المنطقة المخصصة للدولة اليهودية (٢) ، ونتيجة لهذا القرار الجائر فقد رفض العرب أن تتحكم الاقلية اليهودية بالاكثرية العربية ، كما رفضوا التقسيم لأنه تضمن افتئاتا على حقوقهم الطبيعية وخرقا لميثاق هيئة الامم المتحدة والاعراف الدولية وحق الشعوب في تقرير المصير .

وتبع اقرار التقسيم في ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٤٧ على مسرح هيئة الامم المتحدة أحداث دامية في فلسطين ، وقام اليهود بسلسلة من المذابح ضد السكان العرب الآمنين ، فكانت مذبحة دير ياسين أقسى هذه المذابح وأبشعها (٣) حدثت في ٩ نيسان سنة ١٩٤٨ .

---

(١) فخري صافيه - مجلة الثقافة العربية - عدد ممتاز عن فلسطين - السنة الثانية - العدد الثاني - أيار ، حزيران سنة ١٩٥٨ ص ١٧ .

(٢) اميل الغوري - المؤامرة الكبرى - اغتيال فلسطين - دار النيل - القاهرة ط ١ ١٩٥٥ ص ١٩٩

(٣) اميل الغوري - المؤامرة الكبرى - اغتيال فلسطين - دار النيل للطباعة - القاهرة ط ١ ١٩٥٥ ص ٢٣٠

وما أن أطل يوم ١٥ أيار سنة ١٩٤٨ حتى كانت القوات الصهيونية قد احتلت معظم الاراضي المخصصة لليهود في مشروع التقسيم بالاضافة الى مناطق أخرى مخصصة للعرب (١)، وقد تأزم الوضع في فلسطين بدخول جيوش الدول العربية الى جانب المتطوعين العرب في جيش الانقاذ .

وأعلنت دولة اسرائيل ، وبادرت الولايات المتحدة الامريكية والدول الكبرى الى الاعتراف بها ، ودلت المعارك التي دارت رحاها أن الجيوش العربية لم تكن مستعدة للحرب ، كما أنها لم تكن مزودة بأوامر كافية ولا خطط عسكرية ولا بذخائر ... وهكذا أسفرت أحداث سنة ١٩٤٨ عن سقوط معظم أرض فلسطين بيد الصهيونيين ، ونزوح (٧٥٠) ألف عربي فلسطيني عن ديارهم وتحولهم الى لاجئين .

وفي الحق ، ومع كثير من الأسف ، فقد كان نضال عرب فلسطين ووقوفهم في وجه المؤامرات الانجليزية والصهيونية ، دون مستوى الاحداث التي كانت تعصف بهم وتهدد وجودهم . صحيح أن الشعب الفلسطيني لم يكن ينقصه الاقدام والحماس من أجل الدفاع عن وجوده ، ولكن كانت تنقصه القيادة الحكيمة القادرة على تمثيل الشعب والافادة من طاقاته النضالية .

وهكذا ،وبعد صراع دموي طويل لم تكن فيه القوى متكافئة ، انهار الحق الأعزل ، الحق العربي الصريح أمام الباطل القوي ، باطل الامبريالية العالمية والصهيونية .

يتضح من هذا العرض الموجز أن فلسطين لم تنعم باستقرار سياسي أو اجتماعي أو اقتصادي منذ الحرب العالمية الاولى حتى النكبة ، ففي الوقت الذي اتخذت فيه الحركة الوطنية في فلسطين طابعا قوميا ، فان الاقطار العربية كانت مستعمرة أو شبه مستعمرة ، وقد ساعد هذا الوضع الامبريالية العالمية والصهيونية على الانفراد بعرب فلسطين الذين لم تكن قوتهم - بأية حال - متوازية مع الاعداء .

---

(١) كرستوفر سايكس - ترجمة خيري حماد - مفارق الطرق الى اسرائيل - دار الكتاب العربي - بيروت ط ١ ١٩٦٦ ص ٥٧٢

تناقلتها الأجيال العربية منذ الثلاثينات ورددتها في انتفاضاتها ومظاهراتها .

أنثر على لهب القصيد   شكوى العبيد الى العبيد

يتضح من هذا أن الشعراء الفلسطينيين أحسوا أن في جسم الوطن جرحا كبيرا أورثه ضعفا وعدم قدرة على الجسم لتبعثر قواه وقصور وسائله ، وأن هذا الموروث للشعر الفلسطيني من : ابراهيم طوقان وعبدالرحيم محمود وأبي سلمى قد تطور الى شعر مقاومة على أيدي محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد وسالم جبران ورفاقهم ، ويكبر هذا الشعر لتشمل النسمة كل الأدب العربي الذي يقاوم الصهيونية وحليفتها الامبريالية العالمية ، ويصبح شعر المقاومة مع الأيام رافدا من روافد النضال القومي وسلاحا في معركة التحرر من الاستعمار واسترداد الحق السليب في فلسطين .

حيـــاتــــه

- مولده ونشـأتـه
- مراحل دراســته ونشأتــــه
- لقبــــــــه
- موهبتـــــــه
- ثقافتـــــه
- حياته الزوجيـــة
- ابو سلمى معلمـــا
- ابو سلمى في دار الاذاعة
- ابو سلمى بعـد النكبـــة

مولـده ونشـأتـــه :

ولد عبدالكريم بن سعيد بن علي بن منصور الكرمي في مدينة طولكـــرم في فلسطين عام ١٩٠٩م.

وهذه المدينة تقع بين حيفا ويافا ، وتتوسط سهلاً خصبا وفير الاخضرار يمتد مسافات شاسعة ... ومن وراء ذلك يرسل البحر تحياته وسلامه من بعد .

وقد عظم شأن هذه المدينة عندما جعلها العثمانيون في أواخر القـــرن التاسع عشر مركزا لقضاء بني صعب ، وأصبح قضاء بني صعب مركزا ممتازا من العلم والتعليم بين سائر الأقضية في فلسطين في عهد العثمانيين وابان الانتـــداب البريطاني .

وقد ذكر طولكرم كثير من الشعراء ومن أبرزهم : شاعر القطريـــن (خليل مطران) عندما زارها سنة ١٩٢٥ واحتفى به شبابها فحياهم بقصيدة منهـا هذه الأبيـات (١) :

انا وَجَدْنا وقد طالَ المطافُ بِنـا   في طولكَرْمَ رجالَ الطَّوْلِ والكـرَمِ

حيّاهُمُ اللّهُ ما أحلى شمائِلَهُــمْ   وما أجلَّ الذي فيهم من الشِّيَمِ

لا زالتِ القُدْوةُ الحَسْناءُ قُدْوَتَهُمْ   لِقَوْمِهِمْ بِثَباتِ الـرأْيِ والهِمَـمِ

كما تشتهر هذه المدينة بأنها أعطت الحياة الفكرية والأدبية والدينيـة آل الكرمي وقد شهرت هذه الأسرة بالعلم والدين والأدب ، فنبغ عدد من أفرادهـا كعلماء وأدباء (٢) ، فلا غرو بعد ذلك اذا رأينا هذه المدينة تجود على فتاهـا

(١) ديوان الخليل ج ٣ - نظم الخليل - دار الهلال - نشر دار المعارف - القاهرة ١٩٤٩ ص ٩٧ .

(٢) أصل آل الكرمي من اليمن ، فقد جاءوا من هذا الاقليم لفتح مصر مـع عمرو بن العاص ولما تم فتح مصر وقسمت أرضها على الفاتحين بأمـر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، خرج سهمهم في اقليم الشرقية الـذى سكنته عدة قبائل ما زالت معروفة في هذا الاقليم حتى الآن ، ولا يـزال أقرباء آل الكرمي يقيمون في قريـة شنيارة الطنينات ويعرفون ببيـت النحار . خير الدين الزركلي - الأعـلام ج ١ ط ٣ - بـيروت ١٩٦٩م ص ١٣١ .

عبدالكريم بفطرة عجيبة وذكاء وقّـاد .

أما والده فهو الشيخ سعيد بن علي بن منصور الكرمي (١٨٥٢ - ١٩٣٥) العالم المشهور وأحد طلائع رجال النهضة العربية المعاصرة ، لم يحنها متـــه للاضطهاد والظلم ولم تحمل نفسه أو تعرف طريقا الى الخوف والتخاذل ، ولقـــد تحمل في سبيل ذلك النفي والسجن ، وكان ضمن القافلة الاولى التي حكم علـــى أفرادها بالاعدام في محكمة عاليه ، ثم أبدل بالسجن المؤبد نظرا لشيخوختـــه.

كان فقيها بالدين واللغة ، عالما بأسرارها ، أديبا يحسن الخطابـــة كما كان شاعرا مجيدا ، وله قصائد يحاكي فيها شعراء الجاهلية بالجزالـــة كما كان مرجعا يعتمد عليه ويستشهد بأقواله وآثاره .

عمل نائبا لرئيس المجمع العلمي بدمشق ، كما عمل من بعد قاضيا للقضـاة في حكومة الشرق العربي " شرقي الاردن " ثم رئيسا لأول مجمع علمي في الأردن فـي عهد الأمير عبدالله بن الحسين .

تزوج الشيخ سعيد أربع نساء أنجب منهن ستة وعشرين ولدا وثلاث بنـــات (١) ويعكس بيت الشعر التالي الذى كتب على جدار ديوانه بطولكرم شدة اعتزازه بأولاده :

نِعَمُ الإله على العبادِ كثيرةٌ وأجلُّهنَّ نَجابَـةُ الأولادِ (٢)

---

(١) عبدالكريم الكرمي - الشيخ سعيد الكرمي - سيرته العلمية والسياســية - دمشق - ط ١ ١٩٧٣ ص ٨ .

(٢) من أبناء الشيخ سعيد الذكور : يوسف ، (أحمد شاكر) ، محمود ، محمد ، حسن ، حسين ، عبدالغني ، عبدالكريم ، نبهان ، عبدالله ، نبيه ، ومـن الاناث : صفاء ، سعاد وزبيده ، أما أبرز أبنائه فهم : ١) أحمد شاكـر الذى وصفه الأستاذ اسعاف النشاشيبي بقوله : النابغ الناقد ، مازني الشام وعقاده . ٢) محمود : وهو أديب شاعر عمل مدرسا ومفتشـا للمعارف ، اتهمته السلطات البريطانية بنظم الاناشيد الحماســـية للطلاب . ٣) عبدالغني عمل سكرتيرا في صحيفة الجامعة الاسلاميـــة بيافا ثم رئيسا لديوان الملك عبدالله لفترة من الزمـــن .
٤) حسن : صاحب البرنامج الناجح المذاع من القسم العربي للاذاعـــة البريطانية بعنوان : قول على قول ، وله معجم المنار - انجلـــيزى عربي - ويضم بين صفحاته البالغة ٩١٣ قرابة ٤٠٠٠٠ كلمـــة
٥) عبدالكريم وهو صاحب هذه الدراســـة .

فتح أبو سلمى عينيه على ظلامات مرة انتابت قومه في كافة أمصارهم على يد الأتراك العثمانيين الذين صبوا جام الويلات والمصائب على العرب.

وفزع وتألم لشدة العسف والظلم الذى حاق بشعبه وقومه ، ولا ينسى عبدالكريم وهو طفل صغير لا يتعدى الخمس سنوات ، حينما كان واقفا مع والدته أمام داره في طولكرم ، عندما جاء جنود من الأتراك ومعهم ضابط ودخلوا الى الديوان ثم خرجوا ومعهم والده ويقول عبدالكريم[1] : انه كلما سأل عن والده الذى طالت غيبته يجيبونه ، انه ذهب الى الشام ، ثم علم بعد ذلك أن الاتراك سجنوه مع رجالات البلاد لأنهم يطالبون بالاستقلال" وكان لوالده[2] تأثير كبير على حياته ، فقد كان شديد العطف عليه ، ولعل خير دليل على شدة عطف المرحوم الشيخ سعيد الكرمي على ولده عبدالكريم وحرصه على أن ينشأ على أفضل الصفات وأكمل السجايا ، القصيدة التي نظمها وجعل عنوانها " الى ولدى عبدالكريم " ولم يكن عبدالكريم في هذا الوقت يتجاوز السبع سنوات ، وتشمل القصيدة على جملة نصائح وتوجيهات الى ولده امتزجت فيها العاطفة الحانية بالحكمة الهادفة ، ومنها هذه الأبيات[3]:

عبدَالكَريمِ بنَ سعيدِ الكَرْمي ... زيّنَكَ اللّهُ بِفَهْمِ العلمِ

هذا كتابٌ كلّهُ فوائدٌ ... فرائدٌ تناسَقَتْ في النَّظْمِ

فاقرأه يَوماً واجتهد في فَهمِهِ ... فالعلمُ لا يأتي بغَيْرِ فَهْمِ

واعمل بما فيه تنل حسن الثنا ... ومن جزيل الأجْرِ أوفى سَهْمِ

وقد ترعرع عبدالكريم على هذا العطف وربا على هذا التشجيع ، وتغذى بلبان العلم والأدب ، وازدهر تحت ظل مجلس والده الوارف ، ومن هنا تسرب الى نفسه وهو في سن الطفولة أمل في الحياة خاله محققا لما يراوده ازاء مستقبله .

---

(١) عبدالكريم الكرمي - الشيخ سعيد الكرمي - سيرته العلمية والسياسية - دمشق - ط ١ ١٩٧٣ ص ٢٤

(٢) تم الافراج عنه في شهر شباط ١٩١٨ بعد أن مكث في السجن مدة سنتين وسبعة أشهر .

(٣) عبد الكريم الكرمي - الشيخ سعيد الكرمي - سيرته العلمية والسياسية - دمشق - ط ١ ١٩٧٣ ص ٢٠٩

مراحل دراســته ونشــأتـه :

ابتدأت دراسته الابتدائية في مدرسة طولكرم الحكومية ، وفي السنة الأخيرة التي قضاها في هذه المدرسة كان في الصف الثاني الابتدائي ، وعندما تأسست الدولة العربية في سوريا في ١٩١٨/١٠/٥ برئاسة المغفور له الملك فيصل ابن الحسين ، دلف أحرار العرب من كل مكان الى دمشق ، وكان أول[1] بيت سكنه فيها البيت الملاصق للمجمع العلمي العربي في باب البريد ، وكان عبدالكريم يومئذ في الصف الثالث الابتدائي في مدرسة الملك الظاهر الابتدائية المقابلة للمجمع العلمي ، وفي هذه السنة انتقلت والدة عبد الكريم السيده فاطمة ابنة جميل سكر ، الى رحمة الله بعد مرض طويل ، وكان وقتئذ يناهز السابعة وعاش بعدها في كنف والده ورعايته ، وكان والده يعطف عليه كثيرا ، ويغدق عليه من حبه وحنانه الشيء الكثير ، وأصبح له بعد وفاة والدته كل شيء في حياته ، وعوضه عن فقدانها فلا عجب أن تعلق بوالده تعلقا شديدًا وتأثّر به أيما تأثر .

ويفتخر عبدالكريم بوالده ويعتز به أيما اعتزاز ويقول :"انه تأثر به جميع اخوانه ، بل كان أثره يمتد ليشمل مجتمعه ووطنه[2]."

واستمر والده في تشجيعه وعطفه ، فكان يطلب منه بحضور رجال مجلسه - وهم أهل علم وأدب - أن يسمعهم آخر قصيدة نظمها في الغزل ، أو في غيره ويقول عبدالكريم[3] : انه كان يستفيد كثيرا من مجالس العلم هذه ، بما اقتبسه من أحاديث ، وما جد فيها من ضالة للتعبير عن نفسه ، كما أصبح يقرأ الكتب الأدبية النافعة التي كانت تغص بها مكتبة والده الخاصة ، كما اعتاد العزلة والانفراد[4] مقتديا في ذلك بالحكيم الفرنسي (روسو) هذا انا جاز

(١) عبد الكريم الكرمي - الشيخ سعيد الكرمي - سيرته العلمية والسياسية - دمشق ط ١ ١٩٧٣ ص ٨

(٢) المصدر السابق ص ٨

(٣) من مقابلة لي مع عبدالكريم الكرمي في بيته بدمشق بتاريخ ١٩٧٦/١٢/٤

(٤) شهادة سماعية من شقيق عبد الكريم الاصغر السيد نبيه المقيم في عمان بتاريخ ١٩٧٦/٦/١٨ وقد استقى هذه المعلومات بدوره من والدته أم عبدالله زوجة المرحوم الشيخ سعيد ، وقد عرضت هذه الشهادة على عبدالكريم في منزله بدمشق بتاريخ ١٩٧٦/١٢/٤ فأيدها .

لنا أن نسمي الاحتجاب بين الكتب والدفاتر والاقلام وعدم اهتمامه باللعب كما كان يفعل رفاقه واخوانه ... أن نسمي ذلك عزلة .

الا أنه مع ميله الى اجتناب اللهو والانزواء عن رفاق اللعب ، لم يكن يهمل الفرص التي تمكنه من معرفة شؤون الاجتماع ، وأمور البيئة التي يعيش فيها ، كما أن فرصة الاجتماع مع أصدقاء أبيه في مجلسه كانت تتيح له تكوين خبرة اجتماعية واثراء ثقافته وتكامل شخصيته شيئا فشيئا .

وفي منتصف ١٩٢٢ غادر والده دمشق الى عمان حيث أصبح قاضيا للقضاة في حكومة الشرق العربي ورئيس مجلس معارفها ، وقد درس عبدالكريم سنة واحدة في مدرسة السلط الثانوية وكان من مدرسيه في هذه السنة أخوه محمود ، ثم غادر الى دمشق ليلتحق بمدرسة التجهيز الاولى أو مكتب عنبر ، وعن هذه المدرسة يحمل عبدالكريم أجمل الذكريات ، فتراه يصف لك ذكرياته مع زملائه وأساتذته وصفا يفيض حبا ووفاء واعجابا (١) . ومن أساتذته في هذه المدرسة سليم الجندى وكان حجة في النحو وأستاذ الأدب العربي لجيله ، وعبدالقادر المبارك وقد كان علما في اللغة ، ومحمد الداودى وكان من المربين الأعلام في عصره (٢) ومن زملائه : بشير العظمه وصلاح البيطار ، وجميل سلطان ، وزكي المحاسني ، وأنور العطار ، ومأمون البيطار وسليم البارودى .

لقبـــــه :

يرجع سبب تسميته بأبي سلمى وغلبة هذه الكنية على اسمه الى قصة طريفة حدثت معه وهو طالب في الصف الثامن بمدرسة عنبر عام ١٩٢٤ اذ كان قد نظم قصيدة غزلية في حسناء دمشقية مطلعها :

سلمى انظرى نحوى فقلبي يخفق ... لما يشير اليّ طرفك أطرق (٣)

وسمعها استاذه محمد الداودى وهو أحد من تأثر بهم أبو سلمى فاعجب بهذه القصيدة وأطلق عليه اسم " ابو سلمى " وصار التلاميذ ينادونه بأبي سلمى وحبيب سلمى ، وكان يغضب من هذا الاسم في البداية ، ولكنه أصبح اسمه الادبي فيما بعد (٤) .

---

(١) من مقابلة مع عبدالكريم الكرمي في منزله بدمشق بتاريخ ١٩٧٦/٢/٤

(٢) سامي الدهان ـ الشعر الحديث في الاقليم السورى ـ القاهرة ط ١ ـ ١٩٦٠ ص ٣٩

(٣) من مقابلة مع عبدالكريم الكرمي في منزله بدمشق بتاريخ ١٩٧٦/١٢/٤

(٤) المرجع السابق

موهبتـــــــــه :

في ٤ تشرين الثاني ١٩٢٧ جرت مسابقة في حفل تكريم مكتب عنبر للطـــلاب الذين أظهروا في امتحان الشهادة العالية (البكالوريا) ذكاء وتفوقا ولا ســيما في الآداب العربية وعرض الشعراء وهم : أنور العطار ، أبو سلمى ، جميل سلطان ، وزكي المحاسني قصائدهم . وألقى أبو سلمى قصيدة بعنوان " تلة الرضـــوان " وهي عن تلة في طولكرم لها قصة رومانسية تقول : ان الراعي أحب ابنة شـــيخ القبيلة ، فأمر الشيخ بقص أصابع الراعي الذى كان يغوى الفاتنات بشبابتـــه ، فتوقفت الاغنام عن الرعي ، لكن الراعي صنع له أصابع من القصب واستمر بالغناء ، وقد لفتت هذه القصيدة الأنظار الى أبي سلمى ، ومنها هذه الأبيات :-

نا وليني الرباب قبل زيـــالي   لست مذمومة ولست بيـــالي
ودعيني أسمعك وجد ابنـــة الشـــيخ ، ورضوان وهو سر الجمال
قالها شاعر الطبيعة في الليل   ويهوى الأشعار تلك الليالي
أمسك الشاعر الربـاب فأنـــت   أنة الواجدين في الأطـــلال (١)

قحنا مشفقا عليهـــا كـــأم   حين تحنو على وحيد غالـي
وربوة يسكن الغرام اليهـــا   يحتليها رضوان كـــل زوال
كان يرعى أنعام شيخ عجـــوز   ساد قسما من قومه والآل

ثقافتــــــــه :

هذا الأديب والشاعر والكاتب والناقد من أين استقى ثروته الأدبيـــــة واستمد ثقافته بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى واســع .

لقد بدت بواكير ثقافة شاعرنا تتفتح براعمها منذ كان - وهو صغـــير - يلقى التشجيع من والده على حفظ الشعر الجيد ، فكان كثيرا ما يطلب منه بحضور مجلسه ، وهو أهل علم وأدب ، أن يلقي على مسامعهم آخر قصيدة حفظها حـــتى اذا فرغ من القائها سأله والده عما أعجبه في هذه القصيدة ، وكأن الوالـــد العالم والأديب الشاعر وقد أحس أن ولده قد بدأ يستوى عوده ، أخذ اهتمامـــه يزداد بتشجيعه على ابراز مواهبه التي بدأت في الظهور في هذه السن المبكـــرة ،

(١) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق - المجلد ٨ ص ١٠٨ .

وأخذ يوجهه الى حفظ الشعر الجيد تماما ، مثلما كان النقاد القدماء يوجهون الأدباء الناشئين ويحثونهم على حفظ الكثير ، حتى تنضج ملكتهم فيقوون على نظم الشعر الجيد .

ويحدثنا أبو سلمى عن هذه الذكرى فيقول[1]: كان الشعر هو دنياي التي لا أعدل بها مثيلا فكنت أردد من أعماقي القصيدة التي أفضلها ، وبين حين وآخر كان والدي وصحبه يطلبون مني أن ألقي آخر قصيدة نظمتها ... ويستطرد أبو سلمى في حديثه فيقول : ما اولعني اليوم بالشعر ،لأني رضعت لبانه في طفولتي ، ولعبت بأزهاره وأنا صبي ، تراقبني عين والدي لئلا تجرح يدي الاشواك عندما أقطفها .

نتبين مما سلف ، أنه قد أتيح لأبي سلمى ما أتيح لبعض الشعراء والأدباء الذين كان لآبائهم أثر بالغ في تكوينهم وتنشئتهم . وما أحسب هؤلاء كثيرين في الشرق .

كم من أديب وشاعر نشأ مهملا من والديه ، فلم يحظ عند تفتحه بمن يسقي غصنه الثابت .

أما في الغرب ، فللشعراء والأدباء ذكريات طفولة يرويها المؤلفون باسهاب وكان لها الأثر الذي لا يبلى في بعث مواهبهم وتكوينهم الثقافي .

والشخصية الأخرى التي لا بد أن تكون قد أثرت في ثقافته الأدبية بالاضافة الى والده ، هي أخوه الناقد الفلسطيني " أحمد شاكر الكرمي " فقد تلقى أبو سلمى الدربة والصقل الأدبي على يديه ولقي منه التشجيع والدعم وعن طريقه تعرف إلى العديد من الكتاب والأدباء السوريين والعرب

وحين تأسست جمعية الرابطة الأدبية بدمشق في آذار ١٩٢١ والتي أسهم أحمد شاكر في تأسيسها ، أتيح لأبي سلمى أن يجتمع بنخبة

---

(١) من مقابلة لي مع أبي سلمى في بيته بدمشق بتاريخ ١٩٧٦/٦/٢٧ وقد سردت المعنى والمضمون بأسلوبي ولغتي .

ممتازة من رجال العلم والأدب [١] وفي مجالات الأدب وآفاق الشعر هذه تأثر شاعرنا أيما تأثر ، وعن طريق هذه الرابطة تعرف الى الأستاذ محب الدين الخطيب الذي كان صديقا لأخيه أحمد شاكر ، فنشر له في مجلة الزهراء القاهرية عددا من قصائده .

ثم يجيء دور مدرسة عنبر ، هذه المدرسة التي خرّجت عدداً من الشعراء والأدباء السوريين والعرب ارتفعوا الى مستوى أندادهم في الشعر والأدب العالمي فكتبوا من رائع النظم وساحر القول ما يدفع الى الزهو والاعتزاز [٢] .

في هذا المعهد العلمي المتيد ، لقي أبو سلمى من معلميه الرعاية والتنشئة الصالحة والقدوة الحسنة ، فأخذوا يشيمون في نفسه روحا وثابة ويغرسون أملا باسما ، ويعملون في قلبه جذوة القومية والوطنية . ويحدثنا أبو سلمى عن هذه الذكرى فيقول [٣]:

كان بين هؤلاء المعلمين نفر ممن ينزعون نزعة التجديد في الفكر والتعبير ومنهم محمد الداودي وعبدالقادر المبارك وسليم الجندي ، فكان لهم الفضل فيما غرس في نفسي من حب للغة الأم ، وما قدموه لي من تشجيع وبخاصة في قرض الشعر . وفي هذه المدرسة تفتحت شاعريتي على مطالب الشباب ، ومباهج الحياة ، فشدوت بأولى قصائد غزلي وحبي .

---

(١) تم انشاء هذه الرابطة عام ١٩٢١ على غرار الرابطة القلمية ، وكان من اعضائها عدد من أدباء سوريا وشعرائهم وفيهم: خليل مردم ، أحمد شاكر الكرمي ، محب الدين الخطيب ، محمد الشريقي ، أبيفانوس ، شفيق جبرى ، حيدر مردم ، سليم الجندى ، حليم دموس ، قبلان الرياشي ، عبدالله النجار ، جروج الريس ، نسيب شهاب ، ماري عجمي ، نجيب الريس ، فخري البارودي وغيرهم . وقد قامت هذه الرابطة بانشاء مجلة لها كانت تعنى بشؤون الفكر والأدب .
سامي الدهان - الشعر الحديث في الاقليم السوري - القاهرة - ١٩٦٠ ط ١ ص ١٠٣ .

(٢) من هؤلاء الأدباء والشعراء : مصطفى وهبي التل (عرار) ، جميل سلطان ، زكي المحاسني ، وأنور العطار .

(٣) من مقابلة مع أبي سلمى في بيته بدمشق بتاريخ ١٩٧٦/٦/٢٧ وقد أوردت مضمون الحديث بأسلوبي ولغتي .

ثقافته الفرنسية :

بدأت ثقافة أبي سلمى الفرنسية بأيام دراسته في مدرسة عنبر ، حيث كانت هذه المدرسة تولي تدريس اللغة الفرنسية وأدبها اهتماما كبيرا ، في هذه المدرسة عرف أبو سلمى الطريق الى الثقافة الفرنسية ، فتزود منها زادا وفيرا وسرعان ما تمكن من اللغة الفرنسية وراح يقبل على الأدب الفرنسي وخصوصا الشعر والقصة ، يقرأه باعجاب واستمتاع .

واننا لواجدون أدلة اقباله واعجابه بالشعر والأدب الفرنسي في ترجمته شعرا لقصيدة " اذكريني " [١] وهي قصيدة الفرد ده موسيه Alfred De Musset وقد ترجمها بتصرف ونشرت له هذه القصيدة في صحيفة الميزان [٢] وكان وقتئذ في صف البكالوريا .

ولعل مما يدل على عظيم اعجابه وتأثره بالادب الفرنسي وشديد اقباله عليه أن تسمعه يقول [٣] " ذات يوم طلب مدرس اللغة الفرنسية في مدرسة عنبر من طلاب السنة النهائية " البكالوريا " أن يوازنوا بين الشاعر الرومانسي الكبير فيكتور هوجو Victor Hugo والشاعر الفرنسي الرومانسي المبدع لامرتين Lamartine فكنت ممن انحازوا الى لامرتين ."

ويستطرد أبو سلمى في حديثه عن هذه الذكرى فيقول : " انه بالاضافة الى اعجابه وتأثره بزعماء المدرسة الرومانسية ، فانه قد أعجب وتأثر بما قرأه للقاص الفرنسي " جي دي موباسان " وهو من زعماء المدرسة الواقعية [٤] التي انتجت انتاجا ضخما من خلال أقاصيصه .

---

(١) عبدالكريم الكرمي - قصيدة " اذكريني " لألفرد ده موسيه - الميزان - ٢٢ آذار ١٩٣٦ .

(٢) أسس هذه الصحيفة أحمد شاكر الكرمي سنة ١٩٢٥ وهو حدث أدبي جليل في تاريخ سوريا وبها اوجدت حركة أدبية جديدة في دمشق حركت ما كان نائما من ملكات الادب والفن ، وما زالت هذه الصحيفة بما ضمت من أدب رفيع وشعر رائع موضع الرعاية والحفظ لدى الكثير من أدباء هذا البلد .

(احمد الجندى - مجلة العربي الكويتية - العدد التاسع أغسطس ١٩٥٩ ص ٩٣

(٣) من مقابلة مع أبي سلمى في بيته بدمشق بتاريخ ١٩٧٦/٦/٢٧

(٤) احسان عباس - فن الشعر - بيروت ط ١ ١٩٥٥ ص ٢٩

وقد ترجم أحمد شاكر الكرمي له ست قصص (١) وهي : ماروكان ، القبلة ، في الغابة ، أطم هنا ؟ ، الجنس الفظ ، والجمال الضائع . ولعل أبا سلمى قد تأثر بهذا القاص الفرنسي وأعجب به اقتداء بالقصص التي ترجمها أخوه .

ومما يجدر ذكره أن زوجة أبي سلمى " رقيه توفيق حقي " تتقن الفرنسية اتقانا تاما ، فقد تخرجت من مدرسة راهبات الناصرة بحيفا وقضت طفولتها لا تغادر المدرسة الا في العطل الرسمية ، مما أكسبها اتقانا وطلاقة للفرنسية وشغفا بأدبها (٢) . ومن الطبيعي أن يؤثر ويتأثر كلا الزوجين أحدهما بالآخر .

صلة أبي سلمى بالأدباء المصريين :

يحدثنا ابو سلمى عن صلته بالأدباء المصريين ودور مصر كمركز للثقافة النشطة فيقول (٣) :كان ابراهيم المازني أكثر الأدباء المصريين معرفة بالقضية الفلسطينية ، وقد كان متعاطفا معنا ، وقد تعرفت اليه عن طريق أخي أحمد شاكر الذى كانت تربطه به صداقة قوية . وعن طريق الأستاذ المازني تعرفت الى الدكتور زكي مبارك ، وقد نشر الاستاذ المازني والدكتور زكي مبارك بعض الدراسات حول أبي سلمى في جريدة البلاغ القاهرة عام ١٩٣٥ (٤).

وقد نشر لأبي سلمى عدد من روائع قصائده في مجلة الرسالة القاهرية ابتداء من عام ١٩٣٦ (٥) وتوثقت الأواصر والصلات بين المازني وأبي سلمى خلال زيارات الأخير المتكررة لمصر وخلال زيارات المازني لفلسطين ، ومن خلال الرسائل المتبادلة فيما بينهما . فهل تأثر أبو سلمى بالمازني والأدباء المصريين كما تأثر بالشعراء والأدباء الفرنسيين ؟

---

(١) احمد شاكر الكرمي ـ مختارات من آثاره ـ دمشق ـ مكتبة أطلس ـ ط ١ ١٩٦٤ ص ٢٠٩ ـ ٢٤٤ .

(٢) أسمى طوبى ـ عبير ومجد ـ ط ١ ١٩٦٦ ص ١٥٣

(٣) من مقابلة لي مع أبي سلمى في منزله بدمشق بتاريخ ١٩٧٦/٦/٢٧ .

(٤) نقلت جريدة الدفاع الفلسطينية مقال الأستاذ المازني عن أبي سلمى في عددها ٢٢٧ بتاريخ ٢٤ تشرين الثاني ١٩٣٥ .

(٥) يعقوب العودات ـ البدوى الملثم ـ أعلام الفكر والأدب في فلسطين ط ١ ١٩٧٦ ص ٥٣٨

أغلب الظن أن هذه الصلات التي عقدها مع الأدباء المصريين وبخاصة صلتـه بالمازني وجدت سبيلا الى يقظته الفكرية ، وكانت بالنسبة اليه غذاء ثقافيـا كان لها أثرها في ثقافته ، وفي حياته من بعـد .

دراسته العليا في معهد الحقوق بالقدس:

بعد حصوله على شهادة البكالوريا السورية عام ١٩٢٧ ، قصد بيت المقدس ، وهناك انتسب الى معهد الحقوق في القدس حيث نال منه شهادة المحاماة[١].

حياته الزوجيـة:

في السادس عشر من شهر كانون الثاني ١٩٣٦[٢] تزوج عبدالكريم (أبوسلمى) من رقية توفيق عبدالله حقي بعد قصة حب عنيفة وطريفه - تأتي في موقعها من هـذه الدراسة - وقد أثمر هذا الزواج عن ولد وحيد رزق به الزوجان في التاسـع والعشرين من شهر تشرين الاول لعام ١٩٣٧ أسمياه سعيدا وذلك تيمنا بوالـد أبي سلمى " الشيخ سعيد" الذي يكن له أبو سلمى كل محبة وتقدير وعرفان[٣].

(١) يعقوب العودات - البدوي الملثم - اعلام الفكر والأدب في فلسطـين ط ١ عمان ١٩٧٦ ص ٥٣٨

(٢) استقيت هذه المعلومات من أبي سلمى في مقابلتي له بمنزله بدمشـق بتاريخ ١٩٧٦/٦/٢٧م.

(٣) تخرج سعيد في الجامعة الامريكية في بيروت بتاريخ ١٩٦٤/٦/٢٢ بعد أن حصل على درجة البكالوريوس في الجراحة ، وبتاريخ ١٩٦٩/٣/٢٤ تخرج فـي جامعة وشنطن في الولايات المتحدة بعد أن حصل على درجة التخصص في جراحة الكلى والمسالك البولية وأصبح زميلا في الهيئة الأمريكية للجراحة العامة American Board of Surgey

وقد تزوج من فتاة أمريكية بعد أن اعتنقت الاسلام هي السيده ماري جـين الكرمي وأنجبت له ولدا أسمياه عبدالكريم وابنة أسمياها رقية ، وقـد عمل الدكتور سعيد في مستشفيات الاردن فترة من الزمن ولكنه استقـال بتاريخ ١٩٧٤/١/٦ حيث هو الآن طبيب بارز في لجنة أطباء زرع الكلـى في جامعة وشنطن وفي لجنة أطباء جراحة الكلى والمسالك البوليـة في جامعة " ماريلاند " بالولايات المتحدة .

" استقيت هذه المعلومات من أبي سلمى نفسه " .

ووالد رقية توفيق بك عبدالله حقي كان رئيسا لبلدية عكا فقاضيا في محكمة التمييز في عكا وقد كان لرقية الفضل في تأسيس الاتحاد النسائي الفلسطيني ، حيث عملت في منصب الرئيسة لهذا الاتحاد منذ عام ١٩٣٦ وحتى ١٩٤٤(١).

وتقول الأديبة الفلسطينية السيدة أسمى طوبى عن صديقتها السيدة رقية - وقد كانت أسمى طوبى سكرتيرة للاتحاد النسائي في عكا منذ تأسيسه ، ثم آلت اليها رئاسة الاتحاد بعد استقالة رقية من رئاسته - تقول : " كانت رقية من أكثر سيداتنا ثقافة ورقيا ووعيا ووطنية "(٢).

وبعد النكبة رئست رقية الاتحاد النسائي الفلسطيني بدمشق فترة من الوقت وقد توفيت يوم السبت في الثلاثين من رمضان ١٣٩٨هـ الموافق للثاني من أيلول ١٩٧٨م رحمها اللـه .

في ميدان الحياة :

أبو سلمى معلما

بعد أن أحرز أبو سلمى شهادة البكالوريا السورية في حزيران ١٩٢٧ م قصد مدينة القدس حيث عين معلما في المدرسة العمرية . ثم انتقل الى المدرسة البكرية ، ويقول أبو سلمى انه قد أحب هذه المهنة على الرغم من متاعبها .

وفي أوائل كانون الثاني ١٩٣٣م(٣) ساءت حالة ابراهيم طوقان صديق أبي سلمى وكان يعمل مدرسا في المدرسة الرشيدية الثانوية ، واضطر الى اجراء عملية جراحية في معدته فانتقل أبو سلمى ليعمل في المدرسة الرشيدية بديلا لابراهيم ، وفي شهر شباط ١٩٣٣ خرج ابراهيم من المستشفى ومنحته ادارة المعارف اجازة شهر ، لكن ابراهيم قدم استقالته من مهنة التعليم ، واستمر صديقه أبو سلمى يواصل عمله كمعلم في المدرسة الرشيدية ، وهنا يبرز عامل هام في حياته أدى الى اقالته من عمله الرسمي ، ذلك أنه نظم قصيدة نشرتها مجلة الرسالة القاهرية بعنوان " يا فلسطين " هاجم فيها السلطات البريطانية

(١) أسمى طوبى - عبير ومجد - مطبعة قلفاط - بيروت - ط ١ ١٩٦٦ ص ١٥٣ .

(٢) المصدر السابق ص ١٥٣ - ١٦١ .

(٣) د . عمر فروخ - شاعران معاصران - ط ١ - ١٩٥٤ ص ٤٤

لعزمها على انشاء قصر للمندوب السامي البريطاني على جبل المكبر الذى زاره الخليفة العادل[1] عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، عندما هبط بيت المقدس وصلى فيه مع جماهير المصلين مكبرين ، وكان ذلك في أوائل عام ١٩٣٦ فاستدعاه مدير التعليم البريطاني " المعارف " - وكان يدعى مستر فرل - الى مكتبه وسأله قائلا : هل أنت ناظم قصيدة المكبر ؟ فرد أبو سلمى بالايجاب ، وهنا أبلغه المستر فرل قراره بفصله من العمل [2].

وهذه أبيات من القصيدة التي روعت الحكومة البريطانية في ذلك الحين وتسببت في فقدان أبي سلمى لعمله الحكومي :

جبل المكبر طال نومك فانتبه ... قم واسمع التكبير والتهليلا
فكأنما الفاروق دوى صوته ... فجلا لنا الدنيا وهز الجيلا
جبل المكبر لن تلين قناتنا ... ما لم نحطم فوقك الباستيلا [3]

أبو سلمى موظفا في دار الاذاعة الفلسطينية :

بعد أن فقد أبو سلمى وظيفته كمعلم في المدرسة الرشيدية الثانوية بالقدس ضمه صديقه ابراهيم طوقان الذى كان يتولى منصب مدير البرامج العربية في دار الاذاعة الفلسطينية . حيث أسند اليه وظيفة هامة ، واستمر أبو سلمى يعمل في هذا الجهاز الاعلامي الحساس الى أن استقال من عمله [4].

أبو سلمى محاميا :

في عام ١٩٤٣[5] قصد أبو سلمى مدينة حيفا حيث افتتح له مكتبا ليزاول مهنة المحاماة ، وبدأ عمله بالدفاع عن المناضلين العرب المتهمين في القضايا الناجمة عن الثورة الفلسطينية التي نشبت في فلسطين سنة ١٩٣٦ واستمرت

---

(١) يعقوب العودات - البدوى الملثم - مجلة الأديب اللبنانية - يناير ١٩٦٩ ص ٣٠

(٢) علمت تفاصيل هذه القصة الطريفة من أبي سلمى في مقابلة لي معه بمنزله بدمشق بتاريخ ١٩٧٦/٢/٦ .

(٣) مجلة الرسالة - القاهرة - العدد ١٥٤ - السنة الرابعة ١٥ يونيو ١٩٣٦

(٤) يعقوب العودات - البدوى الملثم - مجلة الأديب اللبنانية يناير ١٩٦٩ ص ٣٠

(٥) أدهم آل الجندى - أعلام الأدب والفن ج ١ - مطبعة مجلة صور - سوريا ١٩٥٤ ص ٣٢٠ .

حتى سنة ١٩٣٩ ، ويقول عنه صديقاه القاضيان في حيفا خلال تلك الفترة والمحاميان فيما بعد النكبة بعمان في الأردن السيدان أحمد الخليل [1] ومحمد البراتعصي العباسي : " لقد عرفنا أبو سلمى بذكائه وسرعة خاطره وبالنكتة البارعة التي يرسلها في سياق دفاعه " .

وأصبح في فترة قصيرة محاميا مرموقا في فلسطين ، وظل يعمل في حقل المحاماة حتى عام ١٩٤٨ حيث اضطر الى مغادرة حيفا نازحا الى دمشق .

أبو سلمى بعد النكبة :

نزح أبو سلمى الى وطنه الثاني دمشق الذي طالما انتقل إليه ، وهناك زاول مهنة المحاماة والتدريس في تجهيزاتها ، ثم عضوا في مجلس التأديب ثم التوجيه والتوعية في وزارة الاعلام السورية ، وأسهم في العديد من المؤتمرات العربية والآسيوية والافريقية والعالمية .

الشعر الوطني والقومي

يلاحظ الدارس للأدب العربي الحديث، أن الأدب قد نهض في نهاية القرن التاسع عشر، مع أحداث الأمة العربية، وتطور معها وتنقل بين الكفاح ضد الاستعمار، والدعوة الى التحرر، فكان أن اتجه كثير من الكتاب والشعراء في أدبهم وشعرهم نحو غايات وطنية وقومية، وراحوا يدعون الى المشاركة الوجدانية في أحداث الأمة وأمانيها وأهدافها.

أما الشعر الفلسطيني، فقد كان يسير خلال هذه المرحلة في اتجاه الشعر العربي في الأقطار المجاورة ولا سيما سوريا (١). وقد كانت قضية التحرر من الحكم التركي شغله الشاغل وقتئذ. ولكن الخطر الصهيوني على فلسطين في نهاية العقد الثاني من القرن العشرين ما لبث أن استأثر باهتمام الشعراء العرب بعامة والفلسطينيين بخاصة. بعد أن تبخرت الآمال بتحقيق الوجود القومي، وتمزق الوطن العربي الى أقطار ودويلات خاضعة للاستعمار فأصبحت فلسطين جزءاً منفصلا عن الكيان العربي، خاضعا للانتداب الانجليزي، وبدأ العمل منذ ذلك الحين على تنفيذ الاستعمار الانجليزي الصهيوني المزدوج على فلسطين. مما حدا بالانسان العربي الفلسطيني أن يبحث عن ذاته العربية ويعمل على اثباتها بنضاله الوطني خلال العقد الثاني والثالث والرابع من هذا القرن. وأصبحت مأساة فلسطين وما تزال الجرح القومي الذي لن يندمل في نفوس الشعراء جميعا.

وهب الشعراء الفلسطينيون ليأخذوا مكانهم الطليعي، ودورهم النضالي في فضح وكشف التآمر والتلاحم العضوي بين الاستعمار والصهيونية، فدقوا للناس نواقيس الخطر، وفتحوا عيونهم على واقعهم السيء، ووضعوهم أمام مسؤولياتهم.

وكان شاعرنا ابو سلمى واحدا من الشعراء الفلسطينيين الذين تصدوا

---

(١) د. عبدالرحمن الكيالي - الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين - بيروت - ط ١ ١٩٧٥ ص ٩ .

لحمل دور المرشدين لشعبهم وأمتهم ، فكانوا يحذرون الناس ويوقظونهم ، ويفضحون أمامهم المؤامرات الشريرة على وطنهم . وبذلك غدا الشعر الفلسطيني معلما عن معالم الوعي العربي في فلسطين ، ومظهرا من مظاهر يقظة أهلها .

وبقدر ما كان الشعر الفلسطيني دعوة لانتصار الحق والعدل في فلسطين فقد كان في الوقت نفسه ، تمجيدا لحركات التحرير في البلاد العربية واشادة بالبطولة والبسالة التي أبداها المناضلون من أبناء الوطن العربي وهم يقدمون أرواحهم في سبيل بلادهم (١).

ويجد الدارس لبواكير شعر أبي سلمى الوطني أنه كان تصويرا أمينا للحالة السيئة التي تردى اليها وطنه بعد أن بدأ تنفيذ المؤامرة الاستعمارية الصهيونية ضد بلاده فلسطين وشاركت عصبة الأمم (٢) في التغطية على الاستعمار واخفاء حقيقته ، حيث نصت المادة الثانية والعشرون من ميثاق العصبة على اضفاء الشرعية على الانتداب وممارساته .

ويتناول أبو سلمى عصبة الامم التي اقرت الانتداب البريطاني على فلسطين ، ويناقش سياستها المتناقضة ، ومبادئها المزيفة وأثرها في الشعوب فيقول :

قم تَأَمَّلْ تَسَرَ الشُّعوبَ يَجُرّونَ ... قيوداً من الحديدِ المُثَلَّمْ
بينهم عُصْبَةُ الأَرَاقِمِ تَسْعى ... كلما غاب أرقمٌ لاح أَرْقَمْ
حرَّموا الظلمَ بينهم واستراحوا ... ولدينا يُحَلِّلون المُحَرَّمْ
ثم قالوا بيعُ العبيدِ حرامٌ ... انَّ بيعَ الاحرارِ أنكى وأَظْلَمْ
كلَّ يومٍ لَجْنَةٌ فكِتابٌ ... لا ترى فيه غيرَ ظُلمٍ مُنَظَّمْ
ان فَوْقَ الشِّفاهِ جَمْرا فَدَعْها ... اليومَ واسمعْ قلوبَنا تَتَكلَّمْ (٣).

في هذه الأبيات اشارة واضحة الى التحديات الخطيرة التي يواجهها الشعب العربي في فلسطين وسائر الوطن العربي من الاستعمار ، ولقد استطاع ابو سلمى ان يحقق التناظر والايجاز في علاقة الاستعمار بالشعوب ، وهي علاقة

---

(١) د . كامل السوافيرى - الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني - مكتبة الانجلو المصرية - ط ١ - ١٩٧٣ ص ٢٤٦
(٢) اميل الغورى - المؤامرة الكبرى - دار النيل للطباعة - القاهرة - ط ١ ١٩٥٥ - ص ٣٢
(٣) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - المشرد - دمشق - ط ٢ - ١٩٦٣ ص ٢٨

السيد بالتابع • ففي الوقت الذي يحرص فيه المستعمرون في بلادهم على تحقيق العدالة لشعوبهم تراهم يضنون بهذا الحق على الشعوب التي ابتليت باستعمارهم وفي هذا تناقض واضح • ومن هنا فلا مجال للشعب الا أن يعتمد النضال طريقا للخلاص والتحرير • وقد اثبتت الأيام صدق هذا الرأي بالوقائع والأدلة فلم يحسن دعاة التسوية والحلول الاستسلامية الا اضاعة الوقت • وكان ابو سلمى يدرك هذه النتيجة •

وأخذ ابو سلمى يوقظ الهمم • وينبه الوجدان ويشحن النفوس بالنقمة على الانتداب البريطاني والصهيونية • وعلى بعض الزعامات التي تولت دفة امور الشعب • وفي سنة ١٩٣٤ نشر قصيدة حمام الوادي وفيها يحمل على تلك الزعامات ويحملها مسؤولية ضياع وادي الحوارث (١) الذي باعه الاقطاعيون اللبنانيون للحركة الصهيونية فيقول :

ما تملكون ؟ أفي النفوس حمية ... أبقية الاسياف في الأغماد
لو كان في تلك النفوس حمية ... عربية شدت على الاصفاد
لو كان في تلك الأنوف بقية ... لتحطمت حلقات الاستعباد (٢)

نلاحظ في هذه الأبيات ان الشاعر يواصل عملية الربط بين تحرير فلسطين بالكفاح المسلح • وبين تحرير الوطن العربي • كما أنه يؤكد على الخصائص الطبقية للقضية الفلسطينية من خلال فضح دور الاقطاع العربي والزعامات التقليدية في فلسطين • فهو في الوقت الذي يرثي الارض التي سلبت ثراه يحرض الشعب على الثورة التي يرى فيها الحل الأمثل •

ويمجد أبو سلمى البذل والفداء في سبيل وطنه • ويعبر عن رفض الشعب الفلسطيني للسياسة التي تتبعها حكومة الانتداب • والرامية الى تهويد البلاد •

---

(١) في عام ١٩٣٤ لجأت الحكومة البريطانية بقوة الحديد والنار وانظمة الطوارئ والقوانين الاستثنائية الى طرد العرب من ديارهم وأراضيهم حيث طرد ١٥و٥٠٠ عربي من اراضي وادي الحوارث • وقد سقط عدد من الشهداء العرب برصاص الجنود والبوليس خلال هذه العمليات •
اميل الغوري - المؤامرة الكبرى - ص ٢٧ - "والحوارث* نسبة الى قبيلة حارثة القحطانية" •
* مصطفى الدباغ - بلادنا فلسطين - ج١ القسم الاول - بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص ٢٣٦
(٢) عبد الكريم الكرمي - ديوان أبي سلمى - دار المودة - بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص ١٤

ويحيي هبات الشعب الفلسطيني وانتفاضاته فيقول في قصيدة " يا بلادي " :

قولي لظالمةِ الشعوبِ	ضَلَلتِ عَنْ سُبُلِ الرَّشادِ
لا تلجأي عندَ الصعابِ	الى الحَفيظةِ والتضادِ
منْ ظُلمِكِ أسْوَدَّ الفَضاءُ	وتدَكْدَكَا قلبُ الجَمادِ
والشعْبُ إن يَغْضَبْ عَليكِ	عَرَفْتِ أهوالَ العوادي(١)

نلمس في هذه الأبيات روح الشاعر المعبرة عن نقمته على سياسة القمع والظلم التي يعاني منها الشعب الفلسطيني .

وقد تركز هدف الشاعر على ايقاظ النفس الانسانية في هذا الشعب بكل حجمها من خلال دفعها الى التمرد على واقعها الردئ وفي نفس الوقت فهو ينذر الاستعمار باسم هذا الشعب بأن ثمن هذا الظلم سوف يكون فادحا .

ومنذ البداية يحدد ابو سلمى جبهة الأعداء مشيرا الى أنها تتمثل بالاحتلال البريطاني ، والحركة الصهيونية ، أما المسألة التي شغلت باله فهي الأحزاب المتصارعة على كراسي الحكم ومواقع الوجاهة .

يقول أبو سلمى في قصيدة عنوانها " شباب " نشرت في جريدة فلسطين اليافية بتاريخ ١٧ تشرين الثاني عام ١٩٣٥ أي قبل ستشهاد الشيخ عز الدين القسام بثلاثة أيام .

انتدابان يَحْرِقان فلسطينَ	وأَرْبَتْ عليهما الأحزابُ
مزّقوا قلبَها وهدّوا قِواها	ويقولون في البلاد شبابُ
يتنادَوْنَ في الظّلامِ ويَمْضُونَ	اذا أشرَقَ السَّنى الخلّابُ

....

يا شباباً يَمْشونَ دونَ قلوبٍ	وعقولٍ كأنَّهمْ أنصابُ
امسحوا التُّربَ عن جباهِكمُ السودِ	فقد عفّرَ الجباهَ التّرابُ
ثم سيروا الى الكرامَةِ والمَجْدِ	ولو سارتِ الرُّبى والهضابُ
ليت شعري متى يجيءُ زمانٌ	في فِلَسْطينَ والشّبابُ غِضابُ(٢)

---

(١) عصام عباسي – جريدة الاتحاد – حيفا – ليالي مع اوراق ابي سلمى – ٣ نيسان ١٩٧٤

(٢) عبدالكريم الكرمي – ابو سلمى – ديوان ابو سلمى – دار العودة – بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص ١٩

نلمح في هذه القصيدة الفهم الكلي والشامل للقضية الفلسطينية منذ بدايتها حيث الربط بين قضية التحرر الوطني الفلسطيني والتحرر العربي باعتبارهما كلا واحدا غير قابل للتجزؤ ، فتحرير فلسطين لا يتم بمعزل عن تحرير الوطن العربي والعكس صحيح .

والشاعر هنا يتوجه في خطابه الى شباب العرب ليهبوا من سباتهم ويستلهموا من التاريخ العربي اسمى معانيه وقيمه فيشعلوها ثورة تعيد الكرامة والمجد الى سالف عهدهما . ولقد كان توجه الشاعر نحو الشباب هو من واقع الرؤية النضالية حيث ثبت له بالدليل القاطع عقم الاعتماد على زعماء أعمتهم مطامعهم الشخصية عن النظر الى الأخطار التي تحدق بالوطن .

والشعب وثورته هما الحقيقة الروحية التي التحم بهما ابو سلمى منذ آمن بأن هذا الشعب اكبر من واقعه يقول في قصيدة " الدماء " تصيح "

اختَ صلاحِ الدينِ عشتِ حرّةً	تأبى لك العلياءُ أن تهوّدي
دَعي عبابةَ اللّصوصِ جانبـاً	واعتَمِدي على بَنيكِ أعتَمِـدي
عَلّي انتدابَ القومِ أو إرشادَهُمْ	فالثورةُ الحمراءُ خيرُ مُرشِـدِ
تنشُرُ ما فوقَ الثّرى قلوبُنـا	ليَنبتَ استقلالُنا بَعْدَ غـد
فيا قلوبَ الثائرين!... انتُدي	على المَدى ويا سفوحُ رَنّدي (١)

يخاطب الشاعر في هذه الأبيات بلاده فلسطين في شعرابنائها الشباب فهم معقد الآمال والرجاء وأصحاب الكلمة الحقيقية . والشاعر في هذه الأبيات يوقظ في الشعب روحه الثورية المناضلة مستعيدا ذكرى الأمجاد التاريخية لتكون حافزا للثورة التي لا تعرف المهادنة فالثورة الجماهيرية هي التي ستحقق الحرية للشعب .

وحين اشتعلت الثورة عام ١٩٣٦ وجاد ابناء البلاد بأرواحهم وامتد لهيب الثورة فوق سفوح الجبال ، شرع أبو سلمى في تمجيد الثورة والثوار بحد

---

(١) ابو سلمى ـ المشرد ـ دمشق ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٦٣ ـ ص ٤٢

أن تحقق هدف من الأهداف التي كان يسعى لتحقيقها :

يقول أبو سلمى في قصيدة عنوانها " جبل النار "

جبَلَ النارِ[1] يا أعزَّ الجبالِ أنت لا زلتَ مَعْقِدَ الآمالِ

....

أيها الثائرون في جبلِ النّارِ سَلاماً يا زينةَ الأجيالِ
لَكُمُ اللّهُ يا حماةَ فلسطينَ زَحمتُمْ مصارِعَ الأبطالِ
تحمِلونَ الأرواحَ فوقَ أكُفٍّ وتبيعونَها ، ولكنْ غوالي
ورصاصاتُكم تمرُّ على الأيّامِ حُمْراً مضيئةً في اللّيالي
تَصْرَعُ الطائراتِ مثلَ طيورِ الجَوِّ تهوي ما فَوْقَ تلكَ التّلالِ
يسمعُ الجندُ في صَداها لَظى الموتِ فلا يَثْبُتون يَوْمَ القِتالِ
أيها الثائرون ، قولوا فانَّ الكَوْنَ يُصْغي الى لهيبِ المَقالِ
والمعُوا في غَياهِبِ الظُّلمِ تَجْلوها فانَّ الجهادَ وَحْيُ المَجالِ
انَّما الحقُّ من بنادِقِكُمْ يَسْطَعُ ، والعدلُ من وراءِ العَوالي
جَبَلَ النارِ لم تخلّدْكَ الا ثورةٌ في سبيلِ الاستقلالِ
جبَلَ النّارِ ، اقْذِفِ النّارَ حتى نُبصِرَ النّورَ يا أعزّ الجبالِ (٢)

....

يصور الشاعر في هذه الأبيات المعارك الطاحنة التي كان يخوضها ثوار فلسطين فوق الجبال ضد الجنود البريطانيين المجهزين بالطائرات والأسلحة الثقيلة ، لا يزيدهم لهب المعارك وهرا وتها الا استبسالا وصمودا .

وأبو سلمى الذى كان على صلة بثورة القسام " ١٩٣٥ " والذى كان يتتبع دروسه التي كان يلقيها في مسجد الاستقلال بحيفا ، يلهب المشاعر ، ويهز العواطف ، ويحشد الأماني وهو يرى ثوار فلسطين " ١٩٣٦م " يفدون الوطن بالدماء والأرواح .

---

(١) جبل النار يقع في منطقة نابلس وقد حمل هذا اللقب بعد أن ضرب أروع الأمثال باستبسال مقاتليه واسترخاص أرواحهم في سبيل الوطن .

(٢) مجلة الرسالة القاهرية - قصيدة جبل النار - العدد ١٦١ - السنة الرابعة ص ١٢٦ (٣ آب ١٩٣٦) .

(٣) مقابلة لي مع أبي سلمى في بيته بدمشق بتاريخ ١٩٧٨/٦/٧م .

وأوحى عزم حكومة الانتداب على انشاء قصر للمندوب السامي البريطاني على جبل المكبر الذى زاره الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما هبط بيت المقدس لأبي سلمى بهذه القصيدة الثارية الصاعقة :

ثورى ولو فوق الذين طغوا على طرق الجهاد أسنة ونصولا
لا بأس ان ضحت دما جنباتها فاليوم لا يغدو دم مطلولا
ايه فلسطين اغضبي وتحرري ضاعت حقوقك بين قال وقيلا
أمهلت ظالمك الممثل وما درى أن التهاون يستحيل صليلا
جبل المكبر طال نومك فانتبه قم واسمع التكبير والتهليلا
فكأنما الفاروق دوى صوته فجلا لنا الدنيا وعز الجيلا
جبل المكبر لن تلين قناتنا ما لم نحطم فوقك الباستيلا(١)

يربط ابو سلمى في هذه الأبيات من قصيدة " يا فلسطين " بين ظاهرتين هما ظاهرة الزحف الجماهيرى المظفر على الباستيل في فرنسا أثناء الثورة الفرنسية ، وبين الزحف الجماهيرى الفلسطيني الباسل على قصر المندوب السامي البريطاني على جبل المكبر وهو ما يحرض عليه الشاعر بهذا الأسلوب الاستفزازى الصارم معبرا فيه عن روح الشعب الثائرة .

....

ان الظروف العصيبة التي أحاطت بفلسطين ، والخطوب الأليمة التي تتابعت عليها ، دفعت اعدادا كبيرة من الشباب العربي الى الانضمام الى اخوانهم في فلسطين ، يجاهدون جنبا الى جنب ويحققون وحدة النضال .

ويجسد أبو سلمى هذه التضحيات بقصيدة تزخر بالحرارة والقوة والعاطفة الصادقة فيقول :

هذى فلسطين استحالت حرما مقدسا فقبلوا الترب الندى

---

(١) أبو سلمى ـ قصيدة يا فلسطين ـ مجلة الرسالة القاهرية ـ العدد ١٥٤ـ السنة الرابعة ١٩٣٦ ـ ص٩٨٩ .

من كل قطر عربي فتيـــةً ثائرةً ترعى أصولَ المَحْتِدِ
هبّت على الوادي وأجرت دَمهـــا متّحِدا ! يا لَلدَّمِ المتّحِدِ

الى أن يقول :

أمَّ العروبةِ اضحكي يا أمَّنـا فكلُّنا اليومَ أبو وَلَــدِ
يهفو الى بيضِ الصِّفاح باسما الحورُ قبلَ الشيخ قبلَ الأمرد (١)

وهو في هذه الأبيات يؤكد على وحدة النضال العربي الذي هو جزء مـــن النضال العالمي من أجل الحرية ، وهو في هذا يحسي حركة الواقع والتاريـــخ على مختلف مستوياتها هبوطا وارتفاعـا .

طريق واحد ، وهدف واحد لا بد منه لاستخلاص الحق ومحق الظلم ، فهي اللغـة الوحيدة التي يفهمها الاستعمار ، وقد أدرك أبو سلمى هذه المبدأ ووعاه جيـدا فقذف بنفسه في التيار الهادر لينشد الحياة بصوت جديد كان العهد الذي يمثلـه قد انقطع منذ زمن بعيد ، متخليا عن كل الأناشيد القديمة التي لم تكن لتزيـد النفوس الا ثقلا على ثقلها .

ايـهِ فلسطينُ ، اقحمي لُجَجَ اللّهيـبِ ولا تحيــدي
لا يَقْهرُ الأغلالَ غيرُ جهـنّمِ الهـولِ الشّديـــدِ
والثورةُ الحمـراءُ نُطعِمُها الجُسومَ مع الكُبـــودِ
أيّان نسـألُ نارَهـا فتُجيبُنـا هـل من مَزيـــدِ
وَوَقودُهـا أهلُ الكرامـةِ من جَحاجحـةٍ وصيـــدِ
يا نارُ لا تتظلمـي وتقبّلـي شـرفَ الوُقــودِ (٢)

....

وفي هذه الأبيات تمتزج الأصالة عنده بروح الثورة بل لعل أصالتـــه تتبدى من خلال الثورة وشعر الثورة . فهل اعلن ابو سلمى اكتفاءه التام بشعبه

---

(١) ابو سلمى ـ من قصيدة عنوانها فلسطين ـ مجلة الرسالة القاهرية ـ العدد ١٦٨ ـ ٢١ ايلول ١٩٣٨ .

(٢) نقلت هذه الابيات عن ناظمها عبدالكريم الكرمي " ابو سلمى " قبل صدور الديوان الكامل عام ١٩٧٨ وقد وردت في الديوان الصادر عن دار العودة في بيروت ـ الطبعة الاولى عام ١٩٧٨ في صفحة ٢٥ .

مستمدا من روح هذا الشعب يقينه الثوري الذي أعرب عنه في الأبيات السالفة الذكر ؟ أحسب أن هذا هو المعنى الذي يقصده أبو سلمى في هذه الأبيات ·

وتمضي الثورة في طريقها ، ويظل باب الاستشهاد مفتوحا على مصراعيه · وتستعمل الحكومة البريطانية كل وسائل الارهاب والتنكيل لقمع الثورة واخمادها · وتصدر محكمة حيفا العسكرية حكمها بالاعدام على المناضل الشيخ فرحان السعدي وهو أحد رفاق ومؤيدي الشيخ عز الدين القسام[1] وذلك في اليوم الحادي والعشرين من شهر رمضان عام ١٣٥٦هـ الموافق للرابع والعشرين من تشرين الثاني " نوفمبر " ١٩٣٧م وكانت التهمة الموجهة اليه ، هي حيازة أسلحة · وقد رفضت المحكمة الاستماع الى مرافعة المحامين كما رفضت شهود النفي ، لهذا امتنع الشيخ الصائم عن الكلام ·

ويخلد أبو سلمى ذكرى استشهاد الشيخ المناضل في قصيدته المعروفة " بلهب القصيد " نجتزئ منها هذه الأبيات :

قوموا اسمعوا من كلّ ناحيةٍ يصيحُ دمُ الشهيدِ
قوموا انظروا القسامَ يشرقُ نورُه فوقَ الصّرودِ[2]
يومي الى الدُّنيا ومن فيها بأسرارِ الخلودِ
قوموا انظروا فرحانَ فوقَ جبينِه أثرُ السجودِ
يمشي الى حَبْلِ الشَّهادةِ صائما مشيَ الأسودِ

---

(١) ولد الشيخ عز الدين القسام في قرية جبلة بسوريا عام ١٨٨٢ ولجأ الى فلسطين في منتصف عام ١٩٢١ بعد أن حكم عليه بالاعدام اثر اشتراكه في ثورة عشائر صهيون المعروفة ثورة الشيخ صالح العلي · وقد بدأ في دراسة وضع اوضاع الجماهير العربية في فلسطين الى ان وجد الفرصة سانحة لتعبئة الجماهير فقادها في حركته التي عرفت باسمه حيث استشهد في معركة غير متكافئة مع أربعة من رفاقه في أحراش يعبد في قضاء جنين وذلك في ٢٠ تشرين الثاني ١٩٣٥·
(عادل حسن غنيم - ثورة الشيخ عزالدين القسام - مجلة شؤون فلسطين - بيروت - كانون الثاني - ١٩٧٢م ص١٨٢)·

(٢) الصرود : جمع صرد وهو المكان المرتفع

سبعون عاما في سبيل الله والحق التليد

حجل الشبابُ من المَشيب بل السنون من المقود (١)

....

في هذه الأبيات يقدم لنا أبو سلمى نموذجين ثوريين فلسطينيين ممثلين بالشيخ الشهيد عز الدين القسام ، والشيخ فرحان السعدى رجل السبعين عاما الذى أعدم شنقا وهو صائم ومكبل بالحديد .

....

وقد عبر أبو سلمى عن خيبة أمله ونقمته على الحكام والزعماء العرب في هذه الأبيات :

انشُرْ على لهبِ القصيدِ شكوى العبيدِ الى العبيدِ

شكوى يردّدها الزمانُ غداً الى الأبدِ الأبيدِ

ايهِ ملوكَ العرب لا ...... كُنتمْ ملوكاً في الوجودِ

يا من يَعزّون الجمى ثوروا على الظلم المبيدِ

بل حرروه من الملوكِ وحرروه من العبيدِ

دكّت عروشَ زيّنوها بالسلاسلِ والوعيدِ

سُحقا لمن لا يَعرفون سوى التعلّلِ بالوعودِ

فأذلّهم وعدُ اليهودِ ولا أذلَّ من اليهودِ (٢)

....

ويمضي الشاعر في ذم الاستعمار وأذنابه أمثال عبدالله فلبي الانجليزى والجنرال مود ، كما استمر في كيل الذم الى الحكام العرب محرضا شعوبهم على اسقاطهم مستعملا الهجاء اللاسع والسخرية اللاذعة .

اني لأرسلها مجلجلة الى الملك السعودى

أستار مكة كيف تسدلها على الخصم اللدود

---

(١) نقلت عن ناظمها عبدالكريم الكرمي - أبو سلمى - وهي كما جاءت في الديوان - دار العودة ط ١ ١٩٧٨ - ص ٢٤

(٢) المصدر السابق ص ٢١

لا تطهُر الدنيـــا وفيها الانجليزُ علــى صعيــد
لو كان ربّـــي انجليزيـــاً دعوتُ الى الجُحـــودِ (١)

لقد أدرك أبو سلمى بوعي المناضل واحساس الشاعر حقيقة الواقع العربـــي الذي كان عليه عام ١٩٣٦ فكانت تلك الثورة التي بدأت في نفسه وأطلقها فـــي الواقع السياسي العربي •

... ...

ويصور أبو سلمى جرائم الانجليز في فلسطين وما ارتكبوه من مظالــــم وهم يخمدون الثورة فيقول :

هل تشهدونَ محاكمَ التفتيشِ في العصرِ الجديــــدِ
قوموا انظروا الأهلينَ بينَ الوعدِ ضاعوا والوعيدِ
ما بين ملقىً في السجونِ وبين ملفىً شريـــدِ
أو بينَ أرملةٍ تولول أو يتيمٍ أو فقيـــــدِ
أو بين مجهول يَسري عَصْفُ المنونِ من التَّشـــيد
قوموا انظروا الوطنَ الذبيحَ من الوريدِ الى الوريدِ
تتزاحَمُ الأجيالُ داميةَ الخُطى حَـوْلَ اللُّحـــودِ (٢)

....

يصور الشاعر في هذه الأبيات حالة الأهل الذين ضاعوا بين وعد بلفــــور والتهديد بالسحق والابادة • فهم بين سجين وأرملة ومنفي ويتيم وفقيد فــــي وطن مذبوح من الوريد الى الوريد • ويحذر الشاعر من النتائج التي ســـوف يؤول اليها تقديم لواء الاسكندرونه هدية من فرنسا الى تركيا بعد سلخه مــــن الوطن الأم سورية • مؤكدا على أن خلاص هذه الأمة هو على أيدي جماهيرهـــا التي يجب ان تعلن الثورة كما في فلسطين • فالثورة هي الخلاص، والحريـــة تشترى بالدم وطريق الثورة ليس نزهة ، ولكنه مليء بالمشقات والتضحيات •

---

(١) نقلت هذه الأبيات عن ناظمها وهي كما وردت في الديوان عن دار العودة في بيروت ـ ط ١ ١٩٧٨ ص ٢٥

(٢) المرجع السابق

وفلسطين في شعر أبي سلمى ليست بقعة جغرافية فحسب ، بل هي أيضا طمـــم الثائرين كلهم لأن حالات الاحتلال والظلم والغزو القائمة في فلسطين يجـــب أن تكون بؤرة اهتمام كل الثوار • ففلسطين على الرغم من صغر مساحتها ، الا أنها محملة بتراث من النضال عبر سنوات مريرة طويلة ، وهذا هو شعبها يواصـل زحفه على لهب انتفاضاته المتواصلة مصمما على تحقيق النصر على الغـــزوة الصهيونية والاحتلال • وفي ظروف صعبة وشاقـــة •

اما الجامعة العربية فهي كيان هزيل يضم دولا تابعة بشكل أو بآخـــر للاستعمار فالجامعة والحالة هذه ما هي الا دمية بيد الاستعمار في وقت يركـــب فيه أبناء الشعب الفلسطيني الصعاب مسلحين بالميراث الحضاري لشعبهم حيـــث كان دائما في طليعة وقلب كل الشعوب التي تؤمن بالحرية وتقدسها ، ومما رســـة الثورة على الظلم والجهل والفقر من أجل عالم واحد تتوفر فيه الحريـــــة لكافة البشـر •

فلسطينُ يا طُعْمَ الثائريـن	فلسطينُ يا وطَنَ الخالديـنْ

....

وشعبُك يزحفُ فوقَ اللهـيـب	ويُقسم باسمكِ أن لا يليـنْ
لنا دولٌ ليتَها لم تكـــن مطايا	وأذنابَ مستعمريـــــن
وجامعةٌ لم تزلْ دميـــــةً	يَعفُّ اليها الرجيم اللعيـن

....

وحرية الفكـر نحن الذيـــن	رفعنا لواهـا كما تعلمـين
ونحن الذين نثور على الظلم	والجهل والفقر في كل حـين
ومبدؤنا عالـم واحـــــد	وتخليد حرية العالمـــينْ (١)

....

وانطلاقا من فهم أبي سلمى لقضية الوحدة العربية التي هـي الوحـــدة

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان ابي سلمى - دار العـــودة بيروت - ط ١ ١٩٧٨ ص ١١ - ١٢

بالثورة يمجد أبو سلمى الشهيد المجهول رمز هذه الوحدة فيقول على لسان الشهيد المجهول :

انى أخ للثائرين ووالـد ... للناشئين وللحياة رسول

أنا في ديار العرب شارة مجدهم ... أنا رمز وحدتهم ... أنا المجهول (١)

وعندما بدأت الثورة تضعف ويستشهد قادتها واحدا بعد الآخر وقف أبو سلمى محللا ومتسائلا عن أسباب ذلك ، وببساطة ووضوح وضع أبو سلمى يده على الجرح ، فقد كانت الثورة المضادة التي غرسها الاستعمار والصهيونية ويساعد على وجودها ضعف وهزال القيادة السياسية الفلسطينية آنذاك وفي هذه الابيات من قصيدة " أرض الجهاد " حدد أبو سلمى المشكلة مؤكدا أن الثورة سوف تنفجر من جديد .

وطني ! .. أنت بقايا أمـلٍ ... خضّبته عَبَرَاتٌ من فؤادى

ما الذى جرّح جنبيك .. أجبْ ... كيدُ ابنائِك أم كيدُ الأعادى ؟

لا تقل هذا ترابٌ جامـدٌ ... انما الأحياءُ في هذا الجمادِ

واحفظِ الأجيالَ في ذاك الثرى ... فالدمُ الحرُّ مِن التُّربِ يُنادي (٢)

وبوعي من يدرك ما يدور حوله فهو يفضح الاستعمار الرازح فوق أرض الوطن العربي بوجهيه الفرنسي والبريطاني :

يا حادبينَ على الضعيف وبكدكُم ... تاريخُكم في صفحتيه العـارُ

فهنا تجرّون القيودَ دوامِيـا ... وهناك في أيديكمُ الأزهـارُ

وهنا الشياطينُ استجارت منكـم ... وهناك أنتمْ قُبَّـةٌ ومـزارُ

لا تذكروا حقَّ الضعيفِ فكلُّكُـم ... مستعمَرون وكلّـه استعمـارُ (٣)

وعندما جاءت اللجنة الملكية البريطانية الى فلسطين عام ١٩٣٧م وأصدرت

---

(١) عبدالكريم الكرمي - أبو سلمى - ديوان أبي سلمى - دار العودة - بيروت - ط ١ ١٩٧٨ ص ٢٩

(٢) عبدالكريم الكرمي - أبو سلمى - المشرد - دمشق - الطبعة الثانية ١٩٦٣ ص ٤٧ .

(٣) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان ابي سلمى - مطبعة العودة - بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص ٣٨

تقريرها الذى أوصت فيه بتقسيم فلسطين الى ثلاث مناطق : عربية ، وصهيونية ، وانجليزية . سخر ابو سلمى مما تضمنه التقرير ببيتين من الشعر قائلا :

أهدوا بلادى لجنة ملكيـــة ... حتى تحلّ مشاكل المستقبـــل
درست فما وجدت سوى تقسيمها ... حلاً فكان الحلّ اكبر مشـكل (١)

ولكنه يتابع بعد ذلك ليؤكد أن الشعب صاحب القرار فيما يتعلق بوطنه فهو الذى يقاتل ، وهو صاحب المصلحة الحقيقية في التحرير والاستقلال وقيادته السياسية لا يحق لها أن تبصم على أى قرار يتعلق بمصيره أو مستقبله ، وهكذا كان ، فقد رفضت اللجنة العربية العليا القرار بضغط من الجماهير التي كان الشاعر واحدا من ابنائها :

ايـه فلسطينُ الجريـحُ ... قفـي على طُهرِ الأزارِ
لا تسألي المستعمريـنَ ... بل اسألي أهلَ الديارِ
يا أيُها الشعبُ النبيـلُ ... أمنتَ من شر العِثارِ
أنتَ الذى تَهدى السبيـلَ ... من اليمينِ الى اليسارِ
قرر مصيرك أنتَ لا مـن يَبصمونَ على القـرارِ (٢)

وعندما صدر قرار تقسيم فلسطين بين العرب والصهاينة انفجر ابو سلمى في قصيدة لها سمات القنبلة والقلب في آن معا فبمقدار ما يحب أبو سلمى فلسطين ، بمقدار ما يناضل من أجل تحريرها وبمقدار ما يناضل من أجلها بمقدار ما يحبها أكثر ، انها فلسطين العربية الواحدة التي يهون عليها المصاب ، ويمدها بمواصلة النضال حتى النصر .

وطني عِش أبا العروبةِ وأسلـمْ ... وطني حِليةُ الزمانِ تبسّـم
قسموا قلبك الموشح بالنـور ... وتأبى العلى له أن يقسّـم
قد نسجنا ثيابَ عرسكَ حُمْـراً ... إنها من قلوبنا ومن الـدمْ
ورفعنا الراياتِ في جبلِ النـار ... وسرنا الى القضاءِ المحتّم

....

قد كفرنا بكم ، وبالشعب آمنـا ... وانا بِكفرنا ليسَ نأثـم (٣)

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان ابي سلمى - مطبعة العودة - بيروت - ط ١ ١٩٧٨ ص ٣٩

(٢) المرجع السابق ص ٤٨

(٣) المرجع السابق ص ٥٧

وكانت النكبة ، وانا بشعب فلسطين يجد نفسه بلا وطن ! وانا بأدباء فلسطين وشعرائها يهيمون في كل قطر يحملون جراحاتهم بين ضلوعهم ، وانا بالصورة تبدو واضحة .

شعب مشرد يقيم في بيوت وأكواخ في المدن والقرى أو الثكنات والمساجد والأديرة والمباني القديمة التي يمكن أن تدبر لهم في البلاد العربية المضيفة .

وبمراجعة متأنية للشعر العربي والفلسطيني الذى أعقب النكبة مباشرة تطالعنا ملامح الذهول وعدم التصديق والحيرة . والسبب في هذا ، أن الأثر الحاد الذى خلفته النكبة في النفوس طغى على ما عداه ، وجعل الشاعر كغيره من بني قومه ، يفقد توازنه النفسي لتصبح مشاعره انعكاسا للواقع النفسي الجماعي .

ولعل أهم ما يميز أبا سلمى عن غيره من الشعراء بعد النكبة ، أنه لم يقع أسيرا للذهول والحيرة اللذين وقع فيهما معظم الشعراء الفلسطينيين والعرب بعد النكبة . لأنه كان على وعي تام بما جرى قبل أن يجرى . فظل محافظا على توازن نفسي حال بينه وبين المشاعر السلبية ازاء هذا الحدث .

غير أن الألم الحاد والاحساس بالمأساة ، والنظر بعين دامعة مرة وغاضبة مرة أخرى ، طبعت شعره بنغمات تبدو اكثر حدة مما كانت عليه قبل النكبة -كل ذلك من دون أن تحول بينه وبين الرؤية الصحيحة . وقد زاد من حدة هذا الألم ما جبل عليه ابو سلمى من عاطفة رقيقة لا تستطيع أن تمنع عنه البكاء - بكاء وليس ندبا يظهر في ايقاع رثائي مملوء بالمرارة والأسى والتحفز ، مع ما يصاحب ذلك من هجاء لاذع لأوضاع الوطن العربي التي تسير أموره بهذه الطريقة البعيدة عن قيمه وتاريخه .

يقول أبو سلمى في قصيدة " أين المواسم ؟! "

ما زال منديلُ الوَداعِ على	عهدِ الهوى والقلبُ ، لم يَجِد
ندیان .. من دمعي القديم وقد	ورويته بدموعيَ الجددِ

....

أين العواصمُ ؟! كنتُ أذكرها ... أحمي الذي أحمي على لبَدِ

اني لألمحُ خلفَ أدمعها ... عارَ الزمانِ وسُبّةَ الأبدِ

تلك الشعاراتُ التي رفعت ... يا تحسها في الساحِ من مددِ

حملت لنا الاوزارُ مثقلةً ... من يبتغي بيتاً بلا عَمَد ؟ !

....

زعماءُ ساوى الذلُّ بينهم ... لا فَرق بين العيرِ والوَتِدِ

باسمِ العروبةِ ، يفتِكونَ بها ... ويقطّعون وشائجَ العَضُدِ

دولٌ .. وأجنادٌ .. وألويةٌ ... لا تلتقي .. الا على حَسَدِ (١)

وقد تناول أبو سلمى آلام اللاجئين المادية والنفسية . يقول أبو سلمى في قصيدته " النازحون "

لغة الدمع أم بيانُ الجراح ... وصدى اليتمِ أم أنينُ الأضاحي

يا فلسطينُ ! .. اين تربتُكِ العذراءُ ... تفتضها يدُ المجتاحِ

حرّ قلبي على الترابِ خضيباً ... بشظايا الأعراض والأرواحِ

أيها النازحون كيف تهاويتم نجوماً على غريبِ البطاحِ

أين أنتم ! .. ان القلوبَ تنادى فيحول النداءُ وَجْعَ نُواحِ

ليتكم في ملاعِبِ الحربِ كنتم في فلسطين وحدكم في الساحِ

لو حملتم عِبءَ القضيةِ أنتم وكفرتم بعصبةِ الأشباحِ

لجلوتم عرائسَ المجدِ فوق الأفقِ بين السّنى وَخفقِ الوشاحِ

ودروبُ العلى اضاءت وقد سرتم وراءَ الظُّبى وَخلفَ الرِّماحِ

لو دفنتم هناك طي ترابٍ طهرته الدماءُ قبلَ الصباحِ (٢)

لقد نال الاحباط السياسي والوطني من نفس أبي سلمى فأحس معه الألم والمرارة والغضب ، الا أنه مع هذا الشعور بالألم ، فانه لم يفقد روحه النضالية ، وان صدرت من شعره اشارات تنبيء بالمأساة وتصور الواقع

---

(١) عبد الكريم الكرمي ـ ابو سلمى ـ ديوان ابي سلمى ـ دار العودة ـ بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص ٣٣٨ ـ ٣٣٩

(٢) المصدر السابق ص ١٦٨

الذي آلي اليه قومه وشعبه •

وقد صور لنا في الأبيات السابقة تربة فلسطين فشبهها بالفتاة العذراء التي افتضتها يد المجتاح الغاصب ، وتخضب ترابها بضحايا الأعراض والارواح وتساقط اللاجئون نجوما على غريب البطاح •

وهو في الأبيات الأربعة الأخيرة يسخر من الدول العربية التي ابعدت الفلسطينيين عن ساحة المعركة في الوقت الذي لو سمح لهم بحمل عبء القضية أو المشاركة في واجب الدفاع عن وطنهم لحققوا النصر أو لنالوا شرف الشهادة وغسلوا بدمائهم عار الهزيمة •

ويواصل أبو سلمى بأسلوبه الساخر فضح تهاون زعماء البلاد وتآمر الحكام العرب فيقول في قصيدة المشرد :

يا رفاقَ الدهر هل شردكُم	في الورى غَدْرُ عدوٍّ أم محبّ !!
زعماءٌ ! .. دنّسوا تاريخَكُم	وملوكٌ ! .. شردوكم دونَ ذنبِ
وجيوشٌ غفر اللّهُ لها	سلمت أوطانَكم من غيرِ حربِ
دولٌ تحسبها شرقيةً	وانا أمنت فالحاكم غربي
يوم هزّت للوغى راياتِها	حكمت فيه على تشريدِ شعبِ (١)

وبهذا ينفذ الشاعر الى ضمير الشعب الفلسطيني ليجوس في واقعها الاجتماعي والسياسي ليستلهم من هذا الحال مادة لشعره الغاضب•

ويمضي شاعرنا في سخريته اللاذعة من الحكام الذين كانوا سبب النكبة فيقول في قصيدة " درب الدموع "

وسألت عن وطني ومن أودى به	هل كان أهلي الأقربون أم العِدا ؟
وبدا السّراب على المشارف ماثلاً	وأراه مثلَ اللاجئين مشرّدا
عجبا أفي دربي الأريجُ مخيّما	والنورُ في قلبِ المَموق وما اهتدى (٢)

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - المشرد - ط ٢ ١٩٦٣ ص٦

(٢) عبد الكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان ابي سلمى - دار العودة - بيروت - ط ١ ١٩٧٨ ص٢٩٦

حميت ديار العرب ثم صهرتها — ووحّدتها قلباً وسيفاً ومقصدا
وها هي ما بين الديار غريبة — ترى دولا شتّى وشملاً مبددا
وعلمتنا أن نعبدَ الربَّ وحده — فما بال هذا الرب فينا تعددا
وحررتنا من كل قيد وذلة — وانا نرى من فوق أرضك أعبدا [1]

ورغم أن أبا سلمى كان واحدا ممن اكتوى بنار النكبة ، الا أنه استطاع ان يخرج من بين الركام ليكون النفير الذى يطلق اصوات الاستنفار ، ويثير في نفوس شعبه وأمته نبراس الأمل ، ويستنهضهم ليكونوا الزلزال الذى يهز واقع التمرد ، والديناميت الذى يدمر أوضاع التخلف والفساد . وهذه الوحدة الثورية هي مقدمة للوحدة العربية الشاملة التي هي الطريق الوحيد الى تحرير فلسطين .

ألا ثورة ملء الدنى عربية — تطهرنا بالنار نفسا ومولدا
تقلبنا معتزة فوق جمرها — ولن يخبو الجمر النبيل ويخمدا
الى أن يغيب الليل أسود حالكا — ويغمرنا فجر الفتوح موردا
هناك يتيه المصطفى عندما يرى — لنا علما فردا وجيشا موحدا
تطل علينا وحدة عربية — وفي ظلها يحيا الزمان مغردا
وتمشي فلسطين الحبيبة حرة — تحيي رسول الله والعرب أحمدا [2]

وأبو سلمى يؤمن بالثورة ويحرض عليها ، ولا يرى أى مستقبل لقضية وطنه الا بها ومن خلالها ، فالثورة عنده هي المستقبل ، وهي صوت الغد الذى يجب أن يصدر من اعماق الحاضر .

ان الحقيقة التي يستلهمها ابو سلمى ، حقيقة روح الشعب التي عرف أول ما عرف وهي التي تجعله لا يعرف غير هذا الطريق .

يقول أبو سلمى في قصيدة " دم أهلي "

انه الشعب وحده يعقد الحق — على النصر ... راية للفخار
وحده من يقود في طرقات الليل ، جيش الصباح والأنوار
يرد الموت والمفاوز ظمآن ، ولا يستسيغ طعم الغبار [3]

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان ابي سلمى - دار العودة - بيروت - ط ١ ١٩٧٨ ص ٣٤٩
(٢) المرجع السابق ص ٣٥١
(٣) المرجع السابق ص ٣١٦

حميت ديار العرب ثم صهرتها ... ووحدتها قلباً وسيفاً ومقصدا
وها هي ما بين الديار غريبة ... ترى دولا شتى وشملاً مبددا
وعلمتنا أن نعبد الرب وحده ... فما بال هذا الرب فينا تعددا
وحررتنا من كل قيد وذلة ... وانا نرى من فوق أرضك أعبدا (١)

ورغم أن أبا سلمى كان واحدا ممن اكتوى بنار النكبة ، الا أنه استطاع ان يخرج من بين الركام ليكون النفير الذى يطلق اصوات الاستنفار ، ويثير في نفوس شعبه وأمته نبراس الأمل ، ويستنهضهم ليكونوا الزلزال الذى يهز واقع التمرد ، والديناميت الذى يدمر أوضاع التخلف والفساد . وهذه الوحدة الثورية هي مقدمة للوحدة العربية الشاملة التي هي الطريق الوحيد الى تحرير فلسطين .

ألا ثورة ملء الدنى عربية ... تطهرنا بالنار نفسا ومولدا
تقلبنا معتزة فوق جمرها ... ولن يخبو الجمر النبيل ويخمدا
الى أن يغيب الليل أسود حالكا ... ويغمرنا فجر الفتوح موردا
هناك يتيه المصطفى عندما يرى ... لنا علما فردا وجيشا موحدا
تطل علينا وحدة عربية ... وفي ظلها يحيا الزمان مغردا
وتمشي فلسطين الحبيبة حرة ... تحيي رسول الله والعرب أحمدا (٢)

وأبو سلمى يؤمن بالثورة ويحرض عليها ، ولا يرى أى مستقبل لقضية وطنه الا بها ومن خلالها ، فالثورة عنده هي المستقبل ، وهي صوت الغد الذى يجب أن يصدر من اعماق الحاضر .

ان الحقيقة التي يستلهمها ابو سلمى ، حقيقة روح الشعب التي عرف أول ما عرف وهي التي تجعله لا يعرف غير هذا الطريق .

يقول أبو سلمى في قصيدة " دم أهلي "

انه الشعب وحده يعقد الحق ... على النصر ... راية للفخار
وحده من يقود في طرقات الليل ، جيش الصباح والأنوار
يرد الموت والمشارف ظمآن ، ولا يستسيغ طعم الغبار (٣)

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان ابي سلمى - دار العودة - بيروت - ط ١ ١٩٧٨ ص ٣٤٩

(٢) المرجع السابق ص ٣٥١

(٣) المرجع السابق ص ٣١٦

لا عجب أن يغني أبو سلمى أصدق ألحان النكبة وأعمقها وجدانا وعاطفة لأنه صدر فيها عن واقع وطنه ، وحكى عن التجارب التي عاشها بنفسه ، والمآسي التي رآها بعينيه وما رواه كمن سمع . ولقد كان الدكتور ماهر حسن فهمي محقا حين وصف هذه الحالة بأنها غربة شعب ممزوجة بعذاب لا نهاية له [1]، وهي غربة يستدعيها البعد عن الوطن والحنين اليه ، فيحمل التعبير عن الغربة في هذه الحالة اعترافا بواقع وادانة له ومحاولة للتخلص منه .

ولئن كانت الغربة تعني الضياع والشقاء ، فان الحنين للوطن والعودة الى ربوعه يعني الحياة والبهجة ، ولئن كان الماضي عزا ولى وبهجة تلاشت ، فلا أقل من أن يحن الشاعر الى دار طفولته وعهده فيها ويتذكر أمسياتها الضاحكة ، وملاعب صباه ورفاق عمره يوم كان هانئا في وطنه .

أختاه لا تبكي على أوطاننا　　فالتربة السمراء في انتظارنا
تلثمها بالحلم حتى تلتقي شفاهنا على سنى تذكارنا
تحملنا الأشواق كل ليلة　　الى ربانا والى انهارنا
طيري معي الى ملاعب الصبا　　فانها تصبو الى جوارنا
كيف نظل في دروبها ومن　　قلوبنا النور ومن أبصارنا (٢)

ومن حنين الأهل الى الأرض الى لهفة الأرض على لقاء الأهل المشردين ، وقد كان أبو سلمى موفقا في وصف هذه اللهفة المزدوجة التي يشترك بها الشعب ووطنه .

الى متى ؟ .. وأرضنا تنتظر　　طال السرى وما أطل القمر
مواكب النصر التي مرت بنا　　ليس لها على الدروب أثر
أسأل عن أهلي ومن يسمعني　　أين بقايا الأهل ! هل هم بشر
الغرباء في ربوع أهلهم　　يبكي على أهلي الدجى والحجر (٣)

---

(١) د . ماهر حسن فهمي - الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث - معهد البحوث العربية القاهرة ١٩٧٠ ص ٨٤

(٢) عبدالكريم الكرمي - أبو سلمى - اغنيات بلادي - الطبعة الاولى - دمشق - ١٩٥٩ . ص ٥٤

(٣) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - المشرد - الطبعة الثانية ١٩٦٣ دمشق ص ٧١

ويصور أبو سلمى وطنه بالضحية ثم يسأل عن المخلص الذى سيأتي لانقاذ هذا الوطن المطعون فيقول :

كيف أخفي الهوى وشعرى جناح كلما رفّ بالدموع تصتر
كيف أنسى ؟! .. ألم تسر في فلسطين على ذلك التراب الأطهر
تتفنى نراته بالبطولات فتطوى مع العصور وتنشر
وطني ! .. يا ضحية الظلم مالي لا ألاقي غير الجبين المعفر
من يواسي جرح الزمان اذا كان المواسي في الحي طاعن خنجر[1]

وهذه صورة أخرى مملوءة بالحنين ، ولكنها مملوءة بالقوة أيضا ، اننا نجد روح الكآبة واليأس تختفي لتطل صور الأمل المشرقة في استرداد الحق المغتصب .

غدا سنعود والأجيال تصغي الى وقع الخطى عند الاياب
نعود مع العواصف داويات مع البرق المقدس والشهاب
مع الأمل المجنح والأغاني مع النسر المحلق والعقاب
مع الفجر الضحوك على الصحارى نعود مع الصباح على العباب
مع الرايات دامية الحواشي على وهج الأسنة والحراب[2]

وتتحول القصيدة الى سؤال ، علامة استفهام كبيرة على فم فتاة أبي سلمى وتمتزج مشاعر الحب بين المعشوقة الفتاة والمعشوقة الأرض ويتداخل احساس الشاعر بالغربة واحساسه بالوطن ، فهو في هذه الثنائية يفرغ شحنة من همومه ليطهر نفسه من كبت المشاعر وتأزمها .

هل تسألين النجم عن دارى وأين أحبابي وسمارى
دارى التي اغفت على ربوة حالمة بالمجد والغار

---

(١) عبد الكريم الكرمي - ابو سلمى - المشرد - الطبعة الثانية ١٩٦٣ - دمشق ص ١٩ .

(٢) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان أبي سلمى - دار العودة - بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص ١٧٢

الشمس لا تضحك الا لهـا — تهدى اليها وشي أستار
النبتة الخضراء في ظلها — تاريخ اشواقي وآثاري
والكرم ما أرحم أفياءه — أحلام عشاق وأطيار
من عرق الفلاح انداؤه — أكرم من طل وأمطار
داري !.. وفي عيني بعد النوى — الا ترى خيالها الساري ؟!
ضحية الحسن !.. وكم فتنة — تجني على حسناء معطار
جار عليها مدع بالهوى — جور عدو في الحمى ضار
داري لئن لم يبكها جاحد — فالعالم الحر بكى داري (١)

ومن لهيب الشوق الى وطنه ينطلق الشاعر فيضرم النار في القلوب مستمدة من نار قلبه .

كلما قلت أطل الفجر غابا — أترى تغدو فلسطين سرابا
وانا الدمع روى عنها الهوى — وجلا صورتها ذابت وذابا
وانا ما الدم روى أرضها — حالت الارض به قفرا يبابا
مسح الأهل وسومات الخطى — لم تجد خلف المنى الا ترابا (٢)

والحق أن هذه الابيات تنطق بما يعتمل في نفسه من أسى وحسرة على وطنه الذى لا يراه الا من خلال الدموع ، كأن صورته تتباعد أو تذوب .

ويستحيل كل شيء في وجدانه الملتهب شوقا الى بلاده الى نغم معطر يحمل أنفاس الوطن . فهو يتأمل سفوح بلاده وسهولها من بعيد مشيدا بشعبه وأهله متسائلا عما اذا كان وطنه ما زال عربي السيما والمرابع أم أنه قد تهود وأصبحت معالمه التاريخية وحضارته العربية أثرا بعد عين . يقول ابو سلمى في قصيدة « الأفق الحبيب »

طال دربي فهل تضيء جراحي — وعلى السفح هل يرف جناحي
قطرات الدم المشعة من قلبي كانت ، ولا تزال صباحي

---

(١) عبد الكريم الكرمي – ابو سلمى – المشرد – الطبعة الثانية – دمشق ١٩٦٣ ص ٥٣ – ٥٦

(٢) المرجع السابق – قصيدة الدم المطلول – ص ٥٨

فمتى تلتقي مع الشام أرضـــي ومتى تلثم البطاح بطاحـــي

قد حشدنا الأشواق في المرجة الخضراء مزفوفة بأحلى صـــداح

عابقات بالطيب من عبد شمـس مشرقات مع الوجوه الصباح

ليت شعري ! .. رايات مروان تعلو أم شظايا خيامنا في المـــراح

هل سرايا بني أمية في " الرملة " واللد أم طيوف أضاحـــي(١)

نلمس في هذه الأبيات ذلك التفاعل الحقيقي مع التراث ومن هنا يكمـــون ارتباط الهم الفلسطيني بالهم العربي ، ففلسطين بالنسبة للشاعر هم خـــاص لكنه هم عربي يعيش هذه القضية بكل جوارحه ويريد أن يعيشها كل عربي بكـــل جوارحه من هنا جاء اتكاؤه على التاريخ العربي الذى يتخذ منه منحنى واضحـــا وبهذا تصبح همومه بؤرة لهموم أكبر أعمق وأشمل .

وها هو بعد عشر سنوات من النكبة يمجد الوحدة التي قامت بين مصـــر وسوريا ولكنه يستلهم روح الانتفاضة التي هبت في جبل النار مؤكدا علـــى أن النكبة الفلسطينية هي من أهم العوامل التي أدت الى تلك الوحدة التي لـــن تكتمل الا بفلسطين .

باسم أطفال بلادى زهفـــوا في الدروب الحمر ذلا وهوانـــا

بالضحايا كتبوا تاريخنـــا بالخيام السود تبكيهم زمانـــا

وشظايانا اللواتي وجـــدت بين أهلينا ولم يبق سواتـــا

لن تتم الوحدة الكبرى انا لم يلح في الوحدة الكبرى هما نا(٢)

وكان الشاعر قبل ذلك قد تمنى تحرير قناة السويس مشيرا أن بعدهـــا سوف تزحف الجماهير على طريق فلسطين .

اليوم حررت القناة وفي غد نمشي على صوت الشعوب الهادر

فنرى فلسطين الحبيبة حرة تختال بين فوارس وحرائـــر (٣)

---

(١) عبدالكريم الكرمي - أبو سلمى - ديوان ابي سلمى - دار العودة - بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص ٢٥٦

(٢) المرجع السابق ص ٢٠٥

(٣) المرجع السابق ص ٢٠٧

ويتصدى الشعب العربي المصري للعدوان الثلاثي الذي دبرته بريطانيا وفرنسا بالاشتراك مع اسرائيل في التاسع والعشرين من تشرين الأول (اكتوبر) سنة ١٩٥٦ وكانت معركة بورسعيد الخالدة ، وكانت انتفاضة الشعب العربي لا في مصر وحدها بل في الوطن العربي كله . وتجسيدا للبطولة التي أبداها شعب بورسعيد واشادة بكفاحه وتصديه للغزاة يحيي أبو سلمى أبطال بورسعيد مؤكدا أن انتصارهم على العدوان هو انتصار لقوى التحرر في الوطن العربي ، وشعلة في طريق تحرير فلسطين .

يا بور سعيد ! .. تحية عربية — تسمو اليك من المشوق الشاعر

وعشقت فيها من حجارتك الشذا — والنور فيها من سواد الناظر

اليوم حررت القناة وفي غد — نمشي على صوت الشعوب الهادر

فنرى فلسطين الحبيبة حرة — تختال بين فوارس وحرائر (١)

ويتحرك المد الثوري من القاهرة الى أقطار أخرى من العالم العربي فيثور شعب العراق في ١٤ يوليو (تموز) ١٩٥٨ ويقف أبو سلمى من هذه الثورة وقفة تمجيد واشادة ، فمن قصيدة عنوانها : بغداد يقول :

شعبي هنا وهناك ثائر — فجر اللهيب اليوم ساحر

شعبي أطل مع الصباح — مخضب الجنبات هاجر

شعبي الذي نشر اللهيب — من العراق الى الجزائر

بغداد قد مست يد — الأبطال جيدك والغدائر

طيب البطولة لا تقل — طيب الربيع أو الأزاهر (٢)

ووسط الضجيج الاعلامي والتعبئة الشعورية والعاطفية التي لم تنجح الا في تفريغ شحنات التهديد والوعيد الغوغائي غير المخطط ، يقف شاعرنا متخطيا هذه التهويمات ليوقظ أبناء وطنه من غفوتهم موجها اياهم الى طريق

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - أغنيات بلادي - الطبعة الأولى - دمشق ١٩٥٩ ص ٧٥

(٢) المرجع السابق ص ١٣٥

الثورة المسلحة لأنه سبيل العودة •

يا فلسطين ! أنت أنشأت شعبا لم ينم ساعة على الاضطهاد
حارب الظلم منذ كان فتيا للشعب يودى بالسيف والجلاّد
لا تقولوا هذى بقايا فلسطين وفيها دنى من الأمجاد
سيعود المشردون اليها اسمعوها مع الضحايا تنادى (١)

ويستمر في التأكيد على هذا المعنى ، ويدعو الشعب الى الثورة فيقول :

يا فلسطين ! •• لا تراعي فانا لم نزل في الدنى نخوض العبابا
معنا في نضالنا كل شعب عربي يرى الحياة غلابا
ينجلي الظلم والظلام اذا ما التهب الشعب في القتال التهابا
ويظل الفجر الحبيب ضحوكا ويضيء الدروب والأحبابا
وتنادى أرض البلاد بنيها فيكون المشردون الجوابا (٢)

ويتساءل عن موعد انفجار البركان الثوري الذي يفجره الشعب الفلسطيني ليحقق الانتصار على القوى الباغية ، ويتم التحرير •

اللاجئون والرماد فوقهم متى •• متى •• بركانهم ينفجر
هذى فلسطين تنادى شعبها السفح والربوة والمنحدر
وشعبها لو تعلمون جيشها عند اللقاء • شعبها المنتصر (٣)

ويواصل دعوته الى الثورة مؤكدا أن المآسي التي عاناها الشعب الفلسطيني والدماء التي بذلها في كفاحه الطويل المرير قد وحدت بين الشعب قدرا ومصيرا •

وحدتنا دماؤنا في الميادين وماض دام لنا ومصير
داميات الحدود على غلل الدمع تنادى متى يكون العبور
ومتى يهزج التراب على وقع خطى اهلنا ويعلو النفير (٤)

وكانت الفجيعة بهزيمة حزيران (يونيو) سنة ٩٦٧ وقد كان من الممكن لهذا الايمان أن تزعزعه النكسة التي تعتبر افدح مأساة في تاريخ العرب

---

(١) عبدالكريم الكرمي ـ ابو سلمى ـ اغنيات بلادى ـ الطبعة الاولى ـ دمشق ١٩٥٩ ص ٩٧
(٢) المرجع السابق ص ١٢٩
(٣) عبدالكريم الكرمي ـ ابوسلمى ـ من فلسطين ريشتي ـ الطبعة الاولى ـ دار الاداب ـ بيروت ١٩٧١ ـ ص ١٥
(٤) المرجع السابق ص ١٧

الحديث ، نظرا للتمزق النفسي الذى أصاب النفس العربية •

ولكن فكما كان عدوان حزيران وفجيعته بداية مرحلة بالغة الخطورة في الوجود الاستعماري والصهيوني في منطقة الوطن العربي ، فقد كان أيضا بداية مرحلة جديدة حاسمة في النضال العربي الفلسطيني ضد هذا الوجود •

ولقد كان ابو سلمى سباقا في استجلاء احباطات الواقع العربي مقررا أن على حاملي ألوية العار والهزيمة أن يتخلوا عن حومة الميدان ويسلموا الشعب أمره ، ويتساءل أبو سلمى عن موعد تفجير الثورة الفلسطينية التي يرى أنها البديل الوحيد لغسل عار الهزيمة وتحرير الأرض المغتصبة •

أيها الحاملون ألوية العار تخلوا عن حومة الميدان
سلموا الشعب أمره واستريحوا يا حماة الأصنام والأوثان
كل جيش يكون حربا على الشعب ذليل اذا التقى الجمعان
عاصف بين أهله ونسيم للمغيرين شأن كل جبان
يوم هبت على حدودكم النار جثوتم أمام كل دخان
يأنف الترب أن تمروا عليه وتصاب الرمال بالغثيان
كل يوم تجدون الشعارات مزارا من أزمة الوجدان
بعد حرب التحرير ، قد أصبح اليوم شعارا ازالة العدوان (١)

ليت شعري ••• متى يفجر شعبي في فلسطين ثورة البركان
وفلسطين لن تضيع وأهلوها يخوضون هول كل عوان
ان جيش الشعب المشرد أقوى من جيوش التحرير والطيلسان
ان جيشا يرجى لتحرير شعب غير جيش الكرسي والصولجان (٢)

ويجد الفلسطيني أن لا مناص من حمل السلاح والنهوض للمقاومة مستمدا من جراحه العزم والقوة والصلابة ، فالشرارة التي كانت قد اندلعت ذات يوم من

---

(١) عبد الكريم الكرمي - ابو سلمى - من فلسطين ريشتي - الطبعة الاولى - دار الآداب - بيروت ١٩٧١ ص ١٩

(٢) المصدر السابق ص ٢٠

عام ١٩٦٥ قد اتسعت لتأخذ شكل مقاومة منظمة داخل الأرض المحتلة .

هذه المقاومة الدامية هي التي تعطي دماء الضحايا معناها ودورها في اضاءة شعلة الحرية . فالكفاح المسلح وحده هو الذى يصنع غد القضية الفلسطينية ، ويشيد صرح مستقبلها . ولطالما أريد لاسم فلسطين أن يطفأ ويبتعد أبناء فلسطين عن ميدان المعركة ، أما وقد تفجر بركان الثورة ، فسوف يمحى العار وتردد أغاني النصر .

دم أهلي مشاعل من نـــار حملتها مواكب الثــوار
فهي حينا تشب في جبل النار وحينا تشب في الأغـوار
وعلى ضوئها تلوح فلسطين وتاريخ شعبها الجبـار
يا فلسطين ! نحن باسمك في الساح وقوفاً نخوض كل غمـار
كم أرادوا أن يطفئوا اسم فلسطين ولن يخمدوا خفوق الصدارى
كل حرف تضيء فيه شمـوس كل شمس تضيء ألف نهـار
ان أهلي على اللهيب يسيرون ويمحون باللظى كل عـار
ويمرون فوق جسر المنايـا يهبون الحياة للاحـرار
معهم في المعارك الحمر قلبي وجراحاتهم أكاليل غـار
في فلسطين خالدون على الدهر خلود الجبال والأنهـار
وأغاني اليرموك نحن وحطين وذرات تربها المعطـار
نحن زيتونها المؤثل فيها نحن فيها وراء كل اخضرار (١)

وتغدو المقاومة الفلسطينية التي يرمز لها أبو سلمى بالنسر ، الأمل المرجى بعد مراحل الذهول والحزن والحنين والاحساس بالتمزق والانتظار ، ثم موجة اليأس التي غمرت النفس العربية بعد حزيران ، ويطلب شاعرنا من النسر أن يمد جناحيه على الكرمل واللد والرملة والمجدل ، وان ينطلق ليرف على أرض الوطن

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - من فلسطين ريشتي - الطبعة الاولى - دار الآداب - بيروت ١٩٧١ ص ٢٢

ويحمي أرض الحمى لتنجلي الظلمة ، ويعود الحق الى نصابه .

مد جناحيك على الكرمل | واللد والرملة والمجدل
أيها النسر الحبيب انطلق | رفّ على موطننا الاول
تجددت فيك أمانينا | فأنت دنيا بالمنى المخضل
أحلامنا الخضر على أرضنا | مثل قلوب الأهل لم تذبل
حرر فلسطين وأرض الحمى | وقل لهذا الليل أن ينجلي (١)

ويستمر شاعرنا في اظهار اعتزازه وفخره بثورة شعبه التي وقفت تتحدى القمع والاضطهاد والاحتلال ، رغم التضحيات الجسيمة والضحايا الكثيرة .

يا فلسطين أتيناك على | صهوة الجرح رعودا ورياحا
تقف السمراء في ساح الوغى | تتحدى الأسمر الندب كفاحا
حسبوا أن رماحي انكسرت | ان لي في كل ميدان رماحا (٢)

وتجيء حرب تشرين (اكتوبر) ١٩٧٣م ليعبر فيها الجيش العربي المصرى القنال ، ويحطم خط بارليف ويقتحم الجيش العربي السورى أرض الجولان وليصاب الجيش الاسرائيلي بغروره وغطرسته ، ولكن العون الامريكي لاسرائيل سرعان ما عمل على ايقاف المد العربي ، ويعبر أبو سلمى عن خيبة أمله في حرب تشرين التي لم تعد له وطنه ويتساءل عن نوع النصر الذى تحقق وهو ما زال يعيش مشردا ليس له وطن .

قالوا كتاب النصر جئنا به | يكفي بأن تقرأ ما عنونوا
ماشهر(تشرين)! انا لم يعد | لي بيدرى والكرم والمسكن
وأى نصر وأنا لم أزل | مشردا وليس لي موطن (٣)

---

(١) عبدالكريم الكرمي ـ أبو سلمى ـ من فلسطين ريشتي ـ دار الآداب ـ بيروت ط ١ ١٩٧١ ص ٣٢.

(٢) عبدالكريم الكرمي ـ أبو سلمى ـ جراح فلسطين ـ جريدة الدستور الاردنية ـ ٢١ نيسان سنة ١٩٧٤ العدد ٢٤١٩ ص ٣ ـ ٤

(٣) عبدالكريم الكرمي ـ أبو سلمى ـ الخالدان الشعب والوطن ـ الثقافة الجزائرية ـ السنة الخامسة ـ العدد ٢٧ يوليو ١٩٧٥ .

ويتساءل بسخرية لاذعة ونقد مرير عما اذا كان قومه قد تغيرت طبيعتهم وهمدت جذوتهم وخبت شعلة حماستهم ، أم قرت العيون ورضيت بما يمنحه الاعداء من أجزاء ضئيلة من الجولان وسيناء على موائد فك الارتباط .

أهلي هنا في الساح أم غيرهم	حيرني الأغبر والأدكن
همهم التحرير عهدي بهم	فهل تنائى الهم والديدن
ما بالهم هل اجبلت أرضهم	وأظهرت غير الذي تبطن
هل خمدت جذوتهم أم خبا	لهيبها أم قرت الأعين
سيناء والجولان لن يقبلا	فكهما والأصل مسترهن (١)

وبمزيد من الفخر والاعتزاز بالبطولة التي يبديها أبطال الفداء يحيي أبو سلمى فيهم هذا التسابق في طلب الموت لتوهب لشعبهم وأمتهم الحياة مؤكدا أن طريق الحرية لا تقحم الا بالشهداء وأن أشجارها لا تروى الا بالدماء .

ان فلسطين لأبنائها	وانهم على الردى وطنوا
أعراسهم تسابق في الفداء	قد انحنى الموت ولم ينحنوا
نزرع بالموت على أرضنا	حياتنا نحن ، ومن يجبن ؟ !
وكيف يسقي الدم أرضي ولا	تخصب والاشجار لا تغصن
على لظى احرارنا وحدهم	تذوب الأغلال وتطحن (٢)

وينطلق شاعرنا مرة أخرى ليحيي بطولة شعبه في مقاومة الاحتلال وتحطيم الصعاب ومواجهة القمع والارهاب بعزيمة لا تلين ، وتحد لا يقهر مقدمين من الضحايا والتضحيات على مذبح الحرية ما يعتبر بحق مثلا يحتذى في كفاح الشعوب ، ولم ينس أبو سلمى أن يفتخر ويشيد بالدور الباسل الذى أبداه أطفالنا في التصدى لجنود العدو ومقاومتهم .

من رأى الفتيان يمشون على	لهب الموت رأى الأمر العجابا

---

(١) عبد الكريم الكرمي - ابو سلمى - الخالدان الشعب والوطن - الثقافة الجزائرية - السنة الخامسة - العدد ٢٧ يوليو ١٩٧٥

(٢) المصدر السابق .

والبنيات على درب الـــردى	في فلسطين يطحن الصعابـــا
ولد الابطال أبطالا علـــى	وهج الثورة لم يحنوا الرقابا
شرفت دنيا فلسطين بهـــم	وبها شرفوا الدنيا احتسابـــا
كلما ساروا على أرضهـــم	نضروا بالدم والدمع الترابـــا
الحجار الصم في أيديهـــم	تصرع الوحش المدمى والعقابـا
رجموا النخوة فيما رجمـــوا	والمروءات التي باءت كذابـــا
أشرف الرايات أسما لهـــم	وأعز الناس في الروع جنابـــا
والعصافير لدى أعشاشهـــا	تتحدى كل ريح بالزغابـــي (١)

ويندد أبو سلمى باختلاف بني قومه وتفرق كلمتهم واراقة دماء بعضهـــم البعض مشيرا بذلك الى أحداث لبنان الدامية المؤسفة فيقول :

ما لقومي غفر الله لهـــم	يقطعون العمر خلفا واحترابـــا
وأراقوا دمهم هبا بينهـــم	أتراهم حرروا أرضي غـــلابا
وفلسطين بلادي الهبـــت	بشظاياها شعوبا وشـعابـــا
وهم في كل واد هومـــوا	لا ترى الا كلاما وضبـــابـا (٢)

وفي المهرجان التكريمي الذي أقيم لأبي سلمى في بغداد من الاتحـــاد العام للادباء العرب وبالتنسيق مع اتحاد الكتاب في العراق واتحاد الصحفيـين والكتاب الفلسطينيين في يومي ١٠ و ١١ كانون الثاني ١٩٧٩ استوحى أبو سلـمى من شاطيء دجلة قصيدتـه " التحدي " وهذه أبيات منها :

يتحدى المدى جناح القصيـــد	أحرف الشوق فوق كل صعيـــد
حملتني شوارد المتنـــبي	فأرتني البعيد غير بعيـــد
تتخطى الزمان والصوت حـــتى	يتجلى القديم عبر الجديـــد
كيف حال العراق بعد فلسطـين	وبعد التشريد والتهويـــد

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - حفلة تأبين المناضل العربي - صـــبري العسلي - تاريخ ١٩٧٦/٥/٢٩ نقلت عن ناظمهـــا .

(٢) المصدر السابـق .

ليلة طال أم هوى النجم في النهر فلم يبق غير ليل مديـــد

....

شعب بغداد أيها الحاطم الأغلال قل لي متى تذوب قيـــودي

المنارات والمدائن بعد القدس لاحت خلف المسوح الســود

ليت شعري هل الميادين جفت أو لم تلتهب دماء الصيــد

لا المثنى يطوي على الهمة القعساء ما طال من فيافي البيـد

لا ولا راية العقاب على عزة خفاقة وفوق ســـدود

لا بقايا السيوف في اللـد والرملة ولا بقايا الغمـــود

وانزوى الموج في البحيرة لا يلطم غير مصر الحـــدود

وتوارى " معفر الليث بالسوط [1]" فلا من سوط ولا من أســود

وغدا المنتمي لأرض فلسطين غريبا كصالح في ثمـــود [2]

....

يا أبا الطيب المعصب بالنار وقد أنبتته أرض الخلـــود

كل نفس شابت سوى نفسك الشماء ترقى الى سماء الصعـــود

....

كيف قل لي هل يفلح العرب والحاكم ما زال اعجمي العود

....

ضحك كالبكاء والحكم ما انفك كما كان عهده اخشيدي [3]

أي حرية هناك ولما يعرف الشعب غير عض الحديـــد

أي سلم مع الذين أباحوا دم أهلي وقطعوا لي وريـــدي [4]

(١) تضمين لشطر بيت من قصيدة المتنبي في بدر بن عمار "أمعفر الليث الهزبر بسوطه " .

(٢) تضمين لشطر بيت من قصيدة المتنبي الدالية " أنا في أمة تداركها اللـه غريب كصالح في ثمود " .

(٣) ربط بين كافور الاخشيدي الذي هجاه المتنبي اقذع هجاء والرئيس المصري أنور السادات الذي عقد اتفاقية الصلح مع اسرائيل بعد أن سبق ذلك بخطوات مهدت له طريق هذه الاتفاقية .

(٤) حصلت على هذه القصيدة التي لم تنشر من أبي سلمى نفسه .

أي جيش هنا الذي يتغنى ببطولاته وأي جنـــود(١)
أي قومية وأشلاء قومي تتحدى الطغاة فوق الصـــرود
أي نصر على الحدود وأمن وشظايا أهلي وراء الحـــدود
أيبيعون أمتي وبلادي بسمد طي الزمان عصر العبيـــد (٢)
وحدت بيننا الهزيمة والعار ولم نتحد على التصميـــد
در در الملوك حين بلونا رؤساء التسليم والتحييـــد (٣)

وفي ختام قصيدته يعود الشاعر الى أبي الطيب فيخاطبه قائـــلا :

يا أبا الطيب المضمخ بالتاريخ قم وادع من وراء الحـــدود
الهب الشام والعراق ومصرا واصح بالنار ما لها من حـــدود
ان وضع الندى بديلا من السيف يضر الحمى وبالشعب يـــودي
لا تزال السيوف أصدق انباء (٥) كما جاء في أعز القصيـــد
عش عزيزا أو مت وأنت كريم بين طعن القنا وخفق البنـــود(٦)

يعقد الشاعر الصلة بين عصرين : عصر المتنبي في القرن الرابع الهجـــرى وما كان عليه من اضطراب ، ودعوات مختلفة بين شتى الامارات التي كثر قيامهـــا في ممتلكات الدولة العباسية ، والعصر الحاضر ، حيث الوجود العربي اليـــوم يتعرض لغزو استيطاني ، وتمزق وتناقض داخلي ، وحيث عوامل الفرقة تستشـــرى

---

(١) اشارة الى عبور المصريين للقناة في حرب اكتوبر ، تشرين الاول ١٩٧٣

(٢) اشارة الى مفاوضات الرئيس السادات باسم الشعب الفلسطيني واغفالــــه حق الشعب في تقرير مصيره .

(٣) يعقد ابو سلمى مقارنة بين الملوك الذين هجاهم عام ١٩٣٦ وعقب النكبـــة وبين الرؤساء الذين استسلموا وهنا تلميح بالرئيس السادات .

(٤) استعارة معنى بيت المتنبي " ووضع الندى في موضع السيف بالعـــــلا مضر كوضع السيف في موضع الندى " .

(٥) تضمين أحد مصراعي بيت " ابي تمام " في فتح عمورية السيف أصدق أنبـاء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعـــب " .

(٦) تضمين كامل لبيت المتنبي عش عزيزا أو مت وأنت كريم ....

بين الحكام العرب وهم لا يستطيعون درء المعتدى ومع ذلك يكبلون شعوبهم بالقيود ويلجمون السنتهم ، ومع أنه يفصل بيننا وبين عهد المتنبي قرابة الف عام فما زال التاريخ يعيد نفسه دون اخذ العبرة والاتعاظ من الماضي .

من خلال قراءتنا لهذه القصيدة ، نجد الشاعر يسير على الخط التاريخي لانتصارات الأمة العربية ونجدتها عبر العصور ، فنجده يكرر الحوادث المهمة التي أعادت للعرب كرامتهم مثل انتصارات المثنى على الفرس ، انتصار العرب على الروم في عمورية . أما في زمننا الحاضر فلا يجد الشاعر ما يخاطب به أمته لكي يبعث فيهم الحمية والنخوة للجهاد . فيربط الشاعر بينه وبين المتنبي الذي حمل لواء المعارضة والثورة على واقع زمانه من حكام وشعوب أخذ ينفث فيهم بالكلمة لتغير من واقعهم ويرفع من شأن عروبتهم وقد هجا الملوك ولا سيما الحكام الاعاجم الذين لا تصلح العرب على أمثالهم ، حيث قال في قصيدة يمدح بها أحد الأمراء التنوخيين في اللاذقية :

وانما الناس بالملوك وما تفلح عرب ملوكها عجم

لا أدب عندهم ولا حسب ولا عهود لهم ولا ذمم

بكل أرض وطئتها أمم ترعى بعبد كأنها غنم (١)

وشاعرنا أبو سلمى يقود النقمة على الملوك والحكام الذين كانوا سببا مباشرا أو غير مباشر في نكبة فلسطين .

ان الشاعر حارس لقيم الأمة وحافظ لها ، محدد لشخصيتها وهو أداة عميقة الاتصال بوعي الجماعة التاريخي وارهاصها الأخلاقي .

ان الوجود العربي اليوم ، يواجه تحديات أخطر من التحديات التي واجهها عصر المتنبي فما أحوجنا والحالة هذه الى شاعر يبلور قيم العصر الحديث ، ورؤيا دولة العرب القومية الموحدة .

---

(١) عبدالرحمن البرقوقي - شرح ديوان المتنبي ج ٤ - دار الكتاب العربي - بيروت ط ٢ سنة ١٩٣٨ ص ١٧٩

المعمار الفني للقصيدة تاريخي نضالي يهدف الشاعر من ورائه الى الثورة والتمرد على الواقع والاستفادة من عبر الماضي •

يكرر الشاعر معانيه السابقة ، وهذا ما يؤكد التزامه في مواقفه لأنه يتحرك ضمن الرؤيا الجماعية والتراث المشترك لأبناء أمته وعصره •

وفق الشاعر في استعاراته وتضميناته لعدد من القصائد المشهورة لأبي تمام والمتنبي مما أكسبه روحا جديدة في هذه المعاني تتواءم وروح العصر •

الجانب الانسـاني في شـعره

ان الالم الانساني المشترك الذى لا يعرف وطنا ولا قومية ولا حـدودا، قد كان وما يزال مطمح كل شاعر في العصر الحديث، فهو يدرك أنه لن يحقق شيئا من طموحاته ما لم تتجاوز اهتماماته الانسانية القطر الذى نشأ فيه الى بقية أقطار الارض حيث تحتدم الصراعات اليومية، وتستشري المواجهة بين الاستعمار وقوى التحرر، وبين سادة العصر وعبيده. وهذا لا يعني بحال أن الشعر وهو يدور في فلك المحلية والقومية بعيد عن النزعة الانسانية، فالعلاقة بين المحلية والانسانية، بين القومي والعالمي واسعة جدا والفوارق بينهما لا تكاد أحيانا تبين.(1)

ولقد كان أدبنا العربي القديم غنيا بالعناصر الانسانية، ويكفي أن نضرب المثل بأبي تمام الذى كان شعره مشبعا بتلك الروح. يقول أبو تمام وهو يبحث عن انسان مثال يفتقده في نفسه وفي معاصريه يفضي اليه بذات نفسه ويلقى منه كل تعاطف واهتمام.(2)

من لي بانسان اذا اغضبته وجهلت، كان الحلم رد جوابه
واذا طربت الى المدام شربت من أخلاقه وسكرت من آدابه
وتراه يصغي للحديث بقلبه وبسمعه ولعله أدرى به (3)

والذى يهمنا، أن نبرز الجانب الانساني في شعر أبي سلمى وأن نتتبع مواقف الشاعر من قضايا النضال العالمي والحروب العدوانية العنصرية وأن نتلمس في بعض قصائده الانسانية شيئا من عناصر الوطنية والقومية.

---

(1) د. عز الدين اسماعيل - الشعر في اطار العصر الثورى - دار القلم بيروت ط ١ ١٩٧٤ ص ٦٢

(2) د. اسعد احمد علي - الانسان في شعر أبي تمام - منشورات دار السؤال بدمشق ط ٢ ١٩٧٩ ص ٢٣

(3) بولس الموصلي - ديوان ابي تمام - مطبعة الطلاب وشركة الكتاب اللبناني بيروت - ط ١ ١٩٦٨ ص ٢٦

ففي قصيدة " رمضان السمح الكريم " يذكر المسلمين في كافة بقاع الأرض بالمعاني السامية التي تستوحى من هذا الشهر الفضيل ، ففيه تجربة روحية يدرك الانسان عن طريقها ما بينه وبين الآخرين من ترابط لا فرق في ذلك بين أبيض وأسود وبين جنسية وأخرى . لقد وحد بينهم هذا الشهر وربط قلوبهم برباط مكين . يتلاقون فيه على طريق واحد وشعور واحد يرقى بهم الى أعلى مستويات المحبة الانسانية .

الأهازيج في السماء وفي الأرض تحيي شهر الهدى والنور
والسنا يملأ القلوب ويجلو عن محيا الدنيا ظلام الشرور

... ...

رمضان السمح الكريم يد الله على العالمين عذب النمير
ضمخ الدرب بالطيوب فكانوا وحدة في صحيفة المقدور
ايه شهر الصيام طهرت روحي وفؤادي وما يحس ضميري
في لياليك أسمع النغم الحلوى يسرى مغلغلا في الدهور
كلما أصغت النفوس اليه طهرت من ضلالة وفجور(١)
أنت من علم المساواة فالناس سواء في بردك المنشور
أنت وحدتهم فلا فرق ما بين يتيم وبين رب سرير
سار في الدرب كل جنس ولون يتلاقون أمة في المسير
عالم أنت من صفاء وطهر وأمان وأنت دنيا شعور (٢)

وبوعي الانسان المناضل فهو يرى في ثورة شعبه على الاستعمار ثورة على الظلم والجهل والفقر من أجل عالم واحد تتوفر فيه الحرية لكافة بني البشر .

وحرية الفكر نحن الذين رفعنا لواها كما تعلمين
ونحن الذين نثور على الظلم والجهل والفقر في كل حين
ومبدأنا عالم واحد وتخليد حرية العالمين (٣)

---

(١) صحيفة الاتحاد - حيفا - ٥ تشرين الاول ١٩٧٣ - عدد ٤٣ - الديوان ص٣٤ - ٣٥

(٢) المرجع السابق

(٣) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان ابي سلمى - دار العودة - بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص ١١

وهو يؤمن بدور الطبقة العاملة وبرنامجها الثوري ، وفي تلاحمها مع حركة التحرر العالمي والاشتراكية . انه النضال الانساني المشترك ضد الفقر والجهل والاستعباد .

قالوا يساريون قلت أجلهم عملا ومبدا
وطن على أيديهم يجني مع الأيام سعدا
حفت به أعرافهم ريا وبالأمجاد تندى
لم يعرفوا كيف المبادئ تشترى عدا ونقدا
هذي المطارق والمناجل تحصد الظلام حصدا
وتحرر الانسان حتى لا ترى في الكون عبدا (١)

وفي قصيدة " مرحبا بالرفاق " يشيد أبو سلمى بدور الحركة العمالية الموحدة . فكما أبصر طريق الخلاص لوطنه على يد الشعب فهو قد أبصر الخلاص للفقراء والمضطهدين في انحاء العالم ضمن هذه الحركة الموحدة ، يقول في قصيدة " مرحبا بالرفاق "

هتف القلب مرحبا بالرفاق ما أحيلى اللقاء بعد الفراق
يا رفاق التاريخ خلدتموه وهو تاريخ ثورة وانعتاق
بالبطولات والمروءة والدمع وحمر النضال والأخلاق
ان حرية الشعب عروس تتجلى ليلا على العشاق
أيها الثائرون في العالم الرحب على الظالمين في الآفاق
حطموا النير فهو من أثر الوحش على الأرض واعصفوا بالوثاق
وامسحوا الظلم والجهالة والفقر من الكون بالدم المهراق
أينما كنتم فنحن رفاق وحدتنا حرية الأعناق
والتقينا على جناح الأعاصير وفوق اللظى وبيض الرقاق
في الميادين والمعامل اخواننا وفوق الربى وفي الاعماق
جمعتنا مبادئ وعهود فالتقينا من قبل يوم التلاقي (٢)

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان ابي سلمى - دار العودة - بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص٥٦

(٢) المرجع السابق ص٥٤

ونرى أن أبا سلمى في اتجاهه الانساني هذا قد دمج انسانيته في الدعوة الاشتراكية. فالرفاق من العمال الذين يصوتون الحرية قد جمعت بينهم مبادئ يلتزمون بها وعهود يتمسكون بتنفيذها . وهو هنا يعتبر تحرير فلسطين وجها انسانيا قبل أن يكون قضية قومية لأن حرية الشعب الفلسطيني والأمة العربية هي جزء لا يتجزأ من الحرية في كل مكان .

ومن مظاهر التفاعل بين القضايا الوطنية والقومية وبين قضية تحرير المستعمرات حيث يمجد الكفاح المسلح في الهند يصور أبو سلمى العلاقات الانسانية التي تربط بين كفاح الهنود وكفاح الشعب العربي في فلسطين في قصيدة يحمل عنوانها اسم " فقير ايبي " وهو ثائر هندي أعلن الثورة المسلحة ضد الحكومة البريطانية في الهند . يقول ابو سلمى :

فقير ايبي يا منار الهند ، أفن الزمان في طلاب المجد
وادع جواهر لال ، واذكر غاندي واجعل " وزيرستان " دار الخلد
يضيء فيها وهج الفرند وقد جمع شيبها والمرد
الى الوغى واللهب الممتد زئيرهم يدوي دوي الرعد

منادیا : هذا جهاد العبد

لا بد للثورة أن تسودا نحن وأنتم نطلب الخلودا
الانكليز انكروا العهودا وحالفوا من بعدنا اليهودا
لاننا على طريق الهند (١)

ويقف العالم مروعا أمام الاجتياح النازي لأراضي الاتحاد السوفياتي في الحرب العالمية الثانية . وكان أبو سلمى يتلقى انباء المعارك والهزائم ويتابع زحف الجيوش الألمانية داخل الاتحاد السوفياتي ، ويستمع الى تبجحات هتلر ، لكن بغير يأس ، كان يقرأ أنباء بطولات الشعب السوفياتي ومفاداة الأنصار وراء خطوط الجبهة فيزيده ذلك اعجاباً بشجاعة الابطال وتقديرا لكفاحهم وكتب

---

(١) عبد الكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان ابي سلمى - دار العودة - بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص ٣٦

أبو سلمى قصيدة عنوانها " أبو الأحرار " يقول فيها :

مشيناها خطى حمـــرا	وشدنا عالما حـــرا
وخضنا لجج الليـل	وأطلعنا الدّجى فجرا
ابا الاحرار لا تلـأس	على ابن الثورة الكبرى
مضى مثل رفاق الحـــق	والتاريخ والذكـــرى
مضى لا يرتجي حمـــدا	من الناس ولا شكـــرا
فكنت المثل الأعلـــى	وكان الولـد البكـــرا
أبا الأحـرار أنى سرت	سار اليمن والبشـــرى
ملأت الافق أمجـــادا	وقدت الانجـم الزهـــرا
وحت تحرر الدنيـــا	ولا زهوا ولا كـــبرا
ألا أشرف على العالـم	وامح الظلـم والغـدرا
وقل يا أيها الانسان	عش حرا ومت حـــرا (١)

في هذه الأبيات ، اشادة واضحة بصمود السوفيات وبطولات الأنصار خلـــف خطوط القتال كما نلمس عاطفة الشاعر تجاه الحركة اليسارية باعتبارهـــا حركة طليعية تساند حرية الشعوب .

أما معركة سباستبول فهي معركة الانسانية في مواجهة المؤسسة النازية وفيها يقول أبو سلمى :

أيها الناشرون يوم البطولات ، بردا مخضبات الشعار
نسجتها يد الشعوب على الأيـام خفاقة على الأقطـار
داقموا عن حضارة الكون وامحوا عن جبين الاجيال ذل الاسار
ايها الرافعون اقلام نـار حطموا اليوم دولة الأشرار (٢)

وأبو سلمى الذي يعرف الأفراح الصغيرة والكبيرة ، والاعياد الزائفـــة والحقيقيـــة ، يدرك أن العيد الحقيقي لأية أمـة من الأمـم انما هـــو

---

(١) عبدالكريم الكرمي ـ ابو سلمى ـ ديوان ابي سلمى ـ دار العودة ـ بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص٤٩

(٢) المرجع السابق ص٥٠

في حريتها السياسية والاجتماعية :

ما المجد الا أن ترى أمة خفاقة الأعلام فوق الندى
تعيش في أوطانها حرة ولا نرى الأبيض والأسودا
تمحو الجهالات وأربابها وتمسح الفقر وظلم العدا
والناس اخوان على أرضها لا تعرف العبد ولا السيدا
العالم الحر لنا موطن يا موطن الأحرار نحن الفدا (١)

وبروح الفنان الذي يعاني مشاكل الانسان وقضاياه المصيرية في آسيا وافريقيا وأجزاء العالم الأخرى الى جانب ما يشده الى قضاياه المحلية والعربية من مشاعر وهموم مشتركة . يعبر ابو سلمى عن هذه الاهتمامات والمشاعر الانسانية في قصيدة " ماوتسي تونغ " متخذا من هذا النموذج الثوري الذي نجح في توحيد الصين وخلصها من العبودية والاستعمار أساسا للرؤية التاريخية وللمبادئ والقيم التي تربط بين شعوب آسيا وافريقيا وكل القوى التقدمية والانسانية في العالم .

نحن والصين أمتان ... دعتنا للمروءات عزة وطماح
وحدتنا الثورات في طلب الحق وآلام شرقنا والكفاح
فلنا في بكين خفق جناح وعلى النيرين منهم جناح
ولنا في مرابع الصين ساح ولهم في الجزائر ساح
وانا ما استوت على قمة التاريخ فيها فمن دمشق الوشاح
وهوانا هوى الشعوب قديم كيف نخفيه والهوى فضاح
قبل ان نلتقي ... هناك التقينا جمعتنا القلوب والارواح

... ...

ثم صاح المستعمرون مع الأذناب ، قلنا ، وهل يضير الصياح
وحشدنا أمجادنا فتراءت فوقها الغار والوجوه الصباح

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان ابي سلمى - دار العودة - بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص ٦٦

لن يخيف استعمارهم ولدينا الجيش والشعب اخوة والسلاح
معنا الشرق والشعوب جميعا وتلاقت مع الشعوب البطاح
ها هو النير من بقايا وحوش الغاب ملقى قد حطمته الصفاح (١)

والموقف الشعرى لهذا البعد من قضايا التحرر العالمية - وهي قضايا انسانية بالدرجة الاولى - وهو في حقيقته موقف تمليه على الشاعر انسانيته وانسانية هذه القضايا نفسها وهو ما يعبر عنه في أكثر نماذجه ، ونرى أن ما يميز أبا سلمى عن غيره ، أنه لا يكتفي بتناول هذه القضايا من الخارج شأن كثير من التجارب العمودية المعاصرة ، بل انه يصل بقصيدته الى درجة التأمل من أجل البشرية ويناقش جوهر القضية ، بهدف تحديد موقفه الواضح من هذه القضايا . ومن هنا فقد كان أبو سلمى شاعر موقف لا شاعر مناسبة .

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - اغنيات بلادى - ط ١ - دمشق - ١٩٥٩ ص ١٠٨ - ١٠٩

الجانب الاجتماعي في شعره

للشعر الاجتماعي رسالة أخلاقية تنبثق من رسالة الأديب في المشاركة الوجدانية في أحداث الأمة وأمانيها وآمالها وهمومها في كل المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية . وهذه المجالات على تنوعها وتباينها وتداخلها تحتاج الى ذلك الشعر الذى يعيش الحياة وللحياة . وينفعل بالأحداث ، ويصور تلك الأحداث ... ومن هذا المفهوم الاجتماعي للكلمة يصبح الشعر الذى لا يحمل رسالة ولا يخدم هدفا اجتماعيا - يصبح نوعا من الأصوات المجردة .

وقد تأثر أبو سلمى كغيره من الشعراء الفلسطينيين قبل النكبة ايما تأثر بما يسود وطنه من قمع واستعباد ، وما تحسه الطبقات المسحوقة من استغلال وهوان فأودع كل ذلك في قصائد تفيض نقمة وسخطا وتتفجر اخلاصا وحماسا في معالجة المشكلات ولم يكتف بالتعبير عما يحسه من أوضاع وطنه وهمومه الاجتماعية . وربما كان أبو سلمى اكثر الشعراء الفلسطينيين التصاقا بواقع الشعب الاجتماعي ، وأجهرهم تعبيرا عن مشاكله ، لقد آمن أبو سلمى بأن الصراع الوطني والقومي ضد الأعداء الخارجيين هو في الوقت نفسه صراع طبقي يهدف الى تحرير الانسان العربي من الاستغلال والاضطهاد فهو منذ أفتى بفساد الأنظمة الحاكمة في البلاد العربية عام ١٩٣٦ ومنذ أشار للدور الثورى الذى يمكن أن يقوم به العبيد منذ ذاك ، وأبو سلمى دائم الالحاح على هذين القطبين المتناقضين المتصارعين ، متخذا من الساحة القومية " مجالا " ومن الوطن الفلسطيني نموذجا .

يا من يصرون الحمى ، ثوروا على الظلم المبيد
بل حرروه من الملوك وحرروه من العبيد (١)

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان ابي سلمى - دار العودة - بيروت ط ١ - ١٩٧٨ ص ٢٥

وفي ظل مجتمع شبه بدائي يفتقر الى أبسط أنواع العدالة الاجتماعية ويتفشى بين ابنائه ركام من الفقر والجهل والمرض لا بد أن يرتفع صوت أبي سلمى ليطالب شعب اليمن بالثورة على هذا الوضع وتحطيم الفوارق الاجتماعية والنظم البالية التي كانوا يعيشون في ظلها . يقول أبو سلمى :

عرج على اليمن السعيد وليس باليمن السعيد

واذكر اماما لا يزال يعيش في دنيا ثمود

وسيوفه أثرية يا تعس هاتيك الغمود

تفنى الحياة وقومه ما بين قات أو هجود (١)

.....

كان المجتمع العربي الفلسطيني قبل النكبة يعيش حالة من الصراع الطبقي بين أفراده شأنه في ذلك شأن المجتمعات العربية الأخرى . ففي حين كان التعالي والشعور بالسيادة يسود الطبقات العليا من الاقطاعيين والأثرياء ، فقد كانت الطبقات الفقيرة من العمال والفلاحين ، تقابل هذا الشعور بالمقت والحقد .

وقد ترتب على ذلك نشاط الانتهازية ، واستشراء الرغبات الفردية واستغلال جهود الآخرين .(٢) من هنا ، فقد استأثرت قضية تحرير الانسان العربي الفلسطيني من الاستغلال والاضطهاد باهتمام ابي سلمى . فتراه في قصيدة " الشعب " يصف لنا مظاهر هذه القضية وصف الخبير الملتصق بواقع الشعب ، حيث الطبقات الاقطاعية تمتص دم الفقراء من العمال والفلاحين وتعيش على كدهم وتعبهم وتطوق أعناقهم بالعبودية والظلم والاستغلال ، كل ذلك يتم ، دون أن تنال الطبقات الفقيرة المسحوقة ما تستحقه من العيش الكريم .

يا أيها الشعب المفدى قل لي بربك كيف تهدا

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان ابي سلمى - دار العودة - بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص ٢٢

(٢) د . عبدالرحمن الكيالي - الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت ط ١ ١٩٧٥ ص ١٩٧

يتدفق العذب الزلال	فيرتوون وأنت تصدى
تكسوهم حلل الربيع	وينكرون عليك بردا
أنت الذى تهب الخلود	فيحملون اليك لحدا
وتحطم النير الرهيب	فيجعلون النير عقدا (١)

والشاعر في الأبيات السابقة لا يكتفي بالصورة الخارجية ، بل انه ينفذ الى أعماق الانسان محاولا أن يربط الأسباب بالمسببات ويضع اصبعه على مكمن الداء قبل أن يصف لنا الدواء .

وهو يؤمن بدور الطبقة العاملة وبرنامجها الثوري وفي تلاحمها مع حركة التحرر العالمي والحركة الاشتراكية لأنه النضال المشترك ضد الفقر والجهل والاستعباد . يقول في قصيدة " نور ونار " (٢)

سيروا على وضح (٣) النهار	فالحق من نور ونار (٤)
تأبى البطولة أن تبرى	أبناءها خلف الستار
الحاسرون رؤوسهم	يوم الكريهة والنفار
الحاطمون قيودهم	الثائرون على الاسار
العاملون على جباههم	ترى زهر الدراري
الناشرون قلوبهم	فوق الأسنة والنفار
الراكزون على ربى التاريخ	أعلام الفخار
الحاملون نفوسهم	دنيا من الشرف النضار
قد وحدتهم فكرة مثلى	على بعد المزار (٥)

(١) عبدالكريم الكرمي ـ ابو سلمى ـ المشرد ـ ط ٢ ١٩٦٣ ص ٣٠

(٢) القيت هذه القصيدة في الاجتماع الشعبي الذي عقدته عصبة التحرر الوطني في قاعة سينما نبيل بيافا وذلك صباح يوم الجمعة بتاريخ ٢٨ شباط ١٩٤٧ (جريدة الاتحاد ـ حيفا ـ عدد ٨٦)

(٣) وردت في نص القصيدة المنشورة في جريدة الاتحاد بتاريخ ٧٣/٣/٩ كلمة على وهج النهار بدلا من وضح النهار كما هو في ديوان أبي سلمى ويبدو أن الشاعر قد استبدلها هنا .

(٤) عبدالكريم الكرمي ـ ابوسلمى ـ ديوان ابي سلمى ـ دار العودة ـ بيروت ـ ط ١ ١٩٧٨ ص ٤٨

(٥) وردت كلمة الديار في النص المنشور في جريدة الاتحاد بتاريخ ٧٣/٣/٩ بدلا من المزار وفي رأينا أن الكلمة المحذوفة تعطي معنى اشمل وأوضح من الكلمة البديلة .

ويستمر الشاعر في كيل المدح والثناء على أصحاب السواعد السمراء من العمال الذين يكدحون ويعرقون ليزيدوا من انتاج الوطن ويعملوا على تطويره.

وهو يحاول بهذه الاشادة أن يقنع الشعب بأن ينسى عناء الكدح ومرارته وما يعانيه من جهد وهو يكافح ويناضل في سبيل الحرية لأنه انما يقوم بدوره الطبيعي في تحرير الوطن من العبودية والاستغلال وفي سبيل حياة حرة كريمة .

أهلا بعمال(١) البلاد تزفهم شيبا ومردا
انتم اذا احمر الحديد حماتها سهلا ونجدا
تتألقون كواكب البطحاء لا تحصون عدا
من مثلكم عند اللقا أعلى يدا وأعز جندا ؟
عرق الجباه نحيله فوق الثرى مسكا وندا
شوك الحياة نرده في المنحنى فلا وورد
وذوائب الصحراء ننشرها مروءات ومجدا
أهلا بعمال البلاد يحاربون من استبدا
حمر الصحائف سطروها باللظى بندا فبندا
تعزوا الى الوطن المعذب من وراء الافق أسدا
الفجر خلف ركابهم يهدى الورى والركب أهدى (٢)

ويصور أبو سلمى باحساس الشاعر المرهف وعاطفته القوية وحدة اليتيم العربي ومشاعره وأحاسيسه ، فيعمد الى الأفكار المعبرة عن بؤس اليتيم وحاجته الى من يمد له يد العون والمساعدة . فيحيل هذه الأفكار من خلال وجدانه الى احساسات وانفعالات نفسية يلونها بشعوره ، فلا تلبث أن تنتفي عنها صفة الذهنية الخالصة ، وتتصل بعاطفته وانفعاله لتشحن القارئ بالعطف

---

(١) القيت هذه القصيدة في المؤتمر الثالث للعمال العرب الذي عقد بتاريخ ٦ أيلول عام ١٩٤٧ في قاعة سينما نبيل بيافا "جريدة الاتحاد - حيفا العدد ٨٦ بتاريخ ٩/٣/١٩٧٣ ".

(٢) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان ابي سلمى - دار العودة - بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص ٥٥ - ٥٦

والرغبة في مد يد المساعدة والعون لبناء صرح قوى من الحياة الكريمة لليتيم .

يقول أبو سلمى في قصيدة " البنفسجة اليتيمة "

مررت على المرج قبل المغيب أعلل قلبي بحسن وطيبْ
رأيت الأزاهر من كل لون تميل على كل غصن رطيبْ
فمن نرجس لم يبح بالهوى وورد يغازله العندليبْ
ومن ياسمين حبيب النسيم وهذا اليتيم رسول الحبيبْ
وبت أسأل عن زهرة تـوارت فليس يراها الرقيبْ
سألت الطيور فأومت اليها ونمّ عليها نداها المجيبْ

....

بنفسجة المرج أنت اليتيمة أخت اليتيمة فوق الدروبْ
أمال برأسك ذلّا لسؤال ولا من سميع ولا من مجيبْ
تغيبين عن أعين العاذلين وطيفك عن خاطري لا يغيبْ
تعيشين وحدك في غربة فواحسرتا لليتيم الغريبْ

....

تسيرين في طرقات الحياة كأنك في الكون حلم يهيمْ
تمدين واحرّ قلبي ، يديك الى كلّ صاحب قلب سليمْ
تطوفين والدمع في مقلتيك يضيء ولو في الظلام البهيمْ
يراه على البعد قلب الكريم فيكرمه بالعطاء الكريمْ
تحير في وجنتيك السّنى فزين ذاك المحيا الوسيمْ
حملت عن الناس بؤس السنين وروحك هفهافة كالنسيمْ
هلمي معي نهدا لجنة تداوى جراح الزمان اللئيمْ

....

(١) القيت هذه القصيدة في الاحتفال الكبير الذى أقامته لجنة لليتيم العربي بحيفا في ١٥ حزيران ١٩٤٥ . وقد ذكر لي القاضي السابق والمحامي الاستاذ محمد البرادعي العباسي وهو رئيس لجنة اليتيم العربي بفلسطين قبل النكبة ورئيس لجنة اليتيم العربي في الاردن منذ عام النكبة وحتى الان ان هذه القصيدة قد لاقت استحسانا كبيرا وبلغ التأثر الى حد ان انهال الاغنياء بالتبرع بسخاء لصندوق اليتيم العربي بحيفا من أجل مشروعات اليتيم.

تعالي أسر بك بين الزهور ترفين تحت ظلال النسيم
فأختك في المرج مشتاقة وحبكما في فؤادي قديم
هلمي امسحي الدمع من مقلتيك وسيري الى الدار دار اليتيم (١)

وهذه القصيدة تشتمل على قدر كبير من الحس الاجتماعي وبهذا النموذج تصل القصيدة الاجتماعية - فنيا - الى ذروة المعاصرة فلم يعد التناول مباشرا ونا صوت واحد ، فالشاعر هنا يمزج بين الطبيعة والانسان . فهو يرى في الطبيعة وضع الانسان اذ يعطي مجالا للتأمل في الانسان من خلال صور الطبيعة الحسية ممثلة بالبنفسجة ، وهذا الاقتران بين الحسية والتأملية بالرغم من بساطته وعذوبته ، جعل من القصيدة كيانا قائما بذاته يعتمد على الفكرة المنبثقة من الشعور . وأرى أن الشاعر قد سما في صوره التي استحدثها في هذه القصيدة الى الأفق الانساني يطل منه على البنفسجة اليتيمة ليستجلي منها اغناء تجربته الشعرية في التعبير عن حركة الواقع والنفس . وقد نجح الشاعر في هذا أيما نجاح .

يقف الشاعر بعد النكبة حزينا تتضاعف أمام بصره وبصيرته صور من تشرد شعبه وتشتتهم فيصور حالهم الذي هم عليه ويطالب شعبه بأن يمسح دموعه ويعرف طريق مستقبله :

يا أخي ! . أنت معي في كل درب	فاحمل الجرح وسر جنبا لجنب
سر معي في طريق العمر وقل	اين من يحمي الحمى أو من يلبي !
فهنا الأيتام في أدمعهم	وهنا .. تهوى العذارى مثل شهب
هم ضحايا الظلم هل تعرفهم !	انهم أهلي - على الدهر - وصحبي
أيها الباكي وهل يجدي البكا	بعدما أصبحت في كل مهب
كفكف الدمع وسر في أفق	حافل بالامل الضاحك رحب (٢)

....

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان ابي سلمى - دار العودة بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص٥٢ - ٥٣

(٢) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - المشرد - دمشق ط ٢ ١٩٦٣ ص٦ - ٧

وها هم اولاء اللاجئون قد انكرتهم حتى القبور ، وها هي شظاياهم تلفظهـــا كل أرض وضحاياهم جريحة لا تستطيع حتى الشكوى ، ولكن فحين يرى أنهم تركـــوا المشرد في العراء وحيدا يراه هو أنه لم يهن " فالسيف أمضى ما يكون مجردا " .

أهلي وأين هم وأين ربوعهم	غضّ الزمان وجال بينهم الـــردى
في كل درب من شظاياهم لظى	يسم الحياة معفـرا ومســـودا

تركوا المشرد في العراء فلم يهن والسيف أمضى ما يكون مجـردا (١)

وهذا نموذج من ملاحظاته النقدية لمواقف مختلفة في السلوك الاجتماعـــي والاخلاقي العام . فالنفاق - مثلا - اذا كان سلوكا شاذا بالقياس الى طبيعـــة الانسان السليمة فانه يصير السلوك المطرد في مجتمع تحكمه وسائل القمع ويستشرى فيه الفساد ، ويغرى نظام الحكم فيه بالتزلف اليه والخنوع له .

وتقدم الينا قصيدة "اجنحة الهدى" صورة من الواقع الاجتماعي الذي انحـدر اليه بعض رجال الدين حيث أساءوا الى الدين الحنيف بنفاقهم وبالمتاجرة باســم الدين ، كما تشير الى أي مدى أساء الحاكمون باسم الشعب حينما طمسوا الحقيقـة فكانوا سيفا مسلطا على الشعب في الوقت الذي كانوا تبعا للاجنبي وقد تجـــاوز أبو سلمى في هذه القصيدة العتاب الى الهجوم المر ، وتمدت السخرية الـــى التبكيت العنيف ، وربما كان المبرر للشاعر على ذلك الأسلوب أنه قصد مـــن وراء هذا التبكيت استفزاز أقصى درجات الاستجابة في المشاعر النائمة على مظاهـــر القهر والفساد الاجتماعي . يقول أبو سلمى :

فمن رجل يزهـو بوشي ردائـــه	ويختال ما بين الجماهير مزبـــدا
يتاجر باسم الدين الحنيف وهمه	يضلل باسم الدين فينا من اهتـــدى
ومن حاكم للشعب يهتف باســـمه	ويهمي دما من شعبه ذلك النـــدا
اذا هـدد المستعمرون بـــلاده	تراه مع المستعمريـــن مهـــددا
عجبت لمن يسعى لتحرير أمـــة	ويزحف خلف الاجنـــبي مقيـــدا (٢)

---

(١) عبد الكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان ابي سلمى - دار العودة - بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص ٢٩٦

(٢) المرجع السابق ص ٣٥٠

وتشتد وطأة الظلم على الشعب العربي الفلسطيني خلال الخمسينات فتكبت الحريات وتخرس الألسنة وتشل الأقلام . ويقف أبو سلمى يفضح هذه الوسائل القمعية ويتصدى لها فيقول :

قل لمن يرفعون في كل قطر علما خافق الجناح عجيبا
عربي السيماء يبدو ولكن وراء السيماء وجها غريبا
حكموا باسمه الشعوب وسادوا فأظلوا باسم الشعوب الشعوبا
نهبوا النير والقيود وتاهوا من تراه يمحو لنا التنهيبا
ثم عابوا على الشعوب سراها واستحثوا الخطى .. فكانوا الحيوبا
ودعوا باسمنا فكنا الضحايا وأرونا التشريد والتعذيبا
دول كالدمى تمثل دورا رسموه لها وفصلا مريبا
تتثنى على المسارح والميسم يشوي وجوهها والجنوبا (١)

والشاعر في هذه الأبيات يختار الأسلوب الساخر الذي يكشف عن وعي كوميدي الى جانب الوعي السياسي والاجتماعي فهو يصف الحكام بالعبيد السادة . " سادة على شعوبهم " وعبيد للاستعمار وهم ليسو في الواقع سوى دمى على المسرح تمثل دورا رسمه لها المخرج في الوقت الذى تطوق ايديهم وأعناقهم بالنير والقيود وتشوى وجوههم وجنوبهم بمياسم السادة المستعمرين وبهذا يكشف دورهم المزيف بهذا الاسلوب الساخر العنيف .

ويستمر أبو سلمى في كشف الظلم الذى يتعرض له شعبه وفضح الدور الذى يمثله الحكام وهم يستخدمون الوسائل القمعية العنيفة ضد الشعب فيقول :

وطني .. يا ضحية الظلم مالي لا ألاقي غير الجبين المعفر

....

أيها الظالمون ماذا جنى الشعب لتجنوا هل الضمير تحجّر
أمن العرى تنسجون برودا ومن الدمع تصقلون الجوهر
ثورة الشعب طهرى كل أرض وحطمي كل من طغى وتجبر
فيعيش الانسان حرا طليقا وينير الطريق شعب تحرر (٢)

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - المشرد - دمشق ط ٢ ١٩٦٣ ص ١٠
(٢) عبد الكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان أبي سلمى - دار العودة - بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص ١٦٦

والشاعر في البيت الاول يتحدث عن همه الذى يرتبط بهموم شعبه . انــه دائم الالحاح على طرح حرية الشعب على الرغم مما يلاقي من متاعب في حياتــه اليومية . وهذا شأن المحبين الصادقين الذين يزداد حبهم في الصعوبات .

وأبو سلمى يقول عن الشعر :

شعري جسر يلتقي فوقــه أهلي بما يحلو وما يشجــن

يا وطني ! .. لا تأس انا على عهدك ، مهما طالت الأزمــن (١)

....

ما رؤيته لقضية الشعر الملتزم بقضية شعبــه وما هو رأيه في الشعر المأجور ؟ . يضع أبو سلمى حدا فاصلا بين نوعين من الشعر والشعراء . انّ الشعر كالناس في الكون حرف حر وحرف ذليل وهو ينزه الشعر الحق أن لا يكــون صادرا عن الشعور . ان الشعر الحق هو الشعر الملتزم بقضايا الجماهير وآلامها وآمالهــا .

كيف يمشي القلم المأجور في ساحة تجتاحها النار اجتياحـــا

يا رفاق الفكر حرا ثائرا ، ان في الحرية الفكر اصلاحـــا

في صرير القلم الحر صدى ثورة الشعب هتافا ومداحـــا

فاصدعوا الليل بأقلامكم فعلى هاماتها الصبح استراحـــا

حاربوا الظلم مدى الدهر الى أن يرفّ الكون طهرا وصــلاحا

وانا المستعمرون انتشروا يملأون الأرض جورا واجتراحـــا

حرروا الدنيا من استعمارهم شرف الانسان أن يقضي كفاحا (٢)

فهو في الأبيات السابقة يهاجم بأسلوبه المباشر تلك الأقلام المأجــورة ويدعو الى حرية الفكر ، وتجنيد الأقلام للتعبير عن ثورة الشعب والالــتزام بقضايا التحرير السياسي والاجتماعــي .

ثم يخاطب رواد الشعر في العالم العربي فيدعوهم الى النهوض بمسؤوليــة

---

(١) عبدالكريم الكرمي ـ ابو سلمى ـ ديوان ابي سلمى ـ دار العــودة ـ بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص ٣٦٢

(٢) عبدالكريم الكرمي ـ ابو سلمى ـ اغنيات بلادى ـ دمشق ط ١ ١٩٥٩ ص ١١٦

الشعر في الذود عن حقوق الانسان والترفع عن بيعه للحكام ويدعو الى انخراط الشعراء في قلب حركة الجماهير ونضالها وأن يهبطوا من أبراجهم العاجية ويتحملوا مسؤولياتهم بحماية شرف الحرف المضيء وراية الشعر المناضل ٠

أيها الحاملون ألوية الشعر تهاوى الستار والتمثيل
هي أسمالنا التي تحملون اليوم ويا ٠٠٠ فيها الدم المطلول
ان تشريد شعبنا يخضب الشعر وتدمى حروفه والنصول
فاهبطوا لا ترابطوا في البروج البيض فالشعر كله مسؤول
وانسجوا الدرب بالشفاه فقد عزّ عليها بعد النوى التقبيل
شرف الحرف أن يذود عن الحق فان رمتم المقال فقولوا
واضيئوا بالنطى ليبث النور فالليل عالم مجهول
انه الحرف جلّ أن يشتريه حاكم ظالم وعلج نخيل (١)

(١) عبدالكريم الكرمي ـ ابو سلمى ـ ديوان ابي سلمى ـ دار العودة ـ بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص ٢٨٦ ٠

شعر الرثاء وقضية الموت والانسان

الانسان قطار يمر في محطات الحياة ، وتنتهي رحلته الى محطة المـــوت ، كل مرحلة في هذه الحياة تبدأ وتنتهي بكلمة اسمها " الموت " وهذه الكلمة بما فيها من معان وايحاءات تعتبر موضوعا خصبا في شعر الرثاء وقضية المـــوت ، وقد كان لبعض الشعراء ولع خاص بالموت نفسه ومن هؤلاء : الشاعر الانجلـــيزى " جون كيتس John Keats " الذى يقول في احدى قصائده : ان الشعر والمجد والجمال ، أشياء عميقة حقا ، ولكن الموت أعمق ، الموت مكافأة الحياة الكبرى .

The passion poesy, glories in-finite.
Haunt us till they become a cheering light.
Unto our souls, and bound to us so fast.
That, whether there be shine, or gloom O'ercast.
They always must be with us, or we die

ونجد مثل هذا الولع والاهتمام بالموت في شعرنا العربي المعاصر لـــدى كثيرين من الشعراء ومنهم : الشاعر العراقي بدر شاكر السياب الذى يجد فـــي نفسه الجرأة ليرحب بالموت الذى يجد فيه راحة ودفئا وخدرا وارتفاعا .

يا ويلتي ! ان يفتح البـاب
فأبصر الأموات من فرجتـــــه
يدعونـني مالك ترتــــاب
بالموت ، في هجعتـــــــه
ما يعدل الدنيا وما فيهـــا
دفء ، نعاس ، خدر ، وارتفاع . (٢)

ولئن كان الدكتور كامل السوافيرى مغاليا بعض الشيء باعتبــــاره

---

(1) A.A. Bushnaq. An Anthology of English verse Greek Convent press Jerusalem 1956 "Beauty" from Endymion. Page 74.

(٢) بدر شاكر السياب ـ قصيدة ـ اسمعه يبكي ـ المجموعة الكاملة لديــوان بدر شاكر السياب ـ دار العودة ـ بيروت ١٩٧١ ص ٢٨٨ .

الرثاء أخصب الأغراض التي تناولها الشعر الفلسطيني ، الا أن الرثاء يمكن اعتباره من الروافد الخصبة (في شعرنا الفلسطيني) التي تصب في الشعر العربي والانساني المعاصر .

وتتخذ قصائد الرثاء عند ابي سلمى اتجاهين اثنين :

١) رثاء الاحرار والوطنيين المخلصين الذين قدموا تضحيات وطنية ، وكانت لهم وقفات صلبة من المستعمر وصلفه .

٢) رثاء الأهل والأصدقاء الأوفياء .

والحقيقة أن أسلوب الشاعر وعواطفه ، وتناوله للموضوع يختلف بعضها عن بعض في الاتجاهين . ففي الاتجاه الاول يتناول المرثي وأعماله التي قدمها في سبيل وطنه ومواطنيه ، ويثني عليه ويفخر بوقفاته ، ويحاول أن يستغل المناسبة ليتعرض لوطنه فلسطين والاستعمار والسياسة حتى لتكاد تخرج القصيدة من مجال الرثاء الى مجال السياسة والوطنية ، وهذا ما يحدو بالدارس الى الاعتقاد بأن أبا سلمى يحاول أن يوحد في رثائه هذا بين آلام الأمة بفقد أبنائها الأحرار وبين القضايا الوطنية والالام النفسية العامة ، التي يجسدها الشاعر على المستوى الفردي ، والمستوى القومي والمستوى الانساني وحيث يتوحد الألم تتساوى كل المستويات . يقول في رثاء البطل الشهيد محمد صالح الحمد المعروف " بأبي خالد " وهو أحد القادة القساميين استشهد في معركة مع القوات البريطانية في ١٨ أيار ١٩٣٨ .

فلسطين سارت خلف نعش محمد تشيخ في الغارات من كان حاميا
وابناؤها الأحرار ردّوا دموعهم وساروا يجرون الظبى والعواليا
وهم من يخاف الموت من غمراتهم ويزور عنهم لا يريد التلاقيا
ويا لدم الأحرار كم يرخصونه فان سال ما فوق الثرى عاد غاليا
هنالك مجهولون أعلم ربهم باسمائهم يأبون الا تواريا
هم حملوا الرايات في كل حومة وهم رفعوا رأس المروءات عاليا
هم حرروا الميدان في كل حومة وهم نسجوا ثوب الميادين قانيا

فيا أخوة التاريخ نادوا على المدى من الملأ الأعلى الرفاق الصواديا
ردوا الانكليز الشؤم لا كان يومهم وتاريخهم يهمي دما ومخازيا
عصابة قرصان اذا ما خبرتهم رأيت وراء المنشآت أفاعيا
" ولندنهم " وكر الدسائس والخنا وفيها يرى الكون العدو المداجيا
لغوا في دماء الثائرين ولا تنروا فما كنتم الا الوحوش الضواريا
سنثأر ما عشنا ويثأر بعدنا بنونا بثورات تشيب النواصيا
فيا نهر لا تقلق على المجد واستمع الوف الضحايا تقرع الباب ثانيا (١)

يصور الشاعر في هذه الأبيات كيف شيع الشعب العربي الفلسطيني شهيده الى مثواه الأخير ، ولكن في موكب هو اشبه بزفة العرس منه بجنازة الموت ، فالموت نفسه يخشى من مواجهة الأحرار الذين يتحدونه وهم يحملون رايات الكفاح في كل الميادين .

والشاعر يجد في دماء الأحرار الذين يروون بها الثرى حياة جديدة لأبطال آخرين يعودون لمتابعة مسيرة العطاء للأوطان في حركة دائرية لا تنتهي . وهو في البيت الأخير يبشر بثورات متواصلة لا تتوقف قبل أن يتم التحرير .

ونجد أبا سلمى متأثرا في معنى البيت الرابع " بشوقي " الذى يقول في قصيدة " نكبة دمشق " :

دم الثوار تعرفه فرنسا	وتعلم أنه نور وحق
جرى في أرضها فيه حياة	كمنهل السماء وفيه رزق
بلاد مات فتيتها لتحيا	وزالوا دون قومهم ليبقوا
وحررت الشعوب على قناها	فكيف على قناها تسترق (٢)

فالصورة عند شوقي تبين أن دماء الثوار قد جرت غزيرة على أرضها لتروى شجرة الحرية فهي تتفق مع معنى الحياة للأوطان في كلتا الصورتين عند

(١) عبدالكريم الكرمي ـ ابو سلمى ـ ديوان أبي سلمى ـ دار العودة ـ بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص ٦٨

(٢) احمد شوقي ـ الشوقيات ـ ج ٢ ـ مطبعة الاستقامة ـ القاهرة ـ ط ١ ١٩٥٨ ص ٧٥

شوقي " وأبو سلمى " . ولكن الصورة عند أبي سلمى اكثر تكاملا حيث جعل من دماء الأحرار تكرار البداية في النهاية ، أو بما يشبه دورة الحياة في الكون وفي هذا معنى جديد وقيمة جديدة .

وعندما يرثي الشهيد " عدنان المالكي "(١) رئيس الشعبة الثالثة في الاركان العامة للجيش العربي السوري ترف صور وطنه وتتلاحق أشواقها ، يقول في قصيدة الشهيد العقيد عدنان المالكي :

يا شهيدا أطل من عالم الغيب وقد ضاق عن مداه الوجود
فكرة أنت حرة في بلادي ، هي ان لم تخلد ، فأين الخلود ؟
في خفق النجوم ، في الشفق الباكي على الشاطئ الحبيب تميد
شعل من دماك في كل قلب تتلظى والنار فيها وقود (٢)
....

نلمس في هذه الأبيات استجابة الشاعر لضغط الذكرى على نفسه - ذكرى الوطن والدار - فتنبثق منها صور الطبيعة ممزوجة بصور التحدي والعذاب حيث

---

(١) قام عدنان المالكي خلال حرب فلسطين التي نشبت عام ١٩٤٨م باحتلال التل المشرف على مستعمرة (مشمار هايردن) اليهودية ، والذي سمي بعد السيطرة عليه ، تل المالكي ، وفي الفترة التي تلت الهدنة الاولى التي فرضتها الأمم المتحدة على العرب يوم الجمعة في ١١ حزيران ١٩٤٨ أصيب عدنان المالكي بجرح بليغ في رأسه خلال معركة " مشمار هايردن " التي حاول اليهود استردادها ، وحين برئ من جرحه اسندت له قيادة الفوج الثامن الذي قام هو نفسه بتشكيله وأسهم على رأسه في فك الحصار عن فوج الانقاذ في الجبهة اللبنانية ، وقد حوصر الفوج المذكور في تلك المعركة من قبل القوات اليهودية فتمكن العقيد المالكي ببراعته من فك الحصار دون أن يخسر في المعركة أي جندي من جنوده .
(منشورات الفرع الثقافي الفكري - مطبعة الأديب - دمشق ط ١ ١٩٥٦ المالكي " رجل وفقيه " ص ٧٩ "

(٢) عبد الكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان ابي سلمى - دار العودة - بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص ٢٣١

كان مزج صور النضال ممثلة بالشهيد ، والفكرة الحرة ، والدماء والثأر بصور الطبيعة ممثلة بنسيم الوادي وأغنية السفح وخفق النجوم ، يحمل زمنين في نفس الشاعر يقود أحدهما الى الآخر ، الماضي الفلسطيني قبل النكبة ، الذي يظل منطبعا في الذاكرة من خلال مظاهر الطبيعة ، والحاضر القومي الذي يجب أن يقوم على الشهادة لكي يتسق معنى الحياة بين الانسان والطبيعة دونما عوائق •

ان ميزة هذه الصورة أيضا في أنها تعبر عن التفتح في أشد حالات الظلمة ، وبمعنى آخر فان الحركة في الصورة تدفع بالقارئ الى أن يتجاوز الحالة المظلمة التي تعبر عنها •

وبعد هذه الصورة الجميلة العامرة بالحركة والانفعال ينتقل الشاعر الى الزمن الماضي قبل النكبة ليتحدث عن وطنه فيقول :

وطني هل سمعت من خفق قلبي أغنياتي وهل شجاك النشيد ؟

قد حملناك في القلوب فكنا نتآخى وانت دان بعيد

هل اغني على ملاعبك السمحة يوما وهل يغني " سعيد" (١)

عجبا بعدما تشرد أهلي ليس يخضر فوق أرضك عود (٢)

ونموذج آخر من قصائد أبي سلمى في الاتجاه الاول من شعره في الرثاء يجد فيه استشهاد الطالبة رجاء حسن أبو عماشة ، ابنة الخمسة عشر ربيعا التي استشهدت وهي تشترك في احدى المظاهرات التي قادها الشعب في مدينة القدس العربية ضد حلف بغداد ووري جثمانها الطاهر في مدينة أريحا في الضفة الغربية لنهر الاردن •

في هذه القصيدة يمزج ابو سلمى تضحيات الشهداء الأغرار في سبيل بلادهم بتضحيات الشهيدة الأم فلسطين ، ففي حين أن رجاء قد دفنت في العراء بجانب خيمة باكية من خيام اللاجئين ، ولفها الليل بسكونه ، فقد أصبحت

---

(١) سعيد هنا هو ابن الشاعر

(٢) عبدالكريم الكرمي ـ ابو سلمى ـ ديوان ابي سلمى ـ دار العودة ـ بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص ٢٣٢

منسية مثل الشهيدة الكبرى فلسطين ، فكلاهما في المأساة سواء ، وكلاهما قد لفه نسيان الأهل والعشيرة . ولكن فلئن تنكر لرجاء الأهل وجفاها منهم كل قلب ، فقد حنا عليها قلب فلسطين تغمرها بالحب والوفاء .

منسية - مثل بلادي - رجاء مرت كما مر شعاع الضياء
أغفت على سفح أريحا ولا من أدمع الا دموع السماء
ولفها الليل برفق وما من مؤنس الا النجوم الوضاء
لما جفاها كل قلب حنا قلب فلسطين كما الحب شاء
وضمها بل ضم تاريخه قلبان ظلا ينزفان الدماء
يا قطرات طهرت موطنا يا مشعلا قلوب شعبي أضاء
يا عبقا يا نفح ريحانه لما يزل في أرضنا والفضاء
نحن على عهدك لما نزل نرفع في ساح الجهاد اللواء (١)

وفي مقطوعة انسانية من تسعة أبيات ، يجسد الشاعر فيها عناصر الطبيعة فيجعل روح رجاء تناجي شاطئ يافا الذي لم ينسها كما نسيها الأهل ، بل كان وفيا حافظا للجميل وافتقدها البحر ، وأجهش الموج بالبكاء ، وهاجت به عواطف الشوق ، وأخذ الشاطئ يسأل عنها فلا يجيبه الا رجع الصدى والهواء . ويختتم الشاعر المقطوعة بأن مزج بين الماديات والمعنويات حينما جعل روحها تهوى على شكل نجم صغير رويت بدماء الأبرياء أمثال الشهيدة رجاء .

لم ينسها شاطئ يافا فقد كانت تناجيه اذا الليل جاء
وكلما سارت وأترابها شوقا على تلك الرمال الظماء
مال على أمواجه هامسا فقد درجت فوق الرمال الظباء
والتفت البحر ولم يلقها ذات مساء .. أين غابت رجاء !
وأجهش الموج وهاجت به عواصف الشوق ولا من لقاء
ويسأل الشاطئ عنها فلا يجيبه الا الصدى والهواء

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - المشرد - الطبعة الثانية - دمشق ١٩٦٣ ص ٩٢

ما حملت رجاء يوم النــوى الا شظايا روحهــا والدمــاء
مدت لها القدس جناح الهدى على جناح القدس كانت رجــاء
ثم هوت نجما صغيرا علـــى أرض ترويت بدم الأبريــــاء (١)

وهو في قصيدة أخرى يحيي قوافل الشهداء من أبناء بلاده الذين تهــاووا كالنجوم في دروب الجهاد بعد أن حطموا قيود الاستعباد ، وعصفوا بحلف بغــداد الذي وقف وراءه الانجليز الذين لعبوا دورا في تشريد الأهل والأحبــاب.

ولكن فهل ينسى الشعب هذه الاساءة ، بينما اللاجئون قد شتتوا في أنحــاء المعمورة وشردوا تحت كل سماء ؟ !

لقد ظن الانجليز وعملاؤهم أن اللاجئين قد استحالوا رمادا ، فــاذا بالجحيم يتقد ويستعر تحت هذا الرماد ، مشيرا بذلك الى هبة الشعب وانتفاضتـــه ضد حلف بغداد .

يا رفاقي المرابطين تها ويتم نجومــا تضــيء للآبـــــاد
وتهادى الزمان لما رآكـــم تتهاوون في دروب الجهـــــاد
يوم حطمتم القيود ثقــالا وتحررتم من الأصفـــــــاد
وعصفتم بالحلف حين تبـدت زرقة الناب من وراء الســـواد
كيف ننسى وتحت كل سمـاء لاجيء يشتكي من العـــوّاد
حسبوا اللاجئين حالوا رمادا واذا بالجحيم تحت الرمــــاد (٢)

وبعد هذه المقدمة ينتقل الى رثاء " رجاء " وتمجيد بطولتها وامتـــداح وطنيتها ، مقررا أن شعبه لم يبك رجاء بكاء الحزين الملتاع كما هي العــادة مع الموتى العاديين ، ولكن ليستثير في ذكراها كامن الاحقاد ويفجرها عواطــف ثائرة على من تسببوا في آلام الشعب وعذابه ، فتراه يمزج الألم بالحقد ، وعاطفة

---

(١) عبدالكريم الكرمي ـ أبو سلمى ـ المشرد ـ الطبعة الثانية ـ دمشـق ١٩٦٣ ص ٩٢

(٢) عبدالكريم الكرمي ـ ابو سلمى ـ اغنيات بلادي ـ الطبعة الاولى ـ دمشق ١٩٥٩ قصيدة " رجاء " ص ٩٤ ، ٩٧

الحزن التي تخفق في قلوب الشعب بالثورة على الظلم والاستعباد .

يا رفاقي الذين زفتم شباب الخلد كنتم طلائع استشهاد
الدماء التي جرت .. من دمائي والجراح التي بكت .. من فؤادي
ما بكينا ،رجاء .. ولكننا اثرنا عواطف الأحقاد
خفقة قد غدت لدى كل قلب ثائر في الورى على استعباد
واسمها المنب نغمة الشعب يغني بها ، وحبل الشادي (١)

ويعود بعد هذا الرثاء الممزوج بالثورة والحقد ليربط بين عطاء الأرض والانسان فلقد تربى ابن فلسطين على العزة ، ورضع حليب البطولة ، حتى شب لا ينام على ضيم أو اضطهاد ، فلا بدع والحالة هذه أن يعود المشردون الى أرضهم فهي أسباب وجودهم ، ورمز عزتهم وكرامتهم .

يا فلسطين أنت أنشأت شعبا لم ينم ساعة على الاضطهاد
حارب الظلم منذ كان فيا للشعب يودى بالسيف والجلاد
ولهيب الأردن شب فهل يبقى على ضفتيه رجس الأعادى ؟!
لا تقولوا هذى بقايا فلسطين وفيها دنس من الامجاد
سيعود المشردون اليها ، اسمعوها مع الضحايا تنادى (٢)

ومن بواكير شعر أبي سلمى قصيدة يرثي فيها الشهيد البطل " أحمد مريود " (٣) الذى استشهد عام ١٩٢٦ ومن الملاحظ أن هذه القصيدة قد نظمت في سن مبكرة ، فنحن نعرف أن ميلاد الشاعر كان في عام ١٩٠٩ ولما كان نظم

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - أغنيات بلادى - الطبعة الاولى - دمشق ١٩٥٩ قصيدة " رجاء " ص٩٤ ، ٩٧

(٢) المرجع السابق

(٣) أحمد بن موسى بن حيدر مريود شهيد من رجالات النهضة القومية في سورية ، ثار على الفرنسيين عام ١٩٢٥ وقد فاجأ الفرنسيون احمد في بيته بجبانة الخشب فقاومهم الى أن استشهد فحمل الفرنسيون جثته الى دمشق فعرضوها على الانظار ثم دفن في جهة قبر عاتكة وقد سمي أحد شوارع دمشق باسمه .
(اعلام الزركلي - جـ ١ ط ٣ بيروت ١٩٦٩ ص٦٨٧).

هذه القصيدة يحمل تاريخ ١٩٢٦ فمعنى ذلك أن سنه عند انشائها كان يقارب السابعة عشر وكان ما يزال طالبا في مركز عنبر بدمشق ، يقول ابو سلمى :

أأحمد تبكيك هذي الجموع فقد كنت في قومنا الأوحدا
قضيت تدافع عن جلق وأنت تروم لها السؤددا
وأيت بغيها تسام العذاب وتطلب من بينهم منجدا
يساقون للقتل من غير ذنب بطعن الحراب وضرب المدى
فكنت بذلك فخر الأماجد أبطال قحطان طول المدا
لئن كنت غيبت طي الثرى ووسدت بعد الهنا جلمدا
فروحك خالدة في السما كأني بها قد غدت فرقدا
تنير لقومي طريق الحياة كأنك بدر الدجا قد بدا
تهيب بنا لامتشاق الحسام وخوض المطامع كي تسحدا
فنم بهدوء وروح فؤادك ان المعارك لن تخمدا
ستنظرنا نصطلي نارها ونودي بمن جاء مستعبدا
فينظر طعنا يقد المنون وضربا يقض شؤون العدا
فاما حياة لنا حرة والا .... فهيا لكي نلحدا (١)

في الأبيات السابقة نلاحظ اعجاب الشاعر بالبطل وتخليد كفاحه واتخاذه قدوة ، ونحس في هذه المرثية وقدة العاطفة وحرارة الاحساس بالفجيعة ولئن كان فيها كثير من المعاني العامة الا أن الشاعر قد وحد في رثائه بين آلام الأمة بفقد أبطالها وبين القضايا الوطنية وهو ما يبدو اتجاها جديدا على المستوى القومي والانساني .

ولكن عواطفه تجاه المرثي في هذا الاتجاه كما سنلاحظ في النماذج التالية لا تبدو فيها حرارة الفراق ولوعته وهذا في رأيي يعود الى أن العاطفة الوطنية والتألم لحال الوطن ، والواقع القومي الذي يعاني منه يستحوذان عليه ليستحيل

---

(١) ياسين عرفه الدمشقي - ديوان الثورة - المطبعة العربية بمصر ط ١ ١٩٢٦م ص ١٢٨

معه المرثي جزءاً من الوطن والآلام التي يشعر بها نحو المرثي هي بعض الآلام التي خلفتها في نفسه مأساة وطنه والواقع القومي لأمته لذا تكون العاطفة الوطنية هي الغالبة والملونة لهذا الشعر •

أما أسلوبه فيرق في الأجزاء الاولى من القصيدة حين يتحدث عن مأساة شعبه وخاصة حينما يتطرق الى خيانة الحكام وخذلانهم للشعب ولا عجب في ذلك فالأسلوب يتجاوب مع حالة الشاعر النفسية • ويتلاءم مع الغرض والاتجاه الذى يكتب فيه •

ونحن نشير هنا الى مرثيته للمناضل العربي "صبرى العسلي " التي ألقيت في حفلة تأبينه بدمشق ولعل اشارتنا الى هذه المرثية بعد مرثية أحمد مريود فلأنها هي آخر ما نظمه ابو سلمى من شعر الرثاء (١) :

يبدأ ابو سلمى القصيدة بقوله :

صوع الحرف هوانا واغترابا	أتراه يصف اليوم مصابا
ليس في قلبي ما يرفده	غرس الأهلون في قلبي حرابا
حاربوا بالغطب البيض المدى	والمواضي لم تزل أمضى غطابا
عبق الريحان والورد لهم	وعلى أهليهم كانوا ذئابا (٢)

فهو منذ البداية يعتذر للمرثي على ما له من المكانة الوطنية والمزلة القومية بأن الحرف لم يعد قادرا على وصف شيء سوى المصاب بسبب ما لاقاه من الهوان والغربة أما قلبه فلم يعد يملك في حناياه ما يرفده من عواطف ومشاعر بعد أن غاصت حراب الأهلين في شعاب هذا القلب •

وينتقل من هذه المقدمة ذات الأسلوب الساخر والانتقاد المرير للواقع القومي والتلفت الى حال وطنه وآلام شعبه الى التلفت الى رجال الثورة الكبرى من الأحرار " والمرثي كان واحدا منهم " فيأخذ في تعداد مناقبهم ويصفهم

---

(١) القيت هذه القصيدة في حفلة تأبين صبرى العسلي في قاعة نقابة المحامين بدمشق بتاريخ ١٩٧٨/٤/٢٨ •

(٢) عبدالكريم الكرمي ـ ابو سلمى ـ ديوان ابي سلمى ـ دار العودة ـ بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص ٣٦٩

اكرم وصف فيقول :

يا بقايا الصيد من مثلكم عند هول الخطب شيبا وشبابا

كنتم حربا على الخصم ولم تهنوا حتى جلا الخصم وغابا

وزحفتم للوغى في وحدة صهرتها النار فكرا ورغابا

وحطمتم بالظبى النصر لها ومحوتم بالدم الحر انتدابا

يوم فجرتم من الدجن سنى ومن الرمل الينابيع العذابا

ونشرتم في الميادين اللظى وتها ويهم شهابا فشهابا

طلع الفجر على واحاتكم بعدما ألقت عن الليل الحجابا (١)

ثم يلتفت الى المرثي فيتناول بطولاته التي قدمها لوطنه ، ويثني على وطنيته مظهرا تقدير الشعب له ، وعرفانه بالجميل لأبنائه الأحرار .

يا فتى الثورة عشت الصبا بالبطولات فأغليت الغضابا

ودمشق الشام شقت صدرها ثم ضمتك حنايا وجلابا

يا فتى الفتيان أيام اللقا سألت عنك والفتك الجوابا (٢)

ويكتفي بهذا القدر من الثناء والتقدير ليعاوده الحنين الى وطنه ثم ليؤكد بصورة قاطعة وحازمة أن أى قطر عربي يتخلف عن الركب في معركة التحرير والحرية لن يكون له من وجوده سوى الاسم الذى يحمله .

أيها الغائب انا لم نزل من فلسطين الهوى نشكو الغيابا

كلما طال المدى زدنا هوى كلما زاد الهوى زادوا عذابا

كل مصر عربي لم يكن دون تحرير الحمى الا سرابا

لا رعى الله ربوعا لا ترى في سماها من فلسطين الغيابا (٣)

وبعد خمسة أبيات يصف فيها واقع الوطن العربي ، وما هو عليه من التخلف والتفكك والاضطراب يلمح نور الأمل يطل على وطنه من خلال ثورة ابنائه ،

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان ابي سلمى - دار العودة - بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص٣٦٩

(٢) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - في حفلة تأبين المناضل صبرى العسلي - نقلت عن ناظمها .

(٣) المرجع السابق

ومن خلال المقاومة التي يبديها الشعب داخل الأرض المحتلة فيشيد ببطولة الشعب ، ويحيي بسالة فتيانه وبنياته الذين وقفوا يصارعون الطغيان لا يحملون في أيديهم سلاحا سوى الحجار الصم يرجمون بها صلف العدو وغروره ، ويرجمون معها النخوة العربية والمروءات القومية الجوفاء بعد أن نفضوا أيديهم من كل أمل بالنجدة والانقاذ على أيدي زعماء العرب .

من رأى الفتيان يمشون على لهب الموت رأى الموت العجابا

والبنيات على درب الهوى في فلسطين يحطمن الصعابا

الحجار الصم في أيديهم تصرع الوحش المدمى والعقابا

رجموا النخوة فيما رجموا والمروءات التي باتت كذابا (١)

وهكذا ففي أبيات تسحة من الفخر والاشادة والاعتزاز ببطولة الشعب والتفاؤل والأمل بانقشاع الغمة يسترسل أبو سلمى بكل عاطفته ومشاعره مع أبناء شعبه الأبطال قبل أن يلتفت ثانية الى المرثي ليختتم القصيدة بالاعتذار اليه مرة أخرى مبررا عدم استجابة دموعه وهو يرثيه بأن وطنه فلسطين لم يترك لديه دموعا يبكي بها أحدا من الأصحاب بعد أن استنفذ من عينيه كل الدموع .

يا فتى الثورة عفوا لا تلم كيف أرثيك ودمعي ما استجابا

لم يعد بعد فلسطين لنا من دموع أين من يبكي الصحابا (٢)

وهذه قصيدة أخرى في رثاء المناضل " عمر فاخوري " قال عنها الشاعر العراقي بدر شاكر السياب في رسالة بعث بها الى أبي سلمى " بين يدي الآن قصيدتك في رفيق التاريخ " عمر فاخوري " فماذا اقول عنها .. هي " الكلمة التي تستحيل الى ملايين من السواعد المفتولة " كما قال واحد من معلمي البشرية الخالدين ، هي الجمال الذي يصبح قوة والقوة التي تصبح جمالا (٣). "

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - في حفلة تأبين المناضل صبري العسلي - نقلت عن ناظمها .

(٢) المرجع السابق .

(٣) عصام العباسي - جريدة الاتحاد - حيفا - تاريخ ١٩٧٤/٤/٣٠

يخاطب ابو سلمى في هذه القصيدة المرثي ، فيبدي اعجابه وتقديره للفقيد ويقول عنه : " انه عالم من المكرمات والآداب بالاضافة الى كونه ، رفيقا للتاريخ والأجيال ، والأحقاب ويستكمل رسم الصورة الجميلة التي انطبعت في شعوره واحساسه عنه ، فيصفه بالنسر الذي يطير في الأفق الرحب فوق كل سماء ، وله جناحان يحملان المروءات ويرفان فوق كل سحاب ، وكأن الشاعر لم يكتف بكل هذا الوصف الذي أطلقه على صديقه بل جعل منه روضا نضيرا يتحلى بالزهر والأطياب كناية عن أدبه وفنه

عالم المكرمات والآداب يا رفيق الأجيال والأحقاب

يا رفيق التاريخ والثورة الحمراء من للخصوم والأصحاب

كنت نسرا يطير في الافق الرحب فتهمي الأمجاد فوق الرطاب

الجناحان يحملان المروءات يرفان فوق كل سحاب

كنت روضا من الحياة نضيرا يتحلى بالزهر والأطياب (١)

ثم ينتقل بعد ذلك ليحيي بلد الفقيد " لبنان " ويصف حنينه وأشواقه الى جبله الأشم وبساتينه الخضر ودواليه وسواقيه .

ايه لبنان والخطى داميات قد زحفنا على خضيب التراب

وحملنا على الأكف قلوبا ظامئات الى لهيب الشراب

جبل فوق رفرف الخلق يغفو في ذراه عرائس الاوصاب

الق الخالدين فوق صباحيه وعرس الجهاد فوق الروابي

الأغاني على السفوح مشرودات وتاه العبير بين الشعاب

والدوالي على الدروب سكارى والسواقي ارتمت على الاعتاب (٢)

ثم يعود الى المرثي ، مخاطبا اياه تحت التراب ، مبديا حيرته وتساؤلاته ، فتراه يوحد بين بني الانسان الذين يئنون تحت وطأة الظلم والضنى والاضطهاد ، وتراه يبث من خلال هذه النقلة لواعجه وآلامه مبينا مدى ما يتعرض له الأحرار

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - نقلت عن ناظمها .

(٢) المرجع السابق .

من قمع ، ويغني مذكرا بنضال الفقيد من أجل تحطيم القيود والأغلال التي تطوق أعناق الرفاق من كل جنس ولون في جميع أنحاء المعمورة ، معبرا عن عميق الفراغ الذى تركه " عمر " بعد وفاته ، مشبها حال الناس التي كانت عليه حين وفاة "عمر " بأنها كحال الطير الذى يكون في دائرة الصيد الضيقة ، ويصف نير الطغاة وبطشهم بأنه يشبه السهام المسددة الى الفريسة بعد أن يدركها الصياد . ويختتم القصيدة باستنهاض المرثي ليقوم فينادى الرفاق من كل لون وجنس بأن يهبوا للنضال الذى يوحد بين جميع الاجناس وليحرروا العالم من الظلم والاضطهاد .

وفي غمرة هذا النداء الانساني لا ينسى الشاعر أن يلتفت الى فلسطين ملهمته الأولى ، وأمه الرؤوم ، فيصفها بالحلم الذى أدماه زرق الأنياب كناية عن الانجليز الذين تعبر عبقريتهم عن الاجرام والظلم ، ويطالبها بان تفتح صدرها الجريح وتنادى أحرار العالم بأن يتحدوا ويهبوا لرفع الظلم وتحرير العالم من الطغاة والمستعمرين .

عمر الخير والكرامة والمبدأ ، ماذا رأيت خلف الحجاب
هل رأيت العبيد كيف يجرون ، قيودا من الحديد المذاب ؟
أم رأيت القيود يصهرها الأحرار ، بالنار قبل يوم الحساب
أيها الحامل الشعاع الالهي ، شعاع القلوب والألباب
أوحشت بعدك المحافل والساح ، ودور الرفاق والأحباب
والسنى غاب من عيون الندامى ، وظلال الدموع في الأهداب
أيها الشارع اليراعة تنقض على الظالم انقضاض الشهاب
كيف تمضي ونحن في حلق الصيد ، ونير الطغاة فوق الرقاب
لم يرعنا الا مصابك في اليوم المرجّى ، يا هول ذاك المصاب
أقبل الثائرون يلثمون الركن قبل الصلاة في المحراب
يحشدون الآمال في وهج الغمرة حشد المنى على القرضاب
قم وناد الرفاق من كل لون ، لا رفاق الأحساب والأنساب

بل رفاق الآلام والدم والدمع ، ورفاق الشقى ، ورفاق العذاب
يا فلسطين ، أيها الحلم الدامي وأدماه أزرق الأنياب
عبقرى الاجرام والظلم لا يشرب الا من الدم المنساب
افتحي صدرك الجريح ونادي يسمع الكون كيف رجع الجواب
عندما نلتقي على قمة التاريخ ، بيض الوجوه حمر الثياب (١)

وعن الأحبة المناضلين في سبيل الحرية والكلمة المقاتلة يقول أبو سلمى في مقدمة قصيدة أحبة يتساقطون :

" في كل يوم يغيب فرسان عن الميدان .... وهكذا تهاوى رشيد الحاج ابراهيم ، صبحي الخضراء ، درويش المقدادى ، مخلص عمرو ، عبدالرحمن الحاج ابراهيم ، وكثير غيرهم بعيدين عن أرض المعركة ... فلسطين "(٢)

كيف تبكي ؟ وهل هناك جموع نهب الصب والهوى والربيع
كل يوم أحبة تتهاوى وقبور غريبة وجموع
لا التراب الذى يضم شظاياهم تراب ولا الجموع جموع
لا يريدون غير أرض فلسطين ؟ خيام سود وعرى وجوع ؟!
ودماء مطلولة وجباه عفرتها مذلة وخنوع ؟!
اننا لاجئون في كل قطر وبقايا الشعب الشريد قطيع
ليتنا لم نفارق الدار حتى تتلاقى أصولنا والفروع
قد رأينا الهجان في الساح تجرى ، وحدها والعتاق لا تستطيع (٣)

يقول أبو سلمى ، في كل يوم يموت نفر من ابناء فلسطين بعيدين عنها ، ويدفنون خارجها في غير بلدهم ، يدفنهم غير أهلهم ، ويتحسر الشاعر على هذا الشعب الذى أصبح يقيم في خيام سود ، ويتمنى لو لم يفارق الدار أهلها ليصونوا

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - نقلت عن اوراق ناظمها .
(٢) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - المشرد - دمشق - الطبعة الثانية ١٩٦٣ ص ١٠٧
(٣) المرجع السابق

عروبتهم وتراثهم بدلا من أن تترك للدخلاء يصولون ويجولون فيها كيفما شاءوا .
ويستمر الشاعر في وصف الحال الذى كان عليه أهل فلسطين ، والأمر الذى آلوا اليه بعد أن أصبحوا بلا وطن ، فيقول :

نحن كنا طليعة الثورة الكبرى	ومالت اعناقنا والجذوع
ووصلنا المعارك امجادا	ولا نشترى بها أو نبيع
ان عكا وعسقلان وحطين على	أرضنا ... فكيف تضيع
وركزنا راياتها في جبال النار	مخضلة الذيول تروع
ورفعنا تاريخنا تعرق الأحرف	فيه ويستفيض السطوع
وأطلت شمس العروبة من بين	ربانا وقد زهاها الطلوع
مالنا اليوم .. لا نعد من العرب	وغاب التأهيل والتوديع
كل شلو على ثرى عربي	أجنبي ينز منه النجيع (١)

يقول الشاعر في هذه الأبيات اننا حاربنا بشرف ، ولم نساوم على وطننا أونخن الأمانة فقد شهدت بلادنا أروع المعارك في الماضي ، أيام الحروب الصليبية ، وأيام غزو نابليون وقد دعيت جبال نابلس وقراها بجبل النار ، لأنها مخضلة بدماء الاعداء الذين كانت أرض فلسطين مقبرة لهم . هذا هو الحال الذى كان عليه أهل فلسطين قبل أن يغادروها ، أما بعد رحيلهم فلم يعد يهتم بهم أحد وقد غدا ابناء فلسطين يموتون بعيدين عن وطنهم . ومن الملاحظ في هذه القصيدة ، أن الشاعر قد جعل من موت عدد من اصدقائه مناسبة ليستنهض بها همم العرب دون أن يقتصر على رثاء اصدقائه ، بل اخذ يبث آلامه وهمومه التي هي آلام وهموم شعب فلسطين . واستطاع أن يصور كفاح الشعب العربي في فلسطين بأسلوب واضح وكلمات معبرة .

ونموذج آخر من قصائد أبي سلمى في الاتجاه الأول من شعر الرثاء ، هذه القصيدة التي القاها في ذكرى الشاعر العربي الكبير " عزيز أباظه " يستهل

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - المشرد - دمشق - الطبعة الثانية ١٩٦٣ ص ١٠٧

الشاعر القصيدة بثمانية أبيات يحمل فيها شجونه وآلامه وهمومه التي هي آلام وهموم شعبه ، فيقول :

وحملنا من فلسطين الجراحا ... ألسنا في المهرجانات فصاحا

وشظايانا اللواتي انتشرت ... قد عصبناها وشاحا فوشاحا

جلت الثورة ايام اللقا ... جبهات تفضح الشمس صباحا

وغدت أشعارنا صامتة ... انها في صمتها أمضى سلاحا

يا فلسطين اتيناك على ... صهوة الجرح رعودا ورياحا

تقف السمراء في ساح الوغى ... تتحدى الأسمر الذئب كفاحا (١)

وبعد هذه المقدمة التي يحمل فيها جراح شعبه وتصميمه على الكفاح يصل الشاعر بين هذه الآلام النفسية العامة وبين آلامه وآلام الشعب المصرى بفقد فارس من فرسان الشعر العربي المعاصر ، ففي حين يتغلغل الألم الى أعماق ذاته ، وهو يحمل جراح الفلسطيني ، وهموم مأساته ، تراه ينقل أحاسيسه ومشاعره بفقد " عزيز " صديقه الوفي ، فتراه يرق وتتحول العبارات الثائرة وهو يصف آلام شعبه ، الى نغمات حزينة وهادئة فيما هو يتحدث عن صديقه الراحل ، وبعد أن يعدد مناقبه ، يصف الفراغ الذى تركته وفاته بعد أن انطوت صفحة من صفحات الشعر الأصيلة المشرقة .

شيع الشعر " عزيزا " وبكى ... خلقا فيه ونبلا وسماحا

لا عروس النيل في موكبها ... لا ولا موكبها زف الملاحا

لا الليالي خافقات بالسنى ... لا ولا النجم على الموج استراحا

لا الرياحين على الشط زهت لا ... ولا الورد بسر العطر باحا

وانثنى الفارس على رايته ... وارتمت تملأ الدنيا نواحا

يا عزيز الشعر من بعد النوى ... لم نجد للشعر فرسانا وساحا

الحروف العربيات انطوت ... والهجينات تصدرن المراحا

هانت الانفس فالشعر غدا ... مرتعا مثل بلادى مستباحا (٢)

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابوسلمى - جريدة الدستور الاردنية عدد٢٤١٩، ٢١نيسان ١٩٧٤ .

(٢) المرجع السابق .

ويستمر في وصف وقع الفاجعة على نفسه واحساسه بالألم بفقد عزيز غـال ، فيقول : " انه في كل يوم يموت نفر من الأصدقاء الأحباء الذين يعتبرهم الشاعر قطعا من كبده ، كما أن اخوانه الذين يموتون بعيدين عن أهلهم وأصدقائهم كثيرون ، ويتأسف ويتحسر لكونه لم يكن موجودا ساعة وفاة " عزيز " وتشييع جنازته ، الا أن أمثال هذا الفقيد من شهداء الشعر ، هم مشعل على طريق الحرية يضيء لشعبه طريق الخلود " :

كل يوم قطعة من كبدي ... تتشظى وبها الموت أطاحا

لي في كل المناحات أخ ... لم يجد قبرا ولم يلق أقاحا

وهوى السيف المدمى عاريا ... دون غمد والردى رد الجماحا

لم تشيعه بقايا أدمعي ... لا ولا توديعه كان متاحا

والرفاق المستجيرات ألم ... يسمعوا منها عويلا وصياحا

شهداء قد كساهم ربهم ... نضروا روحا وردنا وصفاحا

وهم في كل درب مشعل ... أطلعت من ظلمة الليل صباحا (١)

ويلتفت مرة أخرى الى صديقه الفقيد ، فيصف الفراغ الكبير الذي تركه بعد وفاته ، مبديا بعض التساؤلات الموحية بالجواب .

أيها الحر الذي فارقتنا ... ان للقيد على الأرض اجتياحا

أيها الصداح ما الروض اذا ... كنت لا تملأ جنبيه صداحا

أيها الشاعر ما الحفل اذا ... كنت لا تسقيه من شعرك راحا

لا يضيء النور في الجمع اذا ... لم يكن منك الجبين الطلق لاحا

مثل زيتون بلادي خالد ... شعرك الغض اخضرارا واتشاحا

يا عزيز الشعر ما زلنا على ... عهده نعتنق الود الصراحا

أينما سرنا على أعطافنا ... عبق من شعرك المعطار فاحا (٢)

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - جريدة الدستور الاردنية عدد ٢٤١٩ ، ٢١ نيسان ١٩٧٤ .

(٢) المرجع السابق .

أما الاتجاه الثاني ، فيدخل في مجاله رثاء أخيه " أحمد شاكر الكرمي " والشعراء الكبار الذين طواهم الردى والأصدقاء الأوفياء .

ويمتاز هذا الاتجاه بحرارة العاطفة ولوعة الفراق . اذ كان أبو سلمى يشعر بيد الموت البارزة تمتد لتختطف منه أناسا أعزاء عليه على حين لا يستطيع أن يأتي بأي عمل فيتغلغل الألم الى أعماق ذاته ، ويلتمس شغاف قلبه فينطقه شعرا يفيض ألما ومرارة منعكسا على تلك النفس الملتاعة ، ويقف أمام الموت هذا المصير النهائي والقدر المحتوم ويتناول بتفكيره مأساة الحياة وعجز الانسان أمام الموت ومصيره الذي يؤول اليه بعد هذه الرحلة في قطار الحياة .

يقول في رثاء أخيه الكاتب والأديب الكبير أحمد شاكر الكرمي ، وكان ابو سلمى في ذلك الحين لا يتحدى سنه الثامنة عشر .

لئن هاج ذكر الراحلين رسيسي فقد حطم الدهر الخؤون كؤوسي
كؤوس الأماني وهي مفعمة هوى وتحنان نفس لم تقس بنفوس
هبطت الى الفيحاء والقلب واجف يثلّقه وجدي بها ونسي
وقلت لأصحاب الصبا يتفجع ودمع جوى الأكباد غير حبيس
قفوا بي على الذكرى فهذى حشاشة سقتها بنات الدهر خمرة بوس
فأنغامها الأنات في هيكل الأسى يردده مزمار كل بؤوس
وعجنا على رمس الحبيب وكلنا يلملم روحا أدرجت برموس
...وكان شهيق وانتحاب ولوعة ترجعها الأجواء مثل دروس (١)

حتى اذا ما انتهى من التعبير عن الفاجعة التي المت به بفقد أخ عزيز كان له تأثير على مجريات حياته ، وتشكيل شخصيته ، أخذ يصف حالته النفسية ، وما آلت اليه بعد فقده أخاه فيختتم قصيدته بالمزج بين فقيد قضى لم يلق مؤنسا ، وفقيد حي هو الشاعر ، فارق كل أنيس بعد فراقه لأخيه " أحمد "

---

(١) ابو سلمى — الى روح أخي — مجلة الزهراء — القاهرة ج ١ — مجلد ٥ — ربيع الاول ١٣٤٧هـ ص ٢٣

فكأنه بهذا الفراق قد فارق سعده ، وطموح شبابه ، وولى عنه كل أنس وسرور .

أخي والردى أغنى، عليك فجاءه — وقد كنت فينا تفتدى برمـــوس

أأرثيك لا أدرى الرثاء وانما — أذيل نجيع القلب فوق طـــروس

ولو أن دهرى قد تناسى كمشفق — قوى ميعتي وافتر بعد عبـــوس

لكنت أرجيها لحل مصيبــــة — محي وأمام الرزء شبه تـــروس

ولكنما أقضى البقايا بخطبه — وأتبع أذناب القوى بـــــرؤوس

فلا زمني ليل من اليأس مظلم — وآذن نجمي يا أخي بطمـــــوس

كلانا فقيد: أنت لم تلق مؤنسا — وما أنا قد فارقت كـل أنيـس (١)

ومن الرثاء للأخ الى رثاء الشعراء الكبار الذين طواهم الردى ، وكان لهم فضل كبير على نهضة الشعر العربي المعاصر وقد صور أبو سلمى عاطفته ومشاعـره بفقد أمير الشعراء " أحمد شوقي " فألقى قصيدته المشهورة " ليلى على جبـال التوباد باكية " في حفلة التأبين لشوقي التي اقامتها جمعية الشبان المسلمين في قاعة مدرسة النجاح الثانوية الوطنية بنابلس عام ١٩٣٢ وهي تتألف مــن تسعة وعشرين بيتا وهي في الوزن والقافية والروى تتفق كما يقول الدكتور كامل السوافيرى مع أندلسية شوقي التي نظمها في منفاه باسبانيا (٢) والتي مطلعها :

يا نائح الطلح أشباه عوادينا — نشجي لواديك أم نأسى لوادينـــا (٣)

وهذه بعض أبيات من قصيدة أبي سلمى في رثاء أمير الشعراء :

تحير الدمع في أرجاء وادينـــا — وعبرة الأيك ناحت في روابينـــا

فالدمع في مقل الأزهار لؤلؤة — والنوح في الدوح تدهاج الاغانينا

يا وادى النيل ان الجرح يجمعنا — ونحن في الشرق أشباه عوادينـــا

ما ردد النيل أنات الشكاة جوى — الا انثنى بردى يروى فيشجينـــا

---

(١) ابو سلمى - الى روح أخي - مجلة الزهراء - القاهرة ج ١ مجلد ٥ ربيـــع الاول ١٣٤٧ هـ ص ٢٣ .

(٢) الدكتور كامل السوافيرى - الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر - الطبعة الاولى ١٩٧٣ مكتبة الاتحاد المصرية ص ١٣٨ .

(٣) احمد شوقي - الشوقيات - الجزء الثاني - مطبعة الاستقامة بالقاهرة ١٩٥٨ ص ١٠٣

تلفت المسجد المحزون ثم نعى شوقي أمير القوافي للمطلينا
وقال محرابه يشكو لمنبره هل شعره الحي في الدنيا معزينا
ياشاعر العرب والاسلام معذرة جل المصاب وما جلت مراثينا
يا بلبل الشرق يشدو في خمائله فيملأ الكون ترجيعا وتلحينا
غالتك كف الردى يا نور طلعته فارتاع سامرنا ، واهتز نادينا
بغداد خلف ستار الدمع نادبة والرزء هدّ فلم يرحم فلسطينا
والشام تبكي أمير الشعر آونة بعد الفراق وتبكي مجدها حينا
ليلى على جبل التوباد باكية تهدي الى قيسها وردا ونسرينا (١)
وكليوباترا غدت ثكلى وواحدها أنسى قياصر وروما والمحبينا

أما ما يقوله الدكتور كامل السوافيرى عن استعمال ابي سلمى لكثير من عبارات ومفردات قصيدة شوقي في الاندلس (٢) ، ففي رأيي أنه آثر استعمالها قصدا وذلك زيادة في التعبير عن عميق الفراغ الذى تركه شوقي في الشعر العربي المعاصر ، ومدى تقدير ابي سلمى لأصالة فنه وللابداع في شعره ، يدلّ على ذلك أنه لم يكتف بايراد عبارات ومفردات من أندلسية شوقي فحسب بل واستعمل بعض معاني وعبارات شوقي في قصائد أخرى ، فهو حينما يقول في البيت الثالث من القصيدة :

يا وادي النيل ان الجرح يجمعنا ونحن في الشرق أشباه عوادينا

فهذا المعنى هو تضمين للمعنى في البيت الحادى والاربعين من قصيدة شوقي في نكبة دمشق والذى يقول فيه :

نصحت ونحن مختلفون دارا ولكن كلنا في الهم شرق (٣)

---

(١) محمد خورشيد العدناني ـ أمير الشعراء شوقي بين العاطفة والتاريخ ـ الطبعة الاولى ـ القدس ١٩٣٢ ص ٢٢٨

(٢) الدكتور كامل السوافيرى ـ الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر ـ الطبعة الاولى ١٩٧٣ مكتبة الانجلو المصرية ص ١٣٨ .

(٣) أحمد شوقي ـ الشوقيات ـ الجزء الثاني ـ مطبعة الاستقامة بالقاهرة ـ الطبعة الاولى ١٩٥٨ ص ٧٥

وكذلك في البيت الأخير والبيت الذي يليه :

ليلى على جبل التوباد باكية ... تهدى الى قيسها وردا ونسرينا

وكليوباترا غدت ثكلى وواحدها ... انس قياصر روما والمحبينا (١)

فيهما اشارة واضحة الى آثار شوقي وفنه فتراه يتعمد في أن يذكر ذلك ليؤكد على رسوخ هذه المعاني والعبارات في نفس الشاعر ، وفي شعوره الداخلي .

ولسنا بسبيل احصاء من رثاهم ابو سلمى من الشعراء والأدباء الأصدقاء فليس هنا مجاله ولكننا نستطيع أن نصل الى روح أبي سلمى الشعرية من خلال هذا النوع من قصائده ولنلتقط الجوهر الذي ما زال يمتح منه ، نشير الى مرثيته لصديقه الشاعر مطلق (٢) عبد الخالق يقول فيها :

يا دمعة الشعر على مطلق ... على الشباب الناضر المشرق

عمر كعمر الزهر يا ليته ... مر على الروض ولم يعبق

حتى بكى الليل في عشه ... بكى مع الريحان والزنبق

أمسك قلبي كلما يفتدى ... أخ وراء الأفق كالمشفق

لا أمل يرجى ولا عودة ... الا الرؤى في الافق الازرق

....

مطلق ما المرء سوى تائه ... يجول في اليم على زورق

المرج من جانبه غاضب ... والريح ان تلعب به يغرق

انت تحررت ولكننا ... في العيد يا مطلق لم نطلق

الوطن الغالي على تربه ... دم يرويه ولم نعتق

والدم والنار سبيلا هدى ... منارتنا عز لمن يرتقي

اما حياة مثلما نشتهي ... أو في ربى الخلد غدا نلتقي (٣)

---

(١) محمد خورشيد العدناني - أمير الشعراء شوقي - بين العاطفة والتاريخ - الطبعة الاولى - القدس ١٩٣٢ ص ٢٢٨ .

(٢) مطلق عبد الخالق - شاعر فلسطيني ولد عام ١٩٠٩ وتوفي عام ١٩٣٧ في ريعان شبابه حيث صرعه القطار وهو في طريقه الى منزل الاستاذ وديع البستاني لشؤون تتعلق بالمعتقلين في مخيم المزرعة بالقرب من عكا .

(٣) مطلق عبدالخالق - ديوان الرحيل - المنشور في حيفا عام ١٩٣٨ والمطبوع بدار الاحد - بيروت - ص ٢٢٣ - ٢٢٤

في المقطع الثاني من القصيدة يتأمل الشاعر في حقيقة الموت ويتناول ببساطة ووضوح ومشاعر طالما رددها مطلق نفسه في معظم شعره كما يقول في قصيدة " طلاسم "

وازداد علما بجهلي وما أراني سوى ذرة هابيه
يسيرها كيف شاء القضاء فتذعن منطرة .. راضيه
كما موجة تتقى صخرة فتكسرها صخرة ثانيه (١)

غير أن ابا سلمى كان أكثر وعيا لهذه الجبرية التي تنطق بها أبيات مطلق ، فاذا كان التيه حكما لا راد له هنا . ولا يستطيع الانسان الا ان يذعن له فانه عند ابي سلمى محكوم بقدرة الانسان ووعيه له ! فاذا كان الموت الفردى ، للخلاص من " عبودية التيه " فانه لا يصح طريقا للجماعة .. من هنا يبدأ الفعل الانساني في التحرر ، فالتيه هو العبودية ، والدم والنار هما السبيل لاختراقه لأن معنى الحياة كامن في هذه السبيل ... وبدون ذلك

لا أمل يرجى ولا عودة الا الرؤى في الأفق الازرق

وحين يحدد أبو سلمى هذا الموقف فانه لا يحدده استنادا الى افكار مجردة أو رغبة في التأمل فحسب ، بل يحدده استنادا الى دواعي الواقع نفسه وما يتطلبه من وعي اجتماعي ومعاناة ذاتية لادراك كنه القوى التي تتحكم في مصيره .

---

(١) مطلق عبدالخالق - ديوان الرحيل - المنشور في حيفا عام ١٩٣٨ والمطبوع بدار الاحد - بيروت - قصيدة طلاسم - ص ٣٢ - ٣٤

أغاني وأناشيد الأطفال (١)

الأطفال يميلون الى التنغيم والايقاع والكلام الموسيقي المقفى منذ نعومة أظفارهم فالطفل منذ أيامه الأولى يستمع الى هدهدات أمه في المهد. فالغناء والتنغيم هما أول صور الفن التي يواجهها بين ذراعي أمه. ولا يكون تأثير ذلك في نفس الطفل نابعا من استيعابه لمعانيه، لأن الطفل لا يكون قد امتلك اللغة بعد، ولا استوعب دلالات الألفاظ. ان انفعاله يقع بتأثير الايقاع واللحن وصوت أمه الذي يثير في نفسه الطمأنينة والسكينة [٢]. وكلنا يذكر أغاني الأطفال التي يتوارثونها من الفلوكلور الشعبي جيلا بعد جيل في العابهم ومرحهم التي كثيرا ما تبدو لنا بلا معنى، ولكن بايقاع موسيقي وتنغيم مقفّى [٣].

هذا الغناء الملحن المنغم المقفى ذو الايقاع الموسيقي الذي يغلب الباب الأطفال في طفولتهم المبكرة، جزء لا ينفصل من ثقافتهم [٤] الشعبية المتوارثة جيلا بعد جيل وهو يشير الى طبيعتهم الغنائية الشاعرة التي تظهر في مرحهم [٥] وألعابهم الحرة الطليقة.

ومن هنا، كانت الحاجة الى شعر يصور رغباتهم ويعبر عن أحلامهم، ويلبي حاجاتهم، وبهذا لا يغدو اهتمام الأطفال بالغناء في طفولتهم الباكرة اهتماما موقوتا قاصرا على هذه المرحلة من مراحل النمو.

---

(١) الفرق الأساسي بين الأغنية والنشيد أن الاولى يتغنى بها، على حين أن الثاني يغلب عليه طابع الانشاد وفي النماذج المختارة لأبي سلمى نرى أنها تجمع بين النوعين، وبهذا فقد اخترت لها هذا العنوان المشترك.

(٢) عبدالرحمن النحلاوي - التربية الخاصة وأصول التدريس - مطبعة الجمهورية دمشق - ط ١ ١٩٦١ ص ١٧٠.

(٣) المرجع السابق ص١٧٠

(٤) محمد عطية الابراشي - الموجز في الطرق التربوية لتدريس اللغة القومية مكتبة النهضة - القاهرة ط ١ ١٩٥٥ ص١٨٣

(٥) المرجع السابق ص ١٨٣

ولعل أول من أدرك أهمية شعر الأطفال هو الشاعر أحمد شوقي الذى أدرك وعرف أدب الأطفال في فرنسا اثناء وجوده هناك فكتب شعرا للاطفال على ألسنة الحيوانات والطيور ونشرها في الجزء الرابع من ديوانه (الشوقيات) ولكنه لم يوفق بها كل التوفيق لأن كلماتها لم تكن في مستوى لغة الأطفال.(١)

واستمرت محاولات كتابة شعر الأطفال بعد شوقي ، ومع هذا لم يأخذ هذا الاتجاه مكانته الحقيقية في العالم العربي اذ أن هذه المحاولات كانت أقرب الى الانشاد منها الى أدب الأطفال.(٢)

ويقول الناقد السورى "عيسى فتوح" انه باستثناء ديوان اغاني الأطفال لأبي سلمى ومسرحية الفصل الجميل " لعادل أبو شنب " فان نماذج المحاولات السابقة كانت تخاطب الصغار بلغة الكبار (٣).

أما ديوان أغاني الأطفال فهو كما يرى الناقد السوري عيسى فتوح قد كان أول لبنة في بناء شعر الأطفال الحقيقي الصحيح في سورية (٤).

وعن الدوافع التي حملت أبا سلمى على الكتابة للأطفال (٥) يقول ابو سلمى في مقدمة ديوانه " أغاني الأطفال " أ" ان المكتبة العربية في حاجة قصوى الى

---

(١) عادل ابو شنب - مجلة الموقف الادبي - سنة ٣ عدد ١١ - آذار - مارس ١٩٧٤ ص ٩٨ .

(٢) عيسى فتوح - مجلة الموقف الادبي - سنة ٨ عدد ٩٥ آذار - مارس ١٩٧٩ ص ٤٩

(٣) المرجع السابق ص ٤٩

(٤) المرجع السابق ص ٤٩

(٥) كان ابو سلمى قد اشترك مع صديقه الشاعر ابراهيم طوقان في كتابه " محفوظات للأطفال " تقدم به ابراهيم طوقان الى لجنة اختيار الكتب في معارف فلسطين - ذلك في بداية عام ١٩٣٥ ولكن رئيس اللجنة وهو الاستاذ أحمد سامح الخالدى وقف في وجه ابراهيم طوقان وقاوم تقرير الكتاب بسبب سوء العلاقات في ذلك الحين بين ابراهيم طوقان والاستاذ الخالدى.
(د . عمر فروخ - شاعران معاصران - ط ١ بيروت ١٩٥٤ ص ٤٧)
ولم اعثر لدى أبي سلمى على نسخة من هذا الكتاب المخطوط ويبدو أنه قد فقد قبل النكبة .

أغاني الأطفال ، وهذا السبب هو الذي حدا بنا الى اصدار هذه المجموعة من الأغاني لهم ، وقد توخينا أن تكون ألفاظها سهلة ، وأوزانها خفيفة مشوقة ، وأن تحمل أفكارا بسيطة ونبيلة ، وأن تحبب أطفالنا بالطبيعة والوصف ، وعمل الخير ..... وقد جاءت هذه الالحان منسجمة ومتسقة تتعاون مع الكلمات والموضوعات على توجيه وتهذيب النفوس الصغيرة التي أهملها أدبنا العربي طويلا [١]... "

ونلاحظ من هذه المقدمة وعي أبي سلمى وادراكه لحاجات الأطفال ومتطلباتهم فهو قد توخى في اختيار نصوصه أن تكون ملائمة لمدارك الأطفال وميولهم ورغباتهم، من حيث ألفاظها وأساليبها ومعانيها وأخيلتها ، ومتصلة بحياتهم وبيئتهم ... وهو قد تابع تجارب غيره من الشعراء . واستفاد منها بحيث عمل على استكمال هذه التجارب .

ومن أغانيه التي يحبب فيها الأطفال بالطبيعة الساحرة

١. اغنية راعي الغنم

هل تنظرون   راعي الغنم
وتسمعون ... حلو النغم
يدعو القطيع   الى المياه
الى الربيع   الى الحياة
....
ان رحت يا راعي الغنم
الى السهول أو الأكم
... ...
سلم على كل الزهور
سلم ولا تنس الطيور [٢]

بهذا الاسلوب اللطيف الرشيق ، يحاول أبو سلمى أن يكحل عيون الأطفال بالسهول الخضراء ، والمياه الجارية وسط السهول فيحدثهم عن راعي الغنم وهو يتنقل مع غنمه بين المراعي الخضراء في مرح ونشاط ومحبة ، وهي معان يفهمها

---

(١) عبدالكريم الكرمي ـ ابو سلمى ـ اغاني الاطفال ـ نشر وتوزيع مكتبة أطلس ط ١ ١٩٦٤ ص ٣

(٢) المرجع السابق ص ٤

الأطفال وتتسع لها نفوسهم البريئة العامرة بالخير والمحبة •

٢• نشيد الببغاء

الببغاء الببغـا	ترطن في كل اللغى
لكنها لا تعلـم	بأنها لا تفهـم

قلا تكن كالببغـا

......

الببغـا مقلـدة	ولا ترى مجـددة
تعجم في بيانهـا	والعقل في لسانهـا
تقول ما قيل لها	فلا تكن كالببغـا

....

منقارها محـنّب	وريشها محبـب
أحبسها في غرفـتي	وذاك من محبـتي
تؤنسني في وحشـتي	الببغا ء الببغـا

....

لسانها ما أطولـه	وشكلها ما أجملـه !
قمرة تحبـني	وتارة تسـبـني
تقول ما قيل لها	فلا تكن كالببغـا (١)

والشاعر يغرس في نفوس الصغار روح الابداع وينفرهم من التقليد ضاربـا المثل بالببغاء المشهورة بتقليدها الأعمى • ويعلم أبو سلمى بولع الأطفـال بالطيور فتراه يرسم لهم هذه اللوحة للببغاء فيصفها لهم وصفاً جميلا محببـا • والعبارات سهلة واضحة والأغنية مما يستسيغ الطلاب انشاده فهي من وزن شعري قصير • وقد اشتملت على التكرار لابراز الهدف من هذه الأغنية •

٣• يا قطتي

هيا اكتبي •••• درسك يا ليلى

ثم العبي وقطتي ليـلا

وها نرى أن تغضـبي

مياو •• مياو •• مياو

....

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمي - اغاني الأطفال - نشر وتوزيع مكتبـة أطلس - دمشق - ط ١ ١٩٦٤ ص ٩ - ١٠

يا قطتي لا تأكلي عصفورتي
يا قطتي عصفورتي حبوبتي
تنشد لي في ملعبي
....

يا قطتي انتظري غرسي
أنا التي أسير للدرس
الا ترين كتبي
....

يا قطتي عندك أمي وأبي
ولعبتي لا تمتبي لا تعتبي
أحسن منك مكتبي (١)
....

وهو في هذه الأغنية يرشد الأطفال الى القيام بواجباتهم ويحثهم على الدرس والجد والاجتهاد موجها خطابه الى ليلى بأسلوب عذب وعبارات محببة •

ثم يتحدث بلسان ليلى الى القطة طالبا منها ألا تأكل عصفورتها حبيبتها وان تنتظر لترى المستقبل الباهر الذى توقعه لها ما دامت تسير في دروسها سيرا حسنا ، وترجو القطة الا تشعر بالضجر والملل • اذا لم تستطع أن تنصرف اليها وتلاعبها ، ففي البيت أمها وأبوها وهي تؤثر كتبها على كل شيء •

والأغنية سهلة العبارة ، واضحة المعنى ، تتمثل فيها الحركة • تتصل بنشاط الأطفال واهتماماتهم داخل المدرسة وخارجها •

٥٤• العندليب ينادى

العندليب ينادى هذا ربيع بلادي
يا مرحبا بالربيع
.....

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - أغاني الاطفال - نشر وتوزيع مكتبة أطلس - دمشق ١٩٦٤ ص ١٢ - ١٤

الزهر من كل لـون والطير في كل غصـن
هذا يتيه بحسـن وذاك يزهو بلحـن

....

والعندليب ينادى هذا ربيع بـلادى
يا مرحبا بالربيع

في الافق أحلى الاغاني في الروض وشي الحنان
وفي الفؤاد الأماني هذا شباب الزمـان

......

والعندليب ينادى هذا ربيـع بـلادى

يا مرحبا بالربيع
القطر في كل وادى والنور فوق البـلاد
ملء الربى والوهاد ومنـه نـور فـؤادى

....

والعندليب ينادى هذا ربيع بـلادى
يا مرحبا بالربيـع (١)

ويقبل الربيع بأزهاره الجميلة ، البديعة الألوان . ويعتلي البلبل أغصان الشجر فيغرد أعذب الاغاني ويعزف أحلى الألحان وتزدهي البساتين فتبدو بأروع زينتها وزكي عطرها ... ويستمر البلبل في صداحه وتغريده ويشارك في فرحة الربيع وأعياده الجميلة . بهذا الاسلوب الجميل يحاول أبو سلمى أن يفتح عيون أطفاله على جمال الطبيعة في بلادهم ليتفتحوا على كل جميل ورائع .

ولكي يحب الأطفال لغتهم ، ولكي يحبوا وطنهم ، ويحبوا الزهر والربيع والحياة فهو يعلمهم الأناشيد الجميلة الحلوة .

٥. نشيد يلبلبلـي

يا بلبلي ! يا بلبلـي مالك لم تغـنّ لـي ؟!

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - أغاني الاطفال - نشر وتوزيع مكتبة أطلس - دمشق ط ١ ١٩٦٤ ص ١٦ - ١٨

تنام ما بين الزهر غطاك من نور القمر
ومن حواليك النسيم يرعى محياك الوسيم
يا بلبلي يا بلبلي! تعال عندي وانزل
مالك لم تغن لي ؟ !

مرآتك النهر الضحوك ما مثلها عند الملوك
عطرك أنفاس الزهور تاهت على كل العطور
يا بلبلي ! يا بلبلي تعال عندي وانزل
مالك لم تغن لي ؟ !

انت تغني للربى وللربيع والصبا
وصوتك الحلو الجميل يسير من جيل لجيل
يا بلبلي يا بلبلي! تعال عندي وانزل
وغن لي ، وغن لي (١)

وهو في هذه الأبيات ينمي عواطف الاطفال السامية ويطلعهم على مفاتن الطبيعة ويبصرهم بمحاسنها ويجعلهم يشدون مع البلبل متنقلين معه من غصن الى غصن ومن خميلة الى أخرى ، يغنون مع البلبل للربيع وللصبا ويمتعون عيونهم بالزهور الجميلة الألوان ويستمتعون برائحة الزهور وشذاها العطر ويغنون ويغنون في مرح وطرب وسرور .

والشاعر هنا يختار اللقطة الموسيقية الموحية التي تحمل ظلالا وألوانا بعيدة . وهو يختار الصور النضرية الجميلة كي تبقى مع الطفل تشع وتضيء باستمرار . تأمل في الأبيات : الثاني والثالث ، والخامس والسادس من القصيدة .

لقد أحب أبو سلمى بلاده وهام بها فأعطاها حنايا قلبه وطوايا وجدانه واستجلى جمالها ، ووقف على روابيها وعلى ضفاف أنهارها ، فلا عجب أن يغني

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - اغاني الاطفال - نشر وتوزيع مكتبة اطلس - دمشق ط ١ ١٩٦٤ ص ٣٢

لأطفاله هذه الالحان التي تشيد بطبيعة بلاده ويتغنى بهذه المفاتن :

هذا نسيم الربى	ينقل شدو الطيور
ياما أحيلى الغنا	وفي ليالي الهنا
أما ترى الكوكبا	يقول يا مرحبا

هذا نسيم الربى

هذا نسيم الربى	مر بأرض الوطن
فكيف اشكو الضنى	ولا يزول الضنا
وجاد لي بالنبا	ينشره طيبا

هذا نسيم الربى

فيا نسيم الربى	لا تخش غدر الزمن
تعال عرج بنا	واعتنق الموطنا
انت رفيق الصبا	فقل له مرحبا

أنا نسيم الربى (١)

أدرك أبو سلمى أنه بالموسيقى ، والحركة والغناء يتفتح الأطفال على كل ما هو جميل ورائع ، والكلمة الحلوة التي نضعها على شفتي طفل هي أثمن هدية نقدمها له فتراه هنا يقدم لأطفاله صورا من طبيعة بلاده الحلوة ليتحلق الطفل بالفن ويرتبط الفن بالحرية وحب الوطن وهذه الصور الجميلة التي يقدمها ابو سلمى تفتح عيني الطفل على جمال بلاده •

وفي أنشودة " النهر " يشدو أبو سلمى بهذه الألحان ويرسم بريشته هذه اللوحة الجميلة لمعلم من معالم بلاده •

النهر

يا أيها النهر الجميل	كيف تسير بلا سمير
انت الذى تشفي الغليل	ولا تدري
ألا تجر مركبي ؟	خذني معك ، فأتبعك
الى المكان الطيب	الى البحر (٢)

(١) عبدالكريم الكرمي ـ ابو سلمى ـ اغاني الاطفال ـ نشر وتوزيع مكتبة اطلس ـ دمشق ط ١ ١٩٦٤ ص ٢٦

(٢) المرجع السابق ص ٢٨

تطلّ من أعلى الجبـــل　　مع القمر ، على البشـــر
وتوحيان بالأمـــــل　　وبالسمـــر
تنساب ما بين الحقـول　　تحيي الزرعا ، تسقي المرعى
ثم تمر كالعجــول　　الى البحـــر

....

يا أيها النهر الكبير　　حول الأشجار تشدو الأطيار
لمائك العذب النمير　　وللزهـــر
تأوى الى الظل الظليل　　عند الهجير ثم تطير
مسرعة عند الأصيـــل　　الى البحـــر

....

في ضفتيك ذكريـــــات　　عن الأجداد ، عن الأمجـاد
عن العصـور الخاليات　　عن النصـــر
يا نهر لا تخش المحـــن　　لك الأمان ! من الزمان
ما دمت في أرض الوطـن　　دوما تجـرى (١)

....

ويروى أبو سلمى للأطفال تاريخ النهر ، لا شك أنه نهر الأردن هذا النهر الجميل ذو التاريخ الحافل بالأمجـــاد ٠

في ضفتيك ذكريـــات　　عن الأجـداد ، عن الامجاد

لهذا النهر في نفس الشاعر ذكريات جميلة وهو يصفه للاطفال من خـــلال الصور التي تنساب اليه من هذه الذكريات وكأنه في حديثه عن النهر يوحــــي للاطفال بأن هذا النهر الموجود بضفتيه هو رمز للوحدة العربية ٠٠٠ ولكنــــه هنا يستعمل أسلوب الايحاء لا التقرير فيثير في الطفل عامل الأهتمام ٠ والشاعـر يقدم هذه الأنشودة لجيل الغد ليضع في صدورهم ومضة الأمل واشراقة الحياة ٠

وفي انشودة الولد الأعمى يقدم لنا أبو سلمى وصف صبي أعمى للطبيعــــة من منظار خياله :

يقولون : بأن الشمس　　زانت قبة الفلـــك
تضيء بنورها الكـون　　وتمحو آية الحلـــك
يقولون ! ٠٠٠

(١) عبد الكريم الكرمي ـ ابوسلمى ـ اغاني الاطفال ـ نشر وتوزيع مكتبة أطلس ـ دمشق ط ١ ١٩٦٤ ص ٢٨

يقولون عبير الزهر | أطيب منه ألوانه
تروق العين والقلب | نتنأى عنه أحزانه
يقولون بأن البحر | مرآة السماوات
وأنّ النجم كاللؤلؤ | يبدو في العشيات
وأن الغاب يستيقظ | والوادى مع الفجر
على أغرودة الطير | على النور ، على المطر

يقولون ! ...

دعوا الكون وما يحيى به | من زهر ومن نجم
فما في الكون من نغم | تساوى رؤيتي أمي (١)

لنتأمل كيف كانت هذه الصورة التي يعطيها أبو سلمى عن الصبي الاعمى اكثر جذبا لقلوب الأطفال من الحكم المجردة ، فهو يجسد في أنفسهم المعاني الانسانية والعواطف السامية ويهيء في نفوسهم الصغيرة الى التعاطف مع اخوتهم من بني الانسان الذين فقدوا نعمة البصر •

وفي أنشودة لا أحد يحكي لنا أبو سلمى هذه الحكاية :

لا أحد

شخص يسمى لا أحد | كان يطوف في البلد
ويختفي وراءه | كل فتاة وولد
من كسر الزجاجا | وأطفأ السراجا
هل أنت يا زياد | أم أنت يا سعاد

كل يقول ... لا أحد

وان أتى يوم الأحد | فأنت ضيعت الرشد
اذ تختفي فاكهة | ما مثلها عند أحد
من أخذ المفتاحا | وأكل التفاحا
من خطف العنقودا | وأنكر العهودا

كل يقول ... لا أحد

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - أغاني الاطفال - نشر وتوزيع مكتبة أطلس دمشق ط ١ ١٩٦٤ ص ٣٦

يا من يسمى لا أحـد ... ارحل وغب عن البلـد
حتى يرى كل امرئ ... ما ضاع منه وافتقـد
لا أحد ... مسكين ... وما له معين
يظلمه الانسان ... وما له لسان
ولا أحد ... ولا أحد (١)

في هذه القصيدة يتوجه أبو سلمى الى الأطفال بنفس الحماسة التي يتوجه بها الى الكبار مخاطبا اياهم بحب ومصورا الوطن وطبيعته الفنية ، حاملا اليهم أفكارا بسيطة ونبيلة تجعل الطفل في قلب وطنه وطبيعته .

لقد كان أبو سلمى سباقا في الالتفات الى القيم التربوية الصحيحة من خلال هذه العواطف النبيلة التي يحملها الى الأطفال ليربي فيهم روح المسؤولية ويوجههم الى انكار الذات .

....

تأمل في هذه اللوحة الجميلة التي يرسمها ويلونها للوحدة العربية ذلك الحلم الجميل الذى يداعب خيال الشاعر فيترجمه الى عواطف حلوة تحمل عذوبتها وجمالها الى كل طفل من أطفال بلاده .

الوحدة العربية

سورية :

أنا الفجر منير الكون ... قلب العرب سورية
وتاريخي . بطولات ... وأمجاد وحرية

العراق :

أنا العراق الأبي ... الفارس العربي
تاريخ بغداد يروى ... أني المحب الوفي

الأردن :

أنا الشباب الصاعد ... الأردن المجاهد
أنا الذى يقول : ... ان العرب شعب واحد

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - اغاني الاطفال - نشر وتوزيع مكتبة أطلس دمشق ط ١ ١٩٦٤ ص ٣٨

لبنان :

النسيم العذب والماء الذي يشفي الغليل
كل ما يفتن عندي أنا لبنان الجميل

مصر :

أنا والنيل كلانا رمز عز وحمية
سائل الأجيال عنا أنا مصر العربية

السودان :

أنا السودان يا صحب وعندي المنبع العذب
ترابي كله ذهب وأهلي كلهم عرب (١)

الحجاز :

أنا الحجاز لي وطن ما أرخص الروح ثمن
قد علم الناس الهدى وكيف تحطيم الوثن

اليمن :

أنصت الي أنا سمراء اليمن حرة عشت على طول الزمن
أنا أسقي قهوتي كل فتى عربي هام في حب الوطن

ليبيا :

أنا التي تاهت بها على المدى افريقيا
فهل عرفتم من أنا ؟! أنا فتاة ليبيا

تونس :

تونس الخضراء داري دار عز وفخار
في ظلال المجد نحيا من صغار وكبار

الجزائر :

اني هوى كل ثائر أنا ربوع الجزائر
وللعروبة يحيا أحرارها والحرائر

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - اغاني الاطفال - نشر وتوزيع مكتبة أطلس دمشق ط ١ ١٩٦٤ ص٦٠ - ٦١

مراكش :

أنا بلاد الحميمة	مراكش العربية
ولم تزل في سمائي	أعلام جيش أمية

فلسطين :

أين يا قومي بلادي	انها عند الأعادي
ليس للعرب حياة	وفلسطين تنادي

....

الوحدة العربية

دعوا كل الذي قلتم	وجدوا اليوم في طلبي
فاني الوحدة الكبرى	سأحميكم من النوب
وعندي راية خفقت	سأرفعها على الحقب
فقولوا : رايتي عاشت	وعاشت وحدة العرب (١)

فهو في هذا الحوار الدرامي يؤمن بأن وحدة الأمة العربية قدرها فتراه ينقل هذا الحلم الضخم الذي عاش من أجله ومن أجله عاش الآباء والأجداد وقاتل الشهداء وسقطوا في الطريق الوعر الطويل انه حلم الوحدة العربية الكبرى من الخليج الى المحيط . والشاعر يؤمن بأن الأجيال القادمة هي وحدها القادرة على تحقيق هذا الحلم انه يتوجه الى الأطفال ليحملوا هذه المهمة التي عجز عن حملها آباؤهم .

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - اغاني الاطفال - نشر وتوزيع مكتبة أطلس دمشق ط ١ ١٩٦٤ ص ٦٢ - ٦٠

حبّه للأطفال

وأبو سلمى يجيد تصوير براءة الطفولة وأحاسيسها الساذجة . وما أجمل هذه اللوحة التي يصف فيها ولده سعيدا ويعبر عن سعادته بولادته .

يقول عنها الناقد الفلسطيني عارف العزوني [١]: " .... لقد وصل ابو سلمى في أبياته التي وصف فيها ولده الذروة في التضحية والمفاداة ، ورحمة العاطفة المشبوبة وانتزع أنبل ما في العالم الأكبر من أماني الحياة وأضفاه على عالمه الأصغر .... "

انت الهوى يا ولدى … يا نفحة الزهر الندى
لا تخش من خفوقه … هذا الغرام الأبدى
نزعت عن دربك أشواك الزمان الأنكد
حتى تروح فوق أزهار الربى وتغتدى
يا ليتني أطوى الدجى طي الغمار الأسود
واقبس النور من الصباح حتى تهتدى
يا ليتني ادفن آلام الحياة بيدى
حتى تعيش لا ترى غير النعيم السرمدى
بني أنت من دمي وقطعة من كبدى
أعدت قلبي ناضرا بالعمر المجدد [٢]

....

وقد صادف وجود أبي سلمى في طشقند بالاتحاد السوفياتي في شهر تشرين أول ١٩٧٢ أن تلقى برقية تزف اليه خبرا سعيدا هو ولادة حفيده عبدالكريم فتفتحت شاعريته عن قصيدة أهداها الى حفيده الصغير وهي تفيض عاطفة ورقة

---

(١) عارف الغروني - شعراء ثائرون - مجلة الطريق اللبنانية - أيلول ١٩٧٤ العدد التاسع السنة السادسة ص١٣

(٢) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان ابي سلمى - دار العودة - بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص٣٠

وتصور أدق الأحاسيس وأصدق وأنبل المشاعر الانسانية وهذه بعض أبياتها :

رسالتي لو يستطيع النسيم ... تسليمها الى حبيبي كريم
حملتها ما لم يقل شاعر ... أو عاشق من الزمان القديم
أحرفها من نور عيني وفي ... نقاطها خفق فؤادي الكليم
والشوق في أسطرها عاصف ... شوقي الذي يملأ هذا السديم
دمعي وراء الحرف أخفيته ... كي لا ترى فيه عذابي الأليم
وقلت فيها بعد شرح الهوى ... الجرح من بعدك لي في الصميم
جداك خلفتهما في ضنى ... يا حسرتا - وهما هم مقيم
ما لهما بعد النوى من أخ ... أو من طبيب أو صديق حميم (٢)

---

(١) في هذا اشارة الى مدى ما يعانيه الشاعر ويكابده في نفسه من بعاد ولده الوحيد عن والديه ·

(٢) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان أبي سلمى - دار العودة - بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص ٣٦٧

شعر الحب والغزل

ان شعر الحب والغزل عند أبي سلمى يؤلف جزءا كبيرا من انتاجه، ولا عجب في ذلك فهو انسان تفتحت موهبته الشعرية على قصائده الوجدانية وهو دون الخامس عشرة من العمر، ومن ناحية أخرى فهو من النموذج الغضبي(١) والعاطفة لهذا النموذج قوية حارة فهم يندفعون الى الحب بحماسة وقوة، كما أن الحب لديهم يحتفظ دائما بطابع الحيوية التي منها تنبع • وسنلاحظ أن شعر الحب والغزل عنده يتميز بالعاطفة والحنان بل لعله يشبه شعر العذريين الى حد غير قليل، فهو لا يتعالى على الحب ولا يسمو على الهوى، بل يخضع لهما وللمحبوبة، فتراه يخاطب فتاته في مطلع أول قصيدة حب نبض بها قلبه بقوله :

سلمى انظري انحوى فقلبي يخفق   لما يشير الى طرفك اطرق (٢)

وهو لا يتصنع الغزل، ولا يتكلف الحب، بل يؤمن ايمانا كليا بالحب والهوى ولديه احساس عميق بالجمال، وحب خاشع له، ولكن حبه للجمال يكون ركنا رئيسا في حياته ومزاجه، فقد خلق أبو سلمى مفتونا بالجمال في أي شكل من أشكاله وهو ما زال حتى بعد أن تخطى الستين يأبى الا ان يكون رقيقا عذبا في حديثه عنه •

تسائل كيف عرفت النسيب   وممن تعلمت شعر الغزل
تعلمته من شذا وجنتيك   اذا ما تفتح زهر الأمل (٣)

والمرأة التي هي مصدر الحياة، ومنهل الالهام والسعادة، والوجدان الذى تداعبه المرأة ويهزه الجمال الروحي لا يمكن الا أن ينتج شعرا مؤثرا، سماته الرقة والعذوبة ولا بدع أن يقول عنه صديقه ابراهيم المازني " وحياة أبي سلمى كلها في دنيا الهوى وقل أن يطل منها ليرى ما في غيرها، وحسبه من دنياه أن تهتف باسمه شفتان مرتجفتان تردد ان شعره أو تتغنيان به "(٤)

---

(١) سامي الدروبي - علم الطباع - دار المعارف - القاهره - ط ١ ١٩٦٠ ص ١٣٦

(٢) نقل هذا البيت عن ناظمه - عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى

(٣) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - اغنيات بلادى - دمشق - ط ١ ١٩٥٩ ص ٦٥-٦٦

(٤) ابراهيم عبدالقادر المازني - ابو سلمى - جريدة فلسطين - عدد ٢٢٧ - ٢٤ تشرين الثاني ١٩٣٥

ولعلّ في هذين البيتين خير دليل على صحة تحليل المازني لمفهوم الحب عند أبي سلمى :

لولا هوانا لم يبح بالشذا ولا غفا طيب على مفرق

لولا هوانا لم تحف الربى والمرج لم يزهر ولم يعبق (١)

ففيهما نظرة اجلال وتقدير ، نظرة انسان يعرف ما للحب والهوى من تأثير وسحر على قلبه ونفسه لا يعادله اى سحر أو تأثير آخر .

أما مسار الغزل في شعر أبي سلمى فيأخذ اتجاهين اثنين :

١) غزل وجداني ذو ملامح عذرية من حيث طريقة مخاطبة المحبوب وخلع الصفات عليه ، فالشعراء العذريون ما يكادون يذكرون المحبوبة حتى يتنقلوا الى وصف وجدهم ويشكواهم من الوعود الكثيرة التي لا تفي وهم برغم المطال الذى يصيبهم يظلون على عفتهم وصدق لوعتهم .

فقد قام هذا الغزل عندهم على صدق العاطفة وتحمل الالام والوفاء الذى يرافق العمر ، بل تعداه الى ما بعده . وتبدو هذه الملامح واضحة بشكل تقريبي في شعر الغزل والحب الذى قاله في عنفوان شبابه .

٢) غزل يمزج بين حبه لفتاته وحبه لوطنه .

وفي تصورى أن ما يظهر عنده من غزل حسي قليل نسبيا لا يتجاوز الحدود ولا يتعدى الأخلاق ، على أن هذه النظرة الحسية القليلة قد واكبتها نظرة الى المرأة الملهمة لأرق الشعر وأعذب قصائد الغزل والنسيب .

تأمل في قوله :

من شفتيك الشعر روّيته لولاهما والحب لم أنشد

فكيف لا نطوى دروب الهوى جنبا لجنب ويدا في يد

تضيء في قلبي المنى انجما أهدى المحبين ولا أهتدى

ماذا يقول الناس عني غدا أحب عينيك ولم يسعدا (٢)

وأبو سلمى وفي لحبه ، يسكب قطرات أنفاسه على ذكراه لتظل ندية العود ، باسقة الجنى ، وشحره هو حسه وشعوره ، وهو ملء أنفاسه ودمه ، وهيهات

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - اغنيات بلادى - دمشق - ط ١ ١٩٥٩ ص ٢٥ - ٢٨

(٢) المرجع السابق ص ٢٨ - ٣٩

للمحب المتيم أن ينسى هوى الحبيب ! ..

ثريا .. هل بقايا الشوق ... في عينيك أم أكثر
سنى قلبك في عينيك ... هل هذا الذى يظهر
على شفتيك أشعارى ... فما أحلى وما أنضر
على الغمازة الحلوة ... أسرار الهوى تنشر
حشدت الحب في شعرى ... وعينيك لم تزل أشعر
سينسى القلب كل هوى ... ولا ينسى هوى الأسمر (١)

وفي هذا النص اشارة الى حب الشاعر العاصف وغيرته الشديدة ونلمح جو التقديس للحبيبة الى درجة العبادة فهو يقدر جمال المرأة جسما وروحا .

يغار من ردائها ... قلبي ومن وشاحها
من النجوم ترتمي ... ليلا على جناحها
يغار من كتابها ... يزهو على صباحها
على سنى العينين تطويه ، وفوق راحها
من الصباح يسرق ... الضياء من صباحها
يحمل من أنفاسها ... طيبا على اقداحها
يغار من أزرارها ... يكبح من جماحها
يغار من كلامها ... معطرا براحها
من عقدها ينعم بالعناق في أمراحها
من الطريق عندما ... تختال في رواحها
يا قلب قل لي كيف تنجو ، اليوم من سلاحها
وهي انا ما أذنبت ... تطمع في سماحها (٢)

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - اغنيات بلادي - قصيدة هوى الاسمر - دمشق - ط ١ ١٩٥٩ ص ٤٧ - ٤٩

(٢) المرجع السابق ص٥٠ - ٥٣

ومن قصائده التي عبر فيها عن ليالي العذاب والتبريح ، قصيدة ليلة على الشاطئ وفي تيار هذا الحب الشقي المعذب ومن متابعتنا لأحداث هذه الليلة يبرز أمامنا ايمانه بالحب الذي هو عنده روح ذلك الوجود .

قلبي عليك وان أطلت عذابي ... وهواي أنت وان أطرت صوابي
وغناء أحلامي ولحن هواجسي ... وقف وان لم تسعفي بجواب
ومع الهوى فوق الرمال بكيته ... ونثرت بين يديك زهر شبابي
أتكون ما بيني وبينك خطوة ... عجلى ولا أقوى وأشرح ما بي

....

يا ليلة ضل الرقيب بها وقد ... خفقت ذوائبها على الاحباب
يسرى النسيم مضمخا أردانه ... بالحب مرتميا على الاعتاب
متعطرا بالطل عند رحابها ... متعثرا بالدمع عند رحاب
وترى النجوم مطلة وعيونها ... خوف الفراق ندية الأهداب
والبدر محزون يحقق حزنها ... فيميل [illegible] وراء سحاب
وقفت على صدر الرمال كأنها ... خلق الصباح مزمل بثياب
يا رمل كنت من التراب وحينما ... وقفت عليك غدوت غير تراب
ورأت عباب البحر يشكو حبها ... فرمته من آمالها بحباب
يا بحر لا ترسل أنينك انها ... فعلت بنا ما لم يكن بحساب
هون عليك فلست أول عاشق ... بث الهوى وشكا الى الأصحاب (١)

وفي الأبيات التالية يصور الشاعر تجربة حبه تصويرا يشخص الطبيعة ويأخذ حديثه شكل حوار بين الحبيب والحبيبة .

تسألني ... لم استحى الزنبق ... كأنها لم تدر من يعشق
مرت فلا الورد خلي ولا ... بلبله أو غصنه المورق
والنهر الضاحك ... يا ليتنا ... يحملنا على المدى الزورق (٢)

---

(١) قصيدة ليلة على الشاطئ نقلت عن اوراق ناظمها

(٢) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - المشرد - دمشق - الطبعة الثانية ١٩٦٢ ص ٥١

ومن قصائده التي عبر فيها عن ايمانه بما للحب من دور في اضاءة الحرف واشاعة الطموح يقول :

لا تسألي كيف تضيء أحرفي ... صورتك التي تضيء احرفي
تقيم في قلبي ويجلوها الهوى ... تظهر في عيني وحينا تختفي
وأنت ! ... أنى سرت في الدنيا معي ... في الدرب والروضة والمنعطف
عند الصباح ضاحكا ، أنت معي ... وفي الدجى بين خفايا السدف
سنلتقي أنا وأنت والهوى ... مع الأريج عند كل موقف

....

انا حلا شعرى فمنك سحره ... وطيبه منك ألما تعرفي
ذاك لماك وانتشى وقال يا ... بؤس الذى وعدته ولم تف
يا شاعرى ان لم تذق خمر الهوى ... فمل الى تلك العيون وارشف (١)

وكما ارتبط الحب عنده بالعذاب والضنى ارتبط بالجنون فهو يستطيب جنون الصبا بما يحمله من ذكريات الحب العذبة وأيامه الحلوة ولياليه الجميلة. تأمل قولـه :

هل تذكرين السفح والمنحنى ... وموكب النور وعرس المنى
يوم زففنا الحب ما بيننا
وكانت الدنيا تغني لنا ... جن جنون القلب لما صبا
لله ما أحلى جنون الصبا
كنت تنيرين ليالي الضنى ... وجسمك الريان غالي الجنى
يملأ قلبي وعيني سنى
ويعثر الحب هنا أو هنا ... يتبع الكوكب فالكوكبا
لله ما أحلى جنون الصبا
وحق عينيك ومالي غنى ... عما اللقا ان وعتا الأزمنا
أنت التي زينت هذى الدنى

---

(١) عبدالكريم الكرمي - أبو سلمى - قصيدة صورتها - مجلة المعرفة الدمشقية - كانون اول ١٩٦٥ ص٥٩

تعلمين الطير حلو الغـــنى   وتنشرين الزهر فوق الربـــا
لله ما أحلى جنـــون الصبا (١)

وترى أبا سلمى يهيم بالمعاني الوجدانية في الحب تراه يستطيب الصد والهجران على قناعة ورضى كما في قصيدة " هاتف الشوق " :

ليتني كنت جارها فأرى الصبـــح   على دارها الحبيبة أشـــرق
كل يوم تقول لي : يا صباح الخير ..   أشهى من النبيـذ المعتـــق
وتضيء المدى أشعة عينيهـــــا   ولم يبق في المدى السر مغلق
فالقلوب انحنت على النور نشوى   كل قلب على شعاع معلـــق
أهوى الهوى فمن رام أن يخلـد   في الحب والحياة تعمـــق
....

أنا يا جارتي وقلبي رفيقـــان   فكوني بصاحبي أنت ، أرفـــق
لن يضل الطريق والشوق يهديـــه   وفيه النجوم تطفو وتغـــرق
أنت أغلى من في الوجود على قلبي   وأغلى القلوب قلب تمعـــق
هل جزاء الذي يحبك أن يحيـــا   على جرحه وبالنار يحـــرق
فوحق العينين اني كما شئـــت   ولولاهما لم أعلـــــق
ليتنا والهوى نطوف البحار السبع   عبر الزمان والموج زورق (٢)

ولا بد للعاشق الذي رماه الزمان بالعقوق والجور وهجرة الحبيب ، مـــن أن يشكو الضنى والعذاب :

ألا تقول العين لي مرحبـــا   حق لهذا القلب أن يعتبـــا
جرت مع الدهر لا ذنب لـــي   الا هوى قلبي فهل أذنبـــا
أطوف حول الدار علّي أرى   طيف سنى أو المح الكوكبـا
فلا أرى الا خيال الهـــوى   ينشره مضي هوى ملهبـــا
يا من أناجي قلبها ـ هل لهـا   أن تذكر الأحلام والملعبـا

(١) صحيفة الدفاع اليافاوية ٣ آب ١٩٤٢ العدد ٢٢٠٥

(٢) عبدالكريم الكرمي ـ ابو سلمى ـ المشرد ـ الطبعة الثانية ١٩٦٣ ـ دمشق ص ١٣٠ ـ ١٣٣

وأن تزور الدار بعد النـــوى ... تسبق ركب الشوق والموكبـــا
فيلتقي القلبان في ظلهـــا ... ما أعذب الحب .. إذا عذبـــا
ولا نبالي بعد ذاك اللقـــا ... أشرّق العالم أم غرّبـــا

ماذا جنى قلبي وقلبي الــذي ... حدث بالخفق نسيم الربـــا
في كل زهر من هواك الشـــذا ... وكل نجم عنك يروي نبـــا
كيف ارتوت من شفتيك المـــنى ... والسحر في عينيك كيف اختبـا
الصبح هل يمثر الا علـــى ... دربك ان طاف مصـــي معجبـــا
وهل يطيب الليل الاّ اذا ... جلوت في شعري الهوى والصبـا
بحق عينيك كفاني ضـــنى ... رأيت من حبك ما شيبـــا
حبك يسري لهبا في دمـــي ... ولا تقول العين لي مرحبـــا ! (١)

ان الحب عنده روح ذلك الوجود وهو السر الأعظم للشعر والغناء :

على شعاع الصباح أســرى ... مجنحا بالهـوى وشـــعري
حينما أرى موكب الأمانـــي ... يحمل أنفاس كل فجـــر
تقول هذا الدجى ثقيـــل ... ما باله عالقا بشــــعري
هام فغار النسيم منـــه ... وراح يهدي الورود عطـــري
وكلما سرت في طريـــق ... تعلق النجم فوق صـــدري
أنا التي افتن الليالـــي ... أنثر فوق الدروب ســـحري
يا سنة حومت عليهـــا ... خواطر الورد .. اين عمـــري ؟
ترويـن شعر الهوى وتسروى ... عيناك للقلب ، لســـت أدري
لا تسأليني لمن أغـــني ... ففي الأغانـي دمعي وســـري (٢)

وتهز أعماق الشاعر نظرات حسناء فيصف كيف سيطر عبقها على مشاعره ، واستولى على جوانحه بحيث لم تخطر له خاطرة الا كانت في هواها ، والتي لولاها لما عرف نعيم الدنيا وأحلامها ولما كان لأشعاره وغنائه أي معنى .

عينـاك أم عالم أســرار ... وأنت أم جنـــة أزهـــار
الياسمين الغض يهدي الشذا ... يا جارتي ! هذا هو الجـــار

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - اغنيات بلادي - دمشق - ط ١ ١٩٥٩ ص ١٦-١٩

(٢) المرجع السابق - ص ٦ - ٧

يا من تناجي بأغاني الهوى ... طهرني حبك بالنـــار
أغار من هذا النسيم الـــذى ... عاد بأطياب وآثـــار
قبل شعرا عطرته ، المـــنى ... وراح لا يدرى بأغبـــارى
والليل جنّ الليل لما رأى ... أجمل ما أبدعه البـــارى
والقمر السارى يقبل السنى ... فمنك نور القمر الســارى
لولاك .. ما الدنيا وأحلامهـــا ... لولاك .. ما دمعي وأشعـــارى (١)

وفي العشرين من عمره تهز أعطافه نظرات حسناء بيتلحمية تدعـــى «لبيبة» التقى بها في احتفالات عيد الصعود ووقع في هواها ووصف ابو سلمى حسنها فيقـــول :

عيد الصعود ألا حييت يا عيـــد ... لقد حلا فيك تعذيب وتسهيد
ما هزني العيد والأعياد مقبلـــة ... لولا «لبيبة» يا عزال ما العيد ؟!
سارت الى جبل الزيتون نافـــرة ... فسرت تقتادني العينان والجيد !
تميس بين العذارى الفاتنات كما ... يروم غانية الآمال مفـــؤود !
لما تراءت على الطور ارتمى صعقا ... من شام طلعتها والقلب معمـــود !
قالت جموعهم : هذا الملاك هـــوى ... من السماء فتقديس وتمجيـــد !
واسترسلت نسمات السفح عابثـــة ... بشعرها شفها في الشعر تجعيـــد !
هذى النسيمات بالأنات مفعمـــة ... من خافقي .. طال بالأنات ترديـــد
هل عطفت عليه كي يفيض سنـــى ؟ ... أم هل فؤادك يا حسناء جلمـــود ؟ !
لولا عيالك فيها يا «لبيبة» لا ... يكوى بعينيك حتى يبصر المســود
وحين غنيت في روض الغـــرام ... شدت حمائم الأيك .. أحيتها الأغاريد !
يا منيتي .. طرقك الوسنان برح بي ... وشرّد اللب في الخدين تورد !(٢)

ويتضح في هذه القصيدة أثر ثقافته العربية في محاكاته لدالية المتنبي ، كما أنه استعمل نفس الوزن والقافية حيث جاءت كلا القصيدتين على البحر البسيط ، بل فقد استعار ابو سلمى القاموس اللغوى للمتنبي مثل استعماله لكلمات :

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - اغنيات بلادى - دمشق ط ١ ١٩٥٩ ص ٤٥- ٤٦

(٢) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - صحيفة الشعب البيتلحمية - العـدد ٥٤٢ بتاريخ ٢٤ تموز ١٩٢٩ .

فلعل أبا سلمى لم يشأ أن يبوح باسمها الحقيقي فاستعار لها اسما آخر شأنه شأن غيره من الشعراء الذين يؤثرون في بعض الأحيان اخفاء الأسماء الحقيقية لمحبوباتهم واستعارة أسماء أخرى بديلة خشية التشهير بالمحبوبة .

وقد تغنى أبو سلمى بذات الخال في كثير من قصائده ومن قوله فيها :

أيها الشاطئ ما هذا الأنين | وأناشيد الأسى فوق الرمال
وعلى اليمنى ينام الياسمين | وعلى صدرك حسناء الشمال
وانا أغفت فأطياف الغرام | ترتمي حائمة حول الفم
تحرس الخال انا جن الظلام | وحوالي الخال دمعي ودمي (١)

أيها الخال أجب رد السلام

....

ويقول في قصيدة أخرى :

نسمات الشاطئ الباكي الصبي | مع ذات الخال من قبل الفوات
داعبي الشعر ولا تضطربي | انما الشعر حبيب النسمات (٢)

الى أن يقول :

اخلعي لا تلبسي سود الثياب | وانسجي ثوبك من نور القمر
ما حياة الناس الا كالسراب | فاخطري فوق الأماني والزهر

انما العالم قلب وثبات (٣)

وهو حين يصف ذات الخال يستوحي كثيرا من تشبيهاته من مظاهر الطبيعة . فيقول في قصيدته " ما لبنان لولاها " خلال فترة وجودهما في لبنان لقضاء شهر العسل :

دنيا الهوى والأماني كيف أنساها | والحسن أبدعها والشعر وشاها
في جوها نفس الحسناء منتشر | وافقها فيه لو تدرون سيماها
لا تذكروا لي دنيا واتكم فأنا | لا يستطيب فؤادي غير دنياها
دنيا التي لو مشت في القفر لانبسطت | فيه الظلال وصار الآل أمواها

---

(١) عصام العباسي - ليال مع أوراق أبي سلمى - جريدة الاتحاد - حيفا ٣٠ نيسان ١٩٧٤

(٢) المرجع السابق

(٣) المرجع السابق

لما أطلت على لبنان ماج لها ... جثا على قدميها ثم حياها
فأكسبته فنونا من ملاحتها ... وزودته جمالا من محياها
فلا يغرك سحر بات يغمره ... ما سحره غير ما أعطته عيناها
وهل شذى الزهر في أرجائه عبق ... إلا سوى نفحة من طيب رياها
غنى لها شجر الوادي وهش لها ... لما تراءت له واهتز عطفاها
وتاه عجبا نسيم الصبح منتشيا ... لولاه مر بذات الخال ما تاها
ونضر السفح أزهارا وزينها ... بالطل حين دنا منها وناداها
وصفقت في الذرى العليا رحين رأت ... حمامة الشاطئ الغربي ترعاها
لبنان تاه على دار النعيم بها ... ما جنة الخلد ما لبنان لولاها (١)

وهو يمزج بين حبيبته والطبيعة فيختار لها أجمل المناظر ليزين بها لوحة حبه :

الزهر لا يرسل أنفاسه ... حتى تحييه فتاة الشمال
والياسمين الغض يا ويحه ... مال على شباكها واستطال
يريد أن يسرق من طيبها ... يا سارق الطيب حذار الوبال
والقلب قلبي لم ينم لحظة ... وقلبها في نومه لا يزال
قومي أطلي فالورى باهت ... ينظر النور ويرجو الزوال (٢)

وفي الابيات التالية نلمح سعة خياله حيث يدمج الطبيعة بالحبيبة اندماج الجزء بالكل ومثل هذه الصور كثيرة في غزله بذات الخال :

نحن في لبنان

علمت عيناك قلبي الخفقان ... فغذى لي منهما اليوم الأمان

نحن في لبنان

أرضه مفروشة بالأمل ... وسماه ازينت بالقبل
ها هنا مهوى العيون الذبل ... وهنا اغنية من بلبل

---

(١) نقلت عن ناظمها - عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى

(٢) ذو الخال - قصيدة نسيم الشمال - جريدة فلسطين - ١٩٣٥/٦/٣٠

ومنا يهمس زهر الجبـــــل أين من يهدى الى القلب الجلي
الـهـوى حـــيران

انشرى الأحلام نشر الزهــــر ولنمش في جـو حـب عطـــــر
واسألي عني نسيم البحــــر فهو لا يعرف الا غــــــبرى
غـــبرَ الولهــــان .

هل ترين النجم لا تغفو عيونه فهو مثلي تصدع الليل شـجونه
جن حتى دب في القلب جنونـــه والتقى فيه افتتاني وفتونـــه
فقطعنا لك عهدا لا نخونـــه سائلي النجم تجاوبك جفونـــه

والأماني تنتشـي من شـفتيـــك
عاف شـعرى وروى عن مقلتيـــك
واخطري في روضة لهفي عليـــك
تخلـد الأوطـان
وارحمي ما لي في الحب يـــدان
نحن في دار الهوى دار الأمـــان
نحن في لبنـــان (١)

ومن قصائده التي تعبر عن أيامه السعيدة مع هذه الحبيبة والتي يتمنى فيها أن يكون هو ومحبوبته طائرين أو زهرتين نديتين أو طفلين بما يـــــوحي أن مفهوم الحب الذي يتجه اليه هنا هو مفهوم روحي لا حسي وأن حب الجمال لديـــه هو حب الحيـاة ، فجاء غزله فيها أقرب الى المفهوم العذرى .

يا ليتنا طـــيران لا ندرى بأســـرار النجـــوم
نشدو بألحـان الهـــوى في السهل والجبل الشمـــيم
ونطير في جو السعادة والمنى بين الغيـــــوم
وننام في ظل الأكـــام وفي حمى الليل البهـــيم
أو زهرتان نديتـــان على فـــم الوادى الكريـــم
لتعطر الأفـق الخلـــي هوى وأردان الســـــديم
....

---

(١) نقلت عن اوراق ناظمها ـ عبدالكريم الكرمي ـ ابو سلمى

يا ليتنا طفلان عند الشاطئ الباكي اليتيم

نغدو على صدر الرمال كحبتي عقد نظيم

وأفيق أهتف باسمها من كل شيطان رجيم

وأرى جمال الكائنات على محياها الوسيم

يا ليتنا نأوى الى دار الهوى بين الكروم

نمشي فترتقص البطاح وينثني عطف الأديم (١)

لقد استحوذت ربة الخال على قلب الشاعر ، وملكت عليه حواسه ، فلم يكتف بالشعر للتعبير عن حبه ، بل تعداه الى ذكرها في مقالاته التي كان ينشرها في الثلاثينات في صفحة أدب في جريدة فلسطين ، حيث كان يشاركه تحريرها ابراهيم طوقان وفيها يقول :

" ألا يفتنك هذا الخال الذي يطل من صفحة الخد ؟ ألا يطير لبك اذا رأيت خالا نائما في جانب الثغر تحت الخمارة ؟ ألا يضج قلبك بالخفقان اذا اعترضك خال فوق المبسم أو تحت الشفة ؟ " .

ثم يحدثنا بعد ذلك عن مغنية حسناء اشتهرت بذات الخال اسمها غنث (٢) كانت تغني في عصر الرشيد ... وما قال فيها المغنون والشعراء (٣) .

والاتجاه الثاني في غزل ابي سلمى يتمثل في المزج بين عاطفة حبه لفتاته وحبه لوطنه وهو كما يقول الدكتور السوافيري فارس هذا الميدان وبطله بلا مدافع (٤) ففي الأبيات التالية يمزج غزله الحزين بوطنيته الصادقة ، فيفيض باللوعة والحنين والشوق الى الديار :

هل تذكرين الموج والمنحنى وموكب النور وعرس المنى

وأنت في الغوطة دنيا شذا تعطرين الورد والسوسنا

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - جريدة فلسطين العدد ٣٢١٥ (٢٩ آذار ١٩٣٦)

(٢) غنث وتعرف بذات الخال ، هي احدى الثلاث الجواري اللواتي كان الرشيد يهواهن ويقول الشعر فيهن ، وهن سحر وضياء وغنث (أبو الفرج الأصبهاني - الأغاني - دار الثقافة - بيروت ١٩٥٩ - ص ٢٦٨ .

(٣) عصام عباسي - ليال مع أوراق أبي سلمى - جريدة الاتحاد - حيفا ٣٠ نيسان ١٩٧٤

(٤) كامل السوافيري - اتجاهات الشعر الفلسطيني المعاصر - ط ١ - القاهرة ١٩٧٣ ص ١٤٥ .

وشاحها منك وأنفاسها — آثار رياك ومنك السنى
وسحرها عيناك أسرى به — ووشيها طيفك قد لونا
مررت بالغوطة فازينت — ودربها والسفح فازينا
ألا ترين النهر كيف انتشى — والغصن فوق النهر كيف انحنى
وتهمس الأزهار عند اللقا — كأنها تعرف ما بيننا
الجنة الخضراء ما شادها — هذا الربيع الطلق الا لنا
يا ليتنا طيران خلف الربى — نعلم الأطيار سر الغنا
يا ليتنا نجمان في أفقها — نضيء للأحباب كل الدنى
وكيف أنساك وانت التي — احببت فيك الشعب والموطنا (١)

....

ولا عجب في أن تكون قصائد أبي سلمى غزلية وطنية وأن تثور لواعج الحنين في نفسه الى حبيبته وصباه ووطنه . ويقول الدكتور ناصر الدين الأسد عن هذه الخاصية في شعر أبي سلمى : " ان كل ما يذكره به يذكره بها وكل جمال فيها جمال فيه (٢)... " فالحب هنا يتخذ مظهرا وطنيا ولعل شعراء الأرض المحتلة قد تلقوا هذه الطريقة في التعبير عن أبي سلمى ثم ذهبوا بها كل مذهب . فكان بذلك رائدا في هذا المجال .....

لنتأمل هذا المظهر التعبيري في الأبيات التالية :

قالت ألا نلتقي على الطرق — ونهتدي بالضياء والعبق
أني تهاديت فالعبير معي — وألف نجم يضيء في أفقي
فقلت لا تنثري النجوم على — مفترق الدرب أي مفترق
لا تنثري الطيب فوق كل ثرى — لم يصطبح بالهوى ويغتبق
سيري الى سفح ربوة عبقت — بالحب عند اللقاء في الغسق

---

(١) عبد الكريم الكرمي - ابو سلمى - أغنيات بلادي - دمشق - الطبعة الاولى ١٩٥٩ ص ٢٢ - ٢٤

(٢) ناصر الدين الأسد - الشعر في فلسطين والأردن - معهد الدراسات العربية القاهرة ١٩٧٠ ص ٢٢٧

تضحك عيناك في جوانبه ... فينجلي عن سنى وعن ألق
الياسمين الظليل يحرسنا ... من ألسن الماثلين والحدق
يغار من حبه النسيم اذا ... عادت بريّا وهمسة الورق
تقرأ ما في العيون من لمح ... ماذا وراء القلوب من حرق
يسمعك القلب اغنيات هوى ... لولاك لم يبق من رمق
يروي لعينيك عند خفقته ... تاريخ حبي والدمع والأرق
العمر مثل الربيع في وطني ... لا تقطعيه بالهجر والحنق
هواك في ذمتي وفي عنقي ... ونلتقي .. هكذا .. على الطرق (١)

أما قصيدته " درب الهوى " فيبدأها بالغزل والتشبيب بصاحبته وينتهي الى الحنين الى مرابع بلاده فيقول :

الورد قد لونه حبنا ... لولا شذا خديك لم يعشق
سنلتقي ما فوق أرض الحمى ... ننشر من أنفاسنا ما بقي
في الكرمل المحزون بعد النوى ... على رمال الشاطئ الأزرق
لقد غدونا نغما شاردا ... فيه طيوف العالم الموثق
قلبي يغني لك في خفقه ... لولا هوى عينيك لم يخفق
لا تسألي .. كيف وأين اللقا ... غدا على درب الهوى نلتقي (٢)

وفي قصيدته " الأفق المعطر " تراه ينسج الغزل بحبيبته من نفحات المسك والعنبر ، ومن موكب الياسمين ، ونغم البلبل ، ثم لا يلبث حتى يتسلل موطنه الى الغزل بالحبيبة فتراه يسألها :

جارتي ! .. كم أغار من قبل الصبح ... ومن خفقة الشعاع المحير
هل سرقت الفتون من قسمات ... القدس أو فجرها الحبيب الأشقر
لست أدري ؟! هل جملتك بلادي ... أم تمثلت أنت في كل منظر

وتنتهي بنا نجوى الفؤاد الى الحديث عن الوطن :

وطني ! .. يا ضحية الظلم مالي ... لا ألاقي غير الجبين المعفر

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابوسلمى - اغنيات بلادي - دمشق - ط ١ ١٩٥٩ ص ١٩ - ٢١
(٢) المرجع السابق ص ٢٥ - ٢٨

من يواسي جرح الزمان اذا كان ... المواسي في الحي طاعن خنجر
أيها الظالم الذى دنس التاريخ ... هلا من ثورة الشعب تحذر
ثورة تجعل الطغاة رمادا ... وتذيب القيود فيها وتصهر (١)

أما قصيدة " ابنة بلادى " يغني الشاعر فيها بلاده في غنائه ابنة بلاده فيقول :

ابن الشذا والحلم المزهر ... أهكذا حبك يا أسمر
أهكذا تذوى أزاهيرنا ... وكان منها المسك والعنبر
الشفة الحلوة ما بالها ... تحمل لي الخمر ولا تسكر !
والعين .. لا تبسم عند اللقا ... السحر في العين ولا تسحر
أسمارنا كانت توشي الدنى ... والليل ، من أشواقنا مقمر
تطير من نجم الى نجمة ... يلفنا وشاحك الأصفر
فمن شعاع الشمس أهدابه ... تضيء ، من أشعاعه الأعصر
كيف الهوى يمضي كعمر الندى ... وفي بلادى مرجه الأخضر (٢)

وهو حين يخاطب حبيبته ويتغنى بجمالها وفتنة أوصافها ، وما يعتمل في ذاته من لوعة ومرارة ، فانه بذلك لم يكن منفصلا عن الأرض التي ترعرع فيها والأرض التي احتضنت صباه وكانت مرتع أحلامه ، بل انه في هذا وذاك كان مزيجا ليس لك أن تستل جزءاً منه دون الآخر .

ها هو يناجي فلسطين في شخص محبوبته في اغنية صاغتها تراتيل العابد المسبح وأنفاس العاشق المتيم .

أخت النجوم ، دعي الذرى وقفي ... بين المروج وردى نغمي
غشى الصباح على ملاعبنا ... والقمة الجرداء في صمم
قولي وهل يأتي الربيع اذا ... لم تدعه شفتاك من أمم

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - المشرد - الطبعة الاولى - دمشق ١٩٦٣ ص ١٧ - ١٩

(٢) المرجع السابق ص ٤٨ - ٤٩

هل تنتشي دنيا القلوب اذا لم يزدهر أمل على ألم
هل تضحك الميفان دون لقا في عالم بالشوق مضطرم
طوفي معي في كل خاطرة وتفتحي فجرا على حلمي
يا جارتي !.. يقف الزمان اذا ما ضمنا ليل فما نغم
يا جارتي !.. عودي الي فمن حق الجواد رعاية النعم
أنا في الحياة مشرد أبدا والليل طال علي فابتسمي (١)

وهو اذ يلجأ الى الحديث عن حبيبته ويصف لنا جمالها ومفاتنها ، فانه يرى ذلك من خلال مرآة الأرض التي رأى فيها كل دواعي البهجة ونقاء الطفولة. لذلك نرى أوصافه مزيجا اقترن بذاكرته ووجدانه من مراتع الصبا ، وما تبعثه في نفس العاشق المتيم فتنة الحبيبة وجمالها الأخاذ .

يقول ابو سلمى في قصيدة

أطل الفجر من عينيك ما أروعها طلة
أرى فيها خيال البلد والكرمل والرملة
وموج الشاطئ الغربي في عكا أرى ظله
أرى في أفقها وطني فأطبعه على قبله
لقد حملت لي الميفان ما لم أستطع حمله

....

على شفتيك يا سمراء أخبار وأسرار
وكيف ؟!... ونحن في العالم يا سمراء أسحار
عليها من لظى التشريد والأدمع آثار
وقد كانت لنا دنيا وكان المجد والغار
ونحن اليوم لا وطن ولا أهل ولا دار (٢)

والغناء العاطفي هو الموهبة الاولى في شعر أبي سلمى ولولا أن النكبة وما سبقها من ثورات وهبات وما تلاها من فواجع ومحن ظلت تلاحقه لما كان

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - اغنيات بلادي - دمشق - ط ١ ١٩٥٩ ص ٣٣ - ٣٥
(٢) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - المشرد - دمشق - ط ٢ ١٩٦٣ ص ٦٤ - ٦٥

أبو سلمى الا شاعر الوردة العطرة والنظرة الساحرة والشفة الريّا ، هكـــذا نجد في قصيدة سحر بلادى صدق العاطفة تتبدى في تغزله بجمال بلاده وسحرها الفتان الذى ملأ نفسه بالعشق فأخذ يناجيها قائلا :

سحر بلادى والهوى .. أنت — والشعر ، أحلى الشعر ما قلت
يخلد الشاعر حسن الدّنى — وأنت ! .. دنيا الشعر .. علمت
أنى تلفت فثم الهـــوى — جار الهوى ، لما تلفــت
باح لي الورد بأسراره — وقال لي .. انت التي بحت
أنفاسك الريا سرت فانتشت — ومال تيها كيفما ملت
كيف أعد الصبح قد مرّ بي ؟! — لا صبح لي الا انا لحت
لا يحمل النور انا لم يقل — في كل يوم كيف أصبحت
عيناك في قلبي أغانيهما — يردّد الأنّات في صمت
أضاء لي حبك آفاقه — فيه من الأنجم ما شئت
ربيع قلبي وبلادى ، انا — لم تزرعي الأشواق .. لا يأتي (١)

وهكذا امتزجت الحبيبة ببلاده فلا تكاد تميز بينهما ولنستمع الى هذه الأبيات أيضا :

أهواك في اغنية حرة — يخفق فيها الناى والمزهر
في طلة الفجر على المنحنى — يهفو اليه الكرم والبيدر
في النهر الضاحك بين الربى — تحسده على الهوى الأنهر
في الشاطئ الغربي تغفو على — الحانه الأمواج والأبحر
في نغم البلبل يغدو على — صنوبر السفح ولا يهجر
في عبق الورد وفي لونه — يزفه وادى الحمى الأطهر
في موكب النصر وفي راية — على ثرى تاريخنا تخطر
وفي أماني أمتي تنتشي — فيها المروءات وتستكبر
أهواك في شعبي وفي موطني — فأنت لا أحلى ولا أنضر

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابوسلمى - المشرد - دمشق ط ٢ ١٩٦٣ ص ١٣٠

هكذا يعلن عاشق فلسطين حبه لوطنه كما أعلن حرب الكلمة من أجله وهذا الاعلان يأتي منسجما مع العالم الشعرى لأبي سلمى فقد كان شعره عبر أصواته المختلفة يتواصل مع كل شرائح الواقع الفلسطيني .

الخصائص الفنية في شعره

الأسلوب :

نعني بكلمة الأسلوب منحى الكاتب العام ، وطريقته في التفكير والتأليف والتعبير والاحساس على السواء ، وليس طريقة الاداء اللغوي فحسب ، وهناك تصدق كلمة " بوفون " [١] في دقتها وروعتها " الأسلوب هو الرجل " ولتحديد شخصية الأديب لا بد أن يتسم أسلوبه بسمة خاصة ، ولهذا " يعد تمييز الأساليب تحديدا للخصائص النفسية والاجتماعية والجمالية لكل كاتب ، فضلا عن أسلوب تعبيره اللغوي " [٢] والحقيقة أن هناك بعض العناصر في الشخصية لها أثر كبير وواضح في أسلوب الأديب ، كالطبع وأثر البيئة والثقافة والتربية [٣]... " وأسلوب الكاتب يمزج عادة بين مادة الفكر ومادة الاحساس... والكتابة الجيدة هي ما يمر فيها الفكر بالاحساس ، والاحساس بالفكر ، حتى يصح أن يقال ان الكاتب الجيد يفكر بقلبه ويحس بعقله " [٤] .

عاش أبو سلمى في المعمعان ، وكتب وسط الاعصار ، كان مع شعبه ، عاش معه وانغمس في كفاحه ، لم يكن متفرجا ولا عابثا ، بل كان محبا ، التزم بالارض وبالشعب ، عشق الكرمل والبحر ، وقوله بالجمال ، جمال فلسطين وكل جماله ولهذا غنى أبو سلمى للارض والشعب والجمال ، غناء المحب العاشق والتزم بالشعب والقضية واتخذ هذا كله عند أبي سلمى منحنى واضحا ، انه التمسك بلغة عربية واضحة وسليمة ، فيها التراث كله ، ولكنها ليست مقعرة ولا غريبة ، ولا خارج العصر ، انها لغة تمتد في التراث بعيدا ، ولكنها ليست قاموسا ، انها اللغة التي تعبر عن حب راهن ، ومعاناة فعلية ، وهكذا تتجدد اللغة بقدرتها على التعبير ، دون أن تفقد تاريخيتها ، ودون أن تتحول عن أن تكون تراثا

---

(١) د . محمد أبو الانوار ـ عبدالله بن المقفع ـ الرجل الأسلوب ـ مجلة الهلال القاهرة ـ سبتمبر ١٩٧٣ ص ٧٣

(٢) د . محمد مندور ـ الأدب وفنونه ـ دار نهضة مصر ـ الطبعة الثالثة ـ ص ١٤٧

(٣) أحمد الشايب ـ الأسلوب ـ الطبعة الخامسة ـ ١٩٣٩ ص ١٣٠ ـ ١٣٢

(٤) د . محمد مندور ـ في الأدب والنقد ـ دار نهضة مصر ـ ط ٣ (د ـ ت) ص ٢٧

ومن هنا يكون ابو سلمى شاعرا كلاسيكيا من جهة ان كلا سيكيته ليست كلاسيكية شوقي وحافظ وليست كلاسيكية ابراهيم ناجي المجددة بل واقعية ثورية لأنها التزمت بقضية الشعب وعبرت عن همومه ، وجسدت ارادته ، وهذا الذي جعل كلاسيكية أبي سلمى شعبية وليست سلفية ان ذلك هو منبع عذوبة شعره وجاذبيته وقدرته على التفاعل مع الجماهير ، ولكن نبقدر ما تمتزج الواقعية بالكلاسيكية عند أبي سلمى ، تمتزج الواقعية بالرومانسية ذلك أن أسلوب أبي سلمى غنائي عذب ، رقيق العبارة ، منساب الخيال . وهكذا كانت هذه الاتجاهات الشعرية الثلاث مشدودة بعضها الى بعض في ترابط لا يقبل التفتيت ، ولهذا فنحن لا نوافق الدكتور عبدالرحمن الكيالي على أن أبا سلمى رومانسي مغرق في رومانسيته[١] ، صحيح أن أبا سلمى قد استعان بالرومانسية في اثراء خياله الا أن هذه الرومانسية الهادئة لم تكن لتسقط أبا سلمى في دائرتها تماما فظل لصيقا بالكلاسيكية في عمود الشعر وقوافيه وديباجته ولم يخرج عن التقاليد الشعرية الموروثة . ولعل أبا سلمى كان أول من ربط بين تحرير فلسطين وبين تحرير الوطن العربي والثورة العالمية .

وشخصية أبي سلمى في كل حالاتها وأطوارها تبرز واضحة جلية في شعره .. ففي هذا الشعر شخصية الحكيم الذي خبر الدهر والناس وطبائعهم ، وفيه شخصية المحب الصادق الاحساس ، القوى العاطفة .

وأبو سلمى شخصية أليفة ذات أنس ومحبة ، ورقة متناهية ، تتبدى في رقة الفاظه في أشعاره ، وفي حسه المرهف وتصدر عن ذلك نزعته الشعرية الى الغزل والتشبيب :

تسائل كيف عرفت النسيب	وممن تعلمت شعر الغزل
تعلمته من شذا وجنتيك	اذا ما تفتح زهر الأمل [٢]

---

(١) د. عبدالرحمن الكيالي ـ الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين ـ المكتبة العربية للدراسات والنشر ط ١ ١٩٧٥ ص ٣٤٢

(٢) عبدالكريم الكرمي ـ ابو سلمى ـ اغنيات بلادي ـ دمشق ـ ط ١ ١٩٥٩ ص ٦٥ ـ ٦٦

وفي شخصية أبي سلمى عشق للجمال ، واحساس عميق به في شتى صوره وألوانه ومعانيه ، ولا بد لمن يعشق الجمال من أن يعشق المرأة .

ولئن كانت المرأة أحد المفاتيح الكبرى لشخصية هذا الشاعر (شخصيته الأدبية والانسانية) ورغم أن أبا سلمى قد بلغ السبعين من العمر فما زال يحس بالجمال ويتأثر به ، وتلمع عيناه ان وقفت على منظر جميل ، ولكنه يكاد ينسى نفسه ان كان ذلك الجميل فتاة أو امرأة .(١)

أما عنفه الثوري فهو مزيج من الأصالة والاخلاص ولا أدل على ذلك من الأبيات التالية التي تكشف عن تقديسه للحرية وتمجيدها .

سيروا على الترب المخضب والثموا أثر الجدود
حرية الانسان بالدم تشترى لا بالوعود
ايه فلسطين اقحمي لجج اللهيب ولا تحيدي
لا تصهر الأغلال غير جهنم الهول الشديد (٢)

ولعل من الغريب أن يجمع انسان بين الرقة والعنف الثوري ولكنه كذلك فاذا تغزل ذاب رقة ، واذا غنى لبلاده أنشد بعنف ثوري وبصراحة لا تخشى في الحق لومة لائم . مع هذا فان الأستاذ زهير الكرمي يحدثنا عن عمه فيقول : " انه حينما يغضب ويثور لأمور خاصة يكون غضبه رقيقا وثورته أقرب الى العتاب منها للهجوم " (٣) .

هناك ناحية مهمة في أسلوب الأديب ، وهي علاقة اختيار الكلمات وترتيب الجمل بالواقع النفسي لهذا الأديب وقد تناول تلك العلاقة الأستاذ أمين الخولي ، وهو يتحدث عن الاستعمال وأثره في المفردات والجمل ، فيقول : " هذا الاستعمال وأثره لا يصح شيء في تقديره وتبينه الا على هدى نفسي دقيق ، وكذلك الحال في الصور البيانية وعمل المتفنن فيها وأثر هذا العمل على الابانة والافهام ، كل أولئك وما اليه لا يرجع في تفهمه ولا في تبينه . الا في الأثر النفسي

---

(١) من رسالة تلقيتها من الاستاذ زهير الكرمي - (ابن شقيق الشاعر) - الكويت بتاريخ ١٩٧٧/٥/٧ .

(٢) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان ابي سلمى - دار العودة - بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص ٢٥

(٣) رسالة زهير الكرمي - الكويت - ١٩٧٧/٥/٧

والواقع النفسي وكذلك يقوم المنهج الفني للدرس البلاغي على أصول وأسس نفسية قبل كل شيء ... (١)».

ويربط الدكتور عز الدين اسماعيل بين الشخصية القوية والكلمة المؤثرة فيبين أن الكلمة تكتسب قوتها من الشخصية التي استخدمتها ، فالأديب ذو الشخصية القوية المؤثرة ويخلق للكلمة باستخدامه لها مجالا واسعا ، فمن حيويته الشخصية وقوتها تستمد الكلمة، وهي بهذه الحيوية والقوة تؤثر في الآخرين وتفرض نفسها عليهم .(٢)

واللغة ايحاء ، قيمتها بما توحي به وبما يشيع فيها من احساسات ومشاعر وعواطف ، تختلف من شخص الى شخص ومن موقف الى آخر ولا يخفى ما تمنحه الكلمة من بعد ايحائي اذا ما استعان الانسان بها لتفصح عن ذات نفسه وتظهرها وتظهر لها حقائق الناس والأشياء .(٣)

وقد كان أبو سلمى يصوغ كلماته وعباراته ، بروحه وذاته ، فتتحول هذه الى جزء من نفسه سواء أكانت صادرة أم حادثة حانية ولنستمع الى هذه الأبيات في قصيدة " بعد الفراق " .

قسما بالسفوح أنا حملنا	يا فلسطين في هواك المنابا
وانا ما سألت عنا انتسبنا	وأبينا الا اليك انتسابا
ما بعدنا عن طيب أرضك الا	زادنا البعد عن ثراك اقترابا
وزرعنا الأشواق في كل أرض	ليتها انبتت قنا وحرابا

وافترقنا - وأنت في القلب - أعوام - دهور مذلة واغترابا
والتقينا على ملاعبك السمحة شيبا بعد النوى وشبابا
وسجدنا نقبل الحجر الأسود والرمل والحصى والترابا (٤)

---

(١) امين الخولي - مجلة علم النفس - يونيو - ١٩٤٥ - ص ٤٢

(٢) د . عز الدين اسماعيل - الأدب وفنونه - دار الفكر العربي ط ٢ ص ٢٣

(٣) د . فيكتور ألكك ود . أسعد علي - صناعة الكتابة - بيروت - ط ٣ - ١٩٧٧ - الكتاب الثاني ص ٦٣

(٤) عبدالكريم الكرمي - ابوسلمى - اغنيات بلادى - ط ١ ١٩٥٩ ص ١٢٤

ويبدو أبو سلمى في تلك الأبيات كالناسك الذى يركع خاشعا أمام معاهد الطبيعة في وطنه متأملا سفوحها التي ترتطم فوقها آلاف السنين من التاريخ موسلا من قلبه النابض الحانه الشجية ، انها بلاده ... مقدساته ، قبور أجداده انها بوابة آماله ومحط أحلامه .

لقد كانت لأبي سلمى طريقته الخاصة في ابراز عواطفه ، وانفعالاته وملاءمته بين موضوعات شعره والفاظه وقوافيه . فتارة يعمد الى طريقة بناء الجملة من حيث صيغ الاستفهام . والتعجب والنداء والتمني واجادة استخدام الأسلوب الانشائي الذى هو أكثر ملاءمة من الأسلوب الخبرى الذى يحمل التقريرية.(١)

وهو يكرر استعمال الفاظ بعينها في أبيات عديدة وهذا يظهر بوضوح خاصة في شعر الحنين والغربة وعلى سبيل المثال فقد استعمل لفظة فلسطين ٧٧ مرة في مجموعاته الثلاث ، كما استعمل لفظة الشعب ٤٧ مرة ولفظة الحب والهوى ٦٠ مرة ولفظة القلب ٢٠ مرة ولفظة الوطن ٢٠ مرة . وقد يكرر الشاعر لفظة بعينها في أول أبيات متعددة مثل :

شعبي هنا وهناك ثائر — فجر اللهيب اليوم سافر
شعبي أطل مع الصباح — مخضب الجنبات حاسر
شعبي الذى نشر اللهيب — من العراق الى الجزائر (٢)

وهذا التكرار في كل حالاته يعبر عن انفعاله وتأثره .وهذه الظاهرة كما تقول نازك الملائكة : " هي تطور ملحوظ في أساليب التعبير الشعرى فالتكرار في حقيقته الحاح على جهة هامة في العبارة يعنى بها الشاعر أكثر من عنايته بسواها وهو يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة ، ويكشف عن اهتمام المتكلم بها ، وهو بهذا ذو دلالة نفسية قيمة " (٣)

---

(١) د . كامل السوافيرى ـ الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر ـ مكتبة الانجلو ـ القاهرة ـ ط ١ ١٩٧٣ ص ٢٦٤ .

(٢) عبدالكريم الكرمي ـ ابو سلمى ـ اغنيات بلادى ـ دمشق ـ ط ١ ١٩٥٩ ـ ص ١٣٥

(٣) نازك الملائكة ـ قضايا الشعر المعاصر ـ مكتبة النهضة ـ بغداد ط ٢ ١٩٦٥ ص ٢٤٢

وللشاعر ميل الى استعمال النقد الساخر العنيف كما في قوله :

دول كالدمى تمثــل دورا وسموه لها وفصـــلا مريبـــا
تتثنى على المسارح والميسم يشوي وجوههــا والجنوبـــا (١)

....

من هلاهيلكم نسجتم حبال الموت حــول الأعنـــــاق والأرواح
ودويلاتكــم ؟ سلوها فمـا كانت دويلاتكـم ســـوى أشـــــباح (٢)

....

أرانب أن تعرض أجنـــبي وهم أبد على أهلـــي أســـود
تمر مواكب لا روح فيهـــا وأعياد وليس هناك عيـــــد
وأبواق وليس لها رنـــين وأسماء وليس لها وجـــــود
وأجناد تموج ولا انتصـــار وأحرار وكلهـم عبيـــــد
تلملح في جوانب كل افـق بيانات وليس بها جديــــد (٣)

وحتى في شعر الرثاء نجده يسخر من فك الارتباط أو فصل القوات يقـــول ابو سلمى في حفل تأبين عزيز أباظة عام ١٩٧٤ :

أي فك لبني العــرب اذا لم يفكوا من فلسطين السراحا (٤)

والسخرية هنا كان يمكن أن تكون أكثر وضوحا لولا طبيعة المناسبة ومكانها .

أما مذهبه في النظم ، فقد كان واضحا في شعره ، فهو يكره الغمـــــوض واللبس وينفر من التعقيد والضبابيـة وقد أوضح هـذا المذهب في قصيـــــدة " دم أهلـــي" .

أيها الشارعون أقلامنا الحرة ذودوا عن حرمة الأفكـــــار
المداد الكريم ، كالدم في الميدان حرا ، حرب على الأشـــرار
دافعوا عن كرامة الحرف والانسان في أفق هذه الأقطـــــار
بحروف فيها بساطة شعبي لا أساطير من ضـــباب مـمـــــار
وازرعوا النار في السماء وفي الأرض الى أن تعود أغلى ديار (٥)

---

(١) عبدالكريم الكرمي ـ ابوسلمى ـ المشرد ـ دمشق ـ ط ٢ ١٩٦٣ ص١٠
(٢) المرجع السابق ص٨٢
(٣) المرجع السابق ص٨٨
(٤) عبدالكريم الكرمي ـ ابوسلمى ـ ديوان ابي سلمى ـ دار العودة ١٩٧٨ ص٣٥٩
(٥) المرجع السابق ص٣١٧

ليس من شك أن أبا سلمى في مذهبه هذا ، متأثر بطبيعة الشعر العربي الواضحة ، فالوضوح من أهم ميزات الشعر العربي والشاعر العربي قلما يكسو فكره غموضا بل يعبر عما يريد بوضوح ويسر[١] . كما ينطلق في ذلك من مفهومه للشعر الذى أراد أن يكون فنا جماهيريا شعبيا يصور كل احساسات الشعب ومعاناته وما يجرى حوله من أحداث جسام . فشعر أبي سلمى قد يكون سجلا للنكبة بكل أبعادها وما ترتب على نتائجها من أحداث كان لها وقع كبير في ضمير الشاعر ووجدان شعبه ، فكان يستمد موضوعاته من معاناة الناس اليومية ومن واقعهم المؤلم الذى يطيح بالمتناقضات والبطولات على حد سواء . وفي هذا يقول غسان كنفاني : " منذ مطلع الثلاثينات وشعبنا في فلسطين يحفظ قصائد أبي سلمى عن ظهر قلب . يتغنى بها في حله وترحاله ، ذلك انها انعكاس لمعاناته وتجربته وصورة صادقة لحياته التي وجد فيها ضالته فظل منذ ذلك التاريخ وحتى الآن يستمد أغنياته ويصوغ أعذب قصائده مكتوبة بلغة الشعب مصدر الهام الشاعر الاول ، وجمهوره الذى أقام معه كل وشائج التلاحم النضالي والمصيرى ... [٢]".

ويلاحظ الدكتور ناصر الدين الأسد : احتواء شعره على وفرة في القيم الموسيقية التي تلف شعره حتى جاء أكثر قصائده مقطعات غنائية صغيرة ملحنة منغمة ذات ألفاظ موسيقية منتقاة [٣].

وأكثر شعره مما يصلح أن يختار للغناء ، فهو يكاد يطرد على هذا النسق الموسيقى ولا تفارقه غنائيته مهما يختلف موضوعه وقد غنت له فيروز قصيدة " ابنة بلادى" .

---

(١) د . شوقي ضيف - دراسات في الشعر العربي المعاصر - دار المعارف - مصر ط ٢ ١٩٥٩ ص ٢٨٣ - ٢٨٤ .

(٢) غسان كنفاني - ملحق الأنوار - العدد ٢٦٨١ - بيروت - الأحد ١٤ نيسان ١٩٦٨ .

(٣) د . ناصر الدين الأسد - الشعر الحديث في فلسطين والاردن - معهد الدراسات العربية - القاهرة ط ١ ١٩٦٠ ص ٢١٨

بناء القصيدة :

بناء القصيدة عند أبي سلمى :

نظم أبو سلمى أغلب شعره على النهج العربي القديم من وحدة البحر ووحدة الروي والقافية ، لكنه نظم جزءاً منه على نهج الموشحات والمسمطات ، كما نظم أيضا قصائد متغيرة الروي والقافية ما بين مزدوجات ومربعات ومخمسات ومقطعات هذا بالنسبة لنظام التقفية عنده ، أما الاوزان ، فالحقيقة أنه لم يخرج على الاوزان الخليلية .

ومن هذه الأشكال :

قصيدة جنون الصبا وهي من المزدوج

هل تذكرين السفح والمنحنى ومركب النور وعرس المنى

يوم زففنا الحب ما بيننا

وكانت الدنيا تغني لنا جن جنون القلب لما حبنا

لله ما أحلى جنون الصبا (١)

....

وكما في قصيدة لا أدري وهي من المربعات

دنيا من السحر أم عالم الشعر

أم الهوى العذري عيناك لا أدري

....

من نعمة الخلد أم روعة الوجد

أم من شذا الورد خداك لا أدري

....

سلوان من قلبي في صدرك الرحب

هل جنة الحب صدرك لا أدري

....

من سمات الحور أم ومضات النور

أم الندى المسحور جسمك لا أدري

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - جريدة الدفاع اليافية - عدد ٣ آب ١٩٤٢

في موكب الفجـــر   وفـت مـع المطـــر
يا ضيعـة المسـر   سارت ولا تـــدرى (١)

....

وعندما يبني قصيدته يبنيها على فكرة يهدف اليها ويستغل كل امكانياتـه ليحيط الهدف بهالات وصور تجعل القصيدة ذات وحدة فنية • ولقد وفق أبو سلمى في تطبيق مبدأ الوحدة الفنية في العديد من قصائده • ولعل أبرزها يظهر فـي قصائد الحنين والغربة ، ففي هذا اللون من قصائده يروعنا بصدقه الفني والشعورى والنفسي الذى لا يشوبه تمويه • كذلك فانه يتبدى في قصائده التي يمزج فيهـا بين حبه لفتاته وحبه لوطنه ، كما نلمح ذلك في شعره الاجتماعي والانساني وفـي شعره الوجداني وبخاصة في قصائد ذات الخيال التي تصدر عن عاطفة حقيقية ومشاعـر قوية وتجربة شعورية واضحة • كذلك فهو يتبدى في عدد من قصائده الوطنيـة والقومية خاصة قصيدة " لهب القصيد " التي فضلا عن أنها تصوير لما ينعكـس على نفس الشاعر من جوانب الحياة السياسية والاجتماعية ، فهي تعبر في الوقـت نفسه عن الموقف الثورى الذى يقرن التحرر السياسي بالتحرر الاجتماعي ، كمـا أن ما يكمـن وراء الصور والكلمات ، يوحي بأن الوطن وطبيعته ليسا بقعـة جغرافية محددة فحسب بل امتداد نفسي يكشف عن صلة انسان الوطن الصغير بانسان الوطن العربي الكبير والوطن الانساني الأكـبر •

ان هذا الواقع هو جزء من كل يتأثر بـه ويؤثر فيه ، ولعل خير ما يوضح هذه الحقيقة هو ربط الشاعر بين التحرر الوطني وحركات التحرر في العالم، وبهذا التضامن الانساني يتحدث عن وطنه في قصيدة " وطني " فيقول :

غدنا من غـد الشعوب وانـا   في طريق التحرير جيش عرمرم
نحطم النير أينما كان في الكون   ولن نستريح ما لم يحطـم (٢)

والقصيدة عنده تطول أو تقصر والعبرة بعواطفه ومدى انسيابها ، ومـدى انسجامه مع الموضوع وتأثره من الحدث• ويعتبر من أصحاب القصائد الطويلـة

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - جريدة الدفاع اليافية عدد٣ تموز ١٩٤٢

(٢) عبدالكريم الكرمي - المشرد - دمشق - ط ٢ ١٩٦٣ ص ٢٨

التي تزيد على الستين بيتا أطولها " لهب القصيد " وعدد أبياتها ٦٤ بيتا وهي مقدمة لمسرحية شعرية عن الثورة الفلسطينية ابتداء من حركة القسام وامتدادا الى ثورة ١٩٣٦ وكان الشاعر قد أرسل نسختين من هذه المسرحية الى الأديبين: ابراهيم عبدالقادر المازني ، وخير الدين الزركلي وفقدت الثالثة منه •

ومن الاحصاء الذى قمت به على شعره نستطيع أن نقول انه قد استعمل اثني عشر بحرا بالاضافة الى استعماله لمجزوء البسيط والوافر ومخلع البسيط والى استعماله المسمطات والموشحات والمربعات والمقطعات •

ويأتي الخفيف في المرتبة الاولى من شعره وقد نظم فيه ٩٧٩ بيتا ، والبحور التي لم ينظم عليها اطلاقا هي : المضارع والمقتضب والمتدارك والمنسرح •

أما أكثر الحروف التي نظم على قافيتها ورويها فهو حرف الدال فقد نظم عليه ٦٢٩ بيتا أو ما يقارب ٢٣٪ من شعره •

ومن الموشحات : (رقصة السماح)

غن يا بلبل شعرا	في الروابي والبطاح
ثم طر ما شئت حرا	في الفضا طلق الجناح
آه يا بلبل غن	بأغاريد الصباح
وتنقل كالأماني	بين ورد وأقاح
واملأ الأفق أغاني	كي نرى رقص السماح

....

دياري موطن العرب	بلادي العز والحسب
لئن غابت كواكبها	فشمس المجد لم تغب
سماء كلها شرف	تراب الأرض من ذهب
فهيا يا أخي أنشد	دياري موطن العرب

....

يا فتى العرب سلاما	أنت يا زين الملاح
حل بالمجد الشآما	وافدها بالمجد غال
وتوشح بسناها	وامح آثار الليالي
وتيمم بثراها	انه طيب الرمال

عشت يا عز البـــلاد	فارس الميـــــدان
زنت تاريخ الجهـــاد	يا فتى الأوطـــان
أخذت عنك الـــدراري	مثـــلا عليـــا
فحلى ثغر الديـــار	بسمة الدنيـــا

....

نحن وشينا المغانـي	بالشذا والنـــور
فمحت زهر الأمانـــي	حالك الديجـــور

....

قد غرسنا كل جهـــد	في أراضينـــا
ونجلي كل ســـعد	بمواضينـــا (١)

....

ولو تأملنا الموضوعات التي رأينا فيها تجديدا في القوافي لوجدنـــا أنها لا تخرج عن الموضوعات الوجدانية أو أناشيد الأطفال وهي في وصف الطبيعـــة ولكنه خرج في بعض هذه الأناشيد الى نطاق الشعر الوطني والقومي كما فـــي نشيد الوحدة العربية (٢) •

ومن غرر موشحات أبي سلمى قصيدته تل الزهـــور (٣).

هل ترى الحب على تل الزهـــور	كيف يغفو بين أحضان العـــذارى
دعه في بردين من نار ونـــور	يشعل الحب اذا استيقظ نـــارا

....

---

(١) نقلت عن ناظمها عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى

(٢) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - أغاني الاطفال - مكتبة أطلس - دمشـــق ط ١ ١٩٦٤ ص٦٠ - ٦٣

(٣) تل الزهور تملأه الأزهار دائما قرب الشاطئ الغربي في عكا • ومـــن الجدير بالذكر أن زوجة الشاعر الملقبة بذات الخال من مدينة عكـــا • ويردد أبو سلمى في شعره ذات الخال ونسيمات الشمال ونسيم الشمال وفتاة الشمال والشاطئ الغربي وفي هذه اشارة الى موطن حبه ومعهى غرامه وقـــد تقدم الحديث عن ذات الخال في شعر الحب والغزل عند أبي سلمى •

وانا هبت نسيمات الشمـال ثم نادت طائر الحب تمـال

مد في الجو جناحيه وطارا

ورمى فوق فم الافق بقايـا كيف لا يندى غراما وشبابا

بعد ما رف على " تل الزهور "

والنسيم ... كيف لا يفتنه الوجه الوسيم

فيحوم ... يسرق السحر ويخفى في الغيوم

....

أيها الغائب عن " تل الزهور " أمسك القلب اذا كنت تـزور

فالطيور ... فوق ذاك التل لا تنفك تشدو

والزهور ... تلثم الحب ولما يصح بعد

تنبت الاشواق في "تل الزهـور " (١)

....

ومن موشحاته ما هو مؤلف من أبيات وكل بيت مؤلف من ثلاثة أجزاء وست فقرات أو أغصان . كما في قصيدة "شعاع":

١- من أين يا قلب هذا الشعـاع ينير دنياك ويهدى الشراع
فتارة يخفق فوق اللمـى وتارة يرف فوق اليراع
لولاه لم تنعم بطيب اللقـا ولا تنورت ليالي الوداع

....

٢- رأيت عينيها ومستقبلـي لونه حلم الصبـا الأول
وفيهما سر الهوى ينجلـي وسر همس الورد للبلبـل
بحق عينيها ألا قلت لـي هل أنت من ذاك السنى يا شعاع

....

٣- في جانب الثغر أرى كوكبـا يحمل لي في كل يوم نبـا
ينير في تلك المنى ما طبـا يعرضها لي موكبا موكبـا
بالله قل لي ، بجفون الصبا هل أنت من ذاك السنى يا شعاع (٢)

....

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان أبي سلمى - ط ١ - دار المودة بيروت ٧٨/٥/١ ص ٩٥ - ٩٦

(٢) المرجع السابق ص ١٦٣

ومن أناشيده الوطنية نشيد " يا ربى القدس " مقدمته بيتان ثم قسم الى ثلاثة أقسام كل قسم مؤلف من ثلاثة أبيات وهو يخلو من اللازمة المعهودة في الأناشيد :

انشدى يا ربى القدس والخليل اقبل الثائرون
زغردى بشرى اللد والخليل اننا قادمون

....

يا فلسطين باسمك القسم انت ما زلت عندنا الحرم
ها هو الفجر حولنا ابتسم انظرينا نمسح الظلم
قد رفعنا المجد والعلم وركزناهما على القمم

....

انطلقنا من جبال النار واستجبنا لنداء النار
نحن في ساح الوغى اعصار قد أزلنا باللهيب العار
واستردت أرضها الأحرار والتقى بالدار أهل الدار

....

قد محونا بالدم الحدود والبطولات بيننا شهود
امة العرب كلها جنود خافقات فوقها البنود
واستعادت موطن الجدود فلها اليوم وحدها الخلود (١)

....

وهناك قصيدة بعنوان " لبنان " تختلف قافيتها بعد كل عشرة أبيات وهي من أربعين بيتا :

حملت الطيوب أجوب الدروب وناديت هذى طيوب الجبل
فما افق لبنان الا الشذا يحدثني عن بقايا القبل
وأرزته؟ هل عرفت الخلود وهل شاقك الوحي لما نزل
بها كتب الله آى الجمال وخط بها الله شعر الغزل
وفي القمم الشمّ بوح الصباح وفوق السفوح اعضرار الأمل

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان ابي سلمى - ط ١ دار العودة - بيروت ١٩٧٨/٥/١ ص ٣٧٥

على كل دوح يحوم الغمام	وفي كل واد يذوب العسل
ترى السحر في كل درب يموج	كأن على الدرب سحر المقل
ومن ذا يفرق بين تهادى	الصبايا هناك ودرج الحجل
ويستيقظ الفجر فوق الروابي	ويهدى الى كل قلب شعل
ويغفو الزمان على راحتيه	ويهتف " لبنان " أنت الأزل (١)

....

المعجم الشعري :

الشعر تعبير عن الحياة بخيرها وشرها ، وتصوير للنفس الانسانية بفضائلها ورذائلها وقيمها وجمالها . فلا بد أن ينعكس كل ذلك على الفاظه التي ليست الا أدوات يبرز بها الشاعر عواطفه وخواطره . ولكن اللغة كما يقول (ت. س. اليوت) في تغير دائم ، تنمو في مفرداتها وفي تراكيبها وفي نطقها وفي نغمتها الموسيقية " [٢].

والمفردات اللغوية في الشعر لا تختلف من عصر الى عصر فحسب بل هي كذلك تكاد تختلف من شاعر الى شاعر من أبناء الجيل الواحد[٣]. وهذا الاختلاف في نظرنا تميز لا يعود الى اللغة نفسها كما يمكن أن نفهم من كلمات " اليوت " السابقة بقدر ما يعود الى الشاعر نفسه أو الشعراء أنفسهم الذين يعرفون كيف يتعاملون مع هذه اللغة باحساس أصيل نابع من روح العصر . ومن صميم ايقاعه المتجدد . ذلك .. " أن لكل عصر همومه ومشاكله وقضاياه ، والانسان مطالب في كل عصر بأن يواجه الحياة بما يلائمها من سلوك . ومن خلال هذه المواجهة تترسب قيم العصر وتتبلور مثله[٤]" .

وشعر أبي سلمى مثله مثل الشعر العربي والفلسطيني المعاصر لا يكاد يخرج عن هذه الصورة ، فكما أنه معاصر في معظم نماذجه ، كما تقدم فهو معاصر من خلال مفرداته اللغوية .

(١) عبدالكريم الكرمي - ابوسلمى - ديوان ابي سلمى - ط ١ دار العودة - بيروت ١٩٧٨/٥/١ ص ٢٥٣ - ٢٥٥

(٢) د. محمد النويهي - قضية الشعر الجديد - دار الفكر بيروت ط ٢ ١٩٧١ ص ٢٥

(٣) د. عزالدين اسماعيل - الشعر العربي المعاصر - قضاياه الفنية والمعنوية دار الكاتب العربي - القاهرة - ط ١ ١٩٦٧ ص ١٧٥

(٤) المرجع السابق ص ١٧٥

كذلك ، فقد تأثر أبو سلمى "كغيره من الشعراء الفلسطينيين " أ ـ
أولا بالمعجم الشعري لدى الاحيائيين [١] من أمثال شوقي ونظرائه ثم امتد التأثير ثانيا الى المدرسة الرومانسية ، كما افاد من التراكيب اللغوية الجديدة التي تمت عن طريق الاتصال الفكري والثقافي بين فلسطين والأقطار الشقيقة المجاورة [٢] ، وحسبنا أن نشير الى الأواصر المتينة التي ربطت بين أبي سلمى وأدباء وشعراء البلاد العربية كالمازني والعقاد وزكي مبارك وعزيز أباظه وبدوي الجبل وغيرهم فقد كان لهذا أثره وفائدته .

واذا ما أردنا البحث في معجم أبي سلمى ، فاننا سوف نجد أنه يمتلك معجمه الخاص القريب من معجم الكلاسيكيين الجدد ـ والمحتوى ـ أيضا ـ على قدر غير قليل من ألفاظ الرومانسيين ، ولعل احتفاظ أبي سلمى بهذا المعجم المشترك يعود الى نفس السبب الذي جعله لا يغرق في رومانسيته ـ ليظل كما يشاء ـ قريبا من الجماهير ، قادرا على التعبير عن أحلامها ، في نفس الوقت الذي لم يغرق في كلاسيكيته ليكون قريبا من عصره يعيش مع قضاياه .

وهذا جزء من قصيدة " نسيم الشمال " :

الزهر لا يرسل أنفاسه حتى تحييه فتاة الشمال
والياسمين الغض يا ويحه مال على شباكها واستطال
يريد أن يسرق من طيبها يا سارق الطيب حذار الوبال
والقلب قلبي لم ينم لحظة وقلبها في نومه لا يزال
قومي أطلي فالورى باهت ينظر النور ويرجو النوال
ما العمر لولا الحب الا صدى ما العمر لولا الحب الا خيال (٣)

(١) د . كامل السوافيري ـ الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر ـ مكتبة الانجلو المصرية ـ القاهرة ـ ط ١ ١٩٧٣ ص ١٦٣ ـ ١٦٤

(٢) المرجع السابق ص ٩٤

(٣) عبد الكريم الكرمي ـ ابو سلمى ـ ديوان أبي سلمى ـ دار العودة ـ بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص ١٠٠ ـ ١٠١

الزهر يرسل أنفاسه ، والياسمين الفضيا ويحه ، ويريد أن يسرق من طيبها وقلبها في نومه ما استطال ، والورى باعت ، وما العمر لولا الحب الاعيال : هي ألفاظ وتراكيب منحدرة من معجم الرومانسيين وتمثل الوجه الثاني من شعر أبي سلمى •

أما الوجه الاول من شعره فيتمثل في هذا الجزء من قصيدة " يا فلسطين ":

ايه فلسطين اغضبي وتحرري — ضاعت حقوقك بين قال وقيلا

مدى القلوب على الظبى وتبسمي — تجدى على تلك الحدود فلولا

أمهلت ظالمك العتلّ وما درى — أن التهامس يستحيل طيلا

ايه فلسطين المجاهدة اثبتي — فالظلم مرتعه يكون وبيلا

ها هم بنوك لووا أعنّات الردى — وأتوك لا يرضون عنك بديلا (١)

فضياع الحقوق بين قال وقيلا ، وامهال الظالم العتل ، والتهامس يستحيل طيلا ولي أعنات الردى ، هذه جميعا تراكيب معاصرة مرتبطة بمعجم الكلاسيكيين الجدد أمثال شوقي وحافظ ومتجاوزة لهما وان كنا نجد أن أبا سلمى قد بعث في هذه التراكيب شحنات تعبيرية جديدة بعثت فيها معنى جديدا ومن ثم تظل اللغة قادرة على تحمل الجديد من المواقف والظروف الحياتية •

تلك هو معجم أبي سلمى المشترك فيه من نفحات أول القرن ومن نفحات منتصف القرن والشاعر يميل الى استعمال افكار جديدة في صياغة جديدة وأفكار مستوحاة من روح العصر مثل :

ضحايا الظلم ، زعماء دنسوا تاريخكم ، دول تحسبها شرقية ، فاذا أمعنت فالحاكم غربي ، دول كالدمى ، لا تسألي المستعمرين ، يا أيها الشعب النبيل ، قرر مصيرك ، فجر الشعوب • فجميعها أفكار وعبارات مستوحاة من روح العصر والبيئة •

وعلى الرغم من أن أبا سلمى قد استعمل اللغة الرومانسية وقاموسها المتعارف عليه في عدد غير قليل من قصائده وخاصة في شعره العاطفي الا أنه

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان ابي سلمى - دار العودة - بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص ١٧

يمزج هذه الرومانسية بلغة كلاسيكية رصينة ولكنها رقيقة وكما تقدم فهو يمزج صور الطبيعة بمشاهد النضال وملامح الحبيب بملامح الوطن بلغة جارحة أحيانا مشرقة أحيانا أخرى. وهو على الرغم من خياله المجنح في الكثير من قصائده الغزلية الا أنه مع ذلك يقف على أرض الواقع .

وهو يستخدم في قاموسه الأسماء المنسوبة :

عرائس الليل ، شعرك العبقري ، مشعل الوحي ، موكب الفجر ، صهوات الفرسان ، بنفسجة المرج ، رفاق التاريخ ، جناح الأعاصير ، عذارى الخلد ، الخطى الداميات ، النجوم الزهر ، دماء الثائرين ، ليالي اللقا ، دمع الطهارة ... الخ .

وهذه الأسماء المنسوبة تقوم بمهمة تركيزية ايحائية فهي توحي بظلال كثيرة يمكن أن تغني عن تفاصيل كثيرة . فمثلا نجد كلمة : الخطى الداميات ، تجسم كفاح الشعب عبر العصور المتتالية ، وكذلك كلمة جناح الأعاصير تجسم عالم النضال بكل ما فيه من عناء ومعاناة وثورة وبهذا تتركز فيها شحنات عاطفية وايجابية تتيح لها القيام بالتصوير السريع الذي يمتاز بالبساطة والايجاز فتمنحها بعدا ايحائيا .(١)

وتسيطر على قاموس أبي سلمى الرومانسي الفاظ الطبيعة يزين بها لوحات خيالية مثل : الضياء ، السنى ، الشعاع ، الشذا ، الطيب ، العبق ، العبير ، الزنبق ، الياسمين ، السوسن ، الأقاحي ، النسيم ، الفجر ، الغسق ، الشاطئ ، السفح ، المنحنى ، الوهاد ، التلال ، المروج .

وهو في حبه الشديد للاطفال يقلد لغتهم الجميلة ناسيا وقار شخصيته الجبارة المتعالية على الحكام . يقول في أغنية " قطعي " :

حا نوى أن تغضبي

مياو . مياو . مياو . مياو . مياو (٢)

---

(١) فيكتور الكيك ـ أسعد علي ـ صناعة الكتابة ـ بيروت ـ ط ٣ ١٩٧٧ ص٢١٧ ـ ٢٥٤

(٢) عبدالكريم الكرمي ـ ابو سلمى ـ ديوان ابي سلمى ـ دار العودة ـ بيروت ـ ط ١ ١٩٧٨ ص ١٣٢

وكما في قصيدة " لو كنت عصفورا "

لو كنت عصفورا   لطرت في الوادى
والبلبل الشادى   جنبا الى جنب
وعشت مسرورا   لو كنت عصفورا (١)

فهو يبدو وكأنه اختار كلمات الأغنية ليغنيها لنفسه .

الأخيلة والصور :

لا يقتصر الخيال عند أبي سلمى على التشبيهات والمجازات الحسية ، كما نجد - غالبا - في الشعر العربي القديم ، بل نراه يشمل روح القصيدة وخواطرها وينقل الينا تجربة عميقة وشعورا قويا - وهذا ما يجعل القصيدة تتحول الى لوحة فنية رائعة تنتزع القارئ وتنقله الى الجو الذى أراد الشاعر ذلك الجو الذى يسيطر عليه صدق الانفعال وقوة الخيال . وللتدليل على ما تقول نأخذ جزءا من قصيدة " النازحون " :

أيها النازحون ! .. كيف تهاويتم نجوما على غريب البطاح
أين انتم ؟ ! .. ان القلوب تنادى فيحول النداء رجع نواح
الليالي أحنى عليكم من الأمل وأندى من الوجوه الصباح
كل طفل كأنه دمعة الفجر ترامت على محيا الصباح
وفتاة كأنها عبق الزهر تلاشى على ذيول الرماح (٢)

يصور أبو سلمى في هذه الأبيات تربة فلسطين بالفتاة العذراء التي افتضتها يد المجتاح وقد تخضب ترابها بخطايا الأعراض والأرواح ، والنازحين وقد تساقطوا على غريب البطاح والليالى أحنى عليهم من الأمل ، وأندى من الوجوه الوطنية وكل طفل من أطفالهم أشبه بدمعة الفجر التي ترامت على محيا الصباح وكل فتاة أشبه بعبق الزهر الذى تلاشى على ذيول البطاح .

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - اغاني الأطفال - مكتبة أطلس - ط ١ ١٩٦٤ ص ٥٢

(٢) عبد الكريم الكرمي - ابو سلمى - المشرد - دمشق ط ٢ ١٩٦٣ ص ٢٢

وخيال الشاعر ابتكارى لأنه أبدع صورا جديدة لم تكن موجودة من قبل : التراب الخضيب ، شظايا الاعراض والارواح ، تساقط النازحين كالنجوم .... الخ .

ولنتأمل في هذه اللوحة : كيف تناول الشاعر بريشته " لبنان " فاجاد الوصف واحسن التصوير :

حملت الطيوب أجوب الدروب	وناديت : هذى طيوب الجبل
فما افق " لبنان " الا الشذا	يحدثني عن بقايا القبل
وارزنه ؟.. هل عرفت الخلود	وهل شاقك الوحي لمّا نزل
بها كتب الله آى الجمال	وخط بها الله شعر الغزل
وفي القمم الشّم بوح الصباح	وفوق السفوح اخضرار الأمل
على كل دوح يحوم الغمام	وفي كل واد يذوب العسل
ترى السحر في كل درب يموج	كأن على الدّرب سحر المقل
ومن ذا يفرق بين تهادى	الصبايا هناك ودرج الحجل
ويستيقظ الفجر فوق الروابي	ويهدى الى كل قلب شعل
ويغفو الزمان على راحتيه	ويهتف : " لبنان " أنت الازل (١)

وهذا الجزء من القصيدة التي تقع في أربعين بيتا خير شاهد على ما بسطناه فهي تحفل بعناصر عديدة من الجمال .. أظهرها الايجاز .. لا يمكن للتحليل الذى هو نثرى بطبيعته أن يأتي عليها كلها ، مهما تمادى في الشرح لأن طبيعة النثر تأبى التغلغل الى مواضع السحر الكامن فيها .. خلف الرموز والالحان ثم انها رغم احتفالها بعناصر الصياغة لم يغنها التعبير الفاتن . فما وراءها من شعور بالفتون يعادل حرارة الحياة وهو في هذه القطعة ينير نفسه كشمعة أمام معبد كيف لا ؟ وهو يخط بريشته صورة للبنان مهد الاشعاع وموطن الشمم فالشاعر يصف هذه الربوع التي باركتها يد الله وصف المقترن بها العاشق لها .

ولقد كان للخيال أهمية بارزة في شعر أبي سلمى ، ولهذا فنحن حين نحلل قصائده نجد نماذج متنوعة لجميع انواع الخيال الابتكارى بقسميه :

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابوسلمى - ديوان ابي سلمى - دار العودة - بيروت ط ١ ١٩٧٨ ص ٢٥٣

الناقذ الذى يرجع الشاعر بواسطته الى الماضي وحوادث التاريخ ليصور منهـا ما يشاء ، والخالق الذى يخلق به الموضوعات ويصور المشاعر والحالات النفسية ، والخيال التصويرى أو التفسيرى الذى يظهر في الاستعراض والتشبيهات والكنايات .

ويرى بعض النقاد أن الخيال التصويرى المجنح هو أحد عناصر شاعريته (١) فهو يرقى الى السماء ويلتقي بالنجوم والكواكب ، ولقد أدرك ذلك في نفسه فقال :

طليني حتى أحلق في الأفق   وألقي على النجوم المئزر (٢)

وقال :

كيف اخفي الهوى وشعرى جناح   كلما رف بالدموع تعثر (٣)

....

وتنزل النجوم اليه لتصغي الى شعره فينثرها فوق وساده

وتهاوت زهر النجوم لتصغي   فنثرت النجوم فوق وسادى (٤)

....

بل ان صاحبته أيضا تنثر النجوم في الطريق ولذلك قال لها :

فقلت ها لا تنثرى النجوم على   مفترق الدرب أى مفترق (٥)

....

وقال لها :

ما ضحكات العين عند اللقا الا نجوم للمنى فانثرى (٦)

....

ولكن هذا التحليق والتهويم لا بد له من جو عام يبدعه الشاعر تتم له خطوط الصورة وتتميز معالمها من أجل هذا لا بد له من رقى وتمائم ينشدها في جوانب آفاقه حتى تعينه على الارتقاء .. لا تكاد تخلو منها قصيدة في مجموعتيه " المشرد واغنيات بلادى " وحتى تصبح معجما شعريا .. يدل على الشاعر ويكون جزءا من شخصيته الفنية .

(١) ناصر الدين الاسد - الشعر الحديث في فلسطين والاردن - معهد الدراسات العربية - القاهرة - ط ١ ١٩٦٠ ص ٣١٩

(٢) عبدالكريم الكرمي - ابوسلمى - المشرد - دمشق - ط ٢ ١٩٦٣ ص ١٧

(٣) المرجع السابق ص ١٨

(٤) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - اغنيات بلادى - دمشق - ط ١ ١٩٥٩ ص ١٠٠

(٥) المرجع السابق ص ١٩

(٦) المرجع السابق ص ٥٨

وهو في صوره يكثر من ترديد الفاظ الطبيعة مما جعل الدكتور ناصر الدين الأسد يرى أنه من طول التحليق والتهويم فان الشاعر لا يلبث أن يهوي على الارض ويصبح تعبيره نثريا (١) ويدلل على ذلك بهذه الأبيات :

تسائل كيف عرفت النسيب ... وممن تعلمت شعر الغزل

تعلمته من شذا وجنتيك ... اذا ما تفتح زهر الأمل

ومن شفتيك سرقت العبير ... وطعم الصبا والاغاني الأول

وعن مقلتيك قبست السنى ... فرف على السحر سحر المقل

تعلمته من ليالي اللقا ... معطرة برفيف القبل

ألم تعلمي بعد سر النسيب ... وممن تعلمت قالت أجل (٢)

فأين الرقى والتمائم في هذه الأبيات ؟

صحيح أن الشاعر قد دمج الطبيعة في صورة حبيبته وجعلها تتوحد معها ثم خلع عليها مشاعره ... ولكنه كان رقيقا في تعابيره . ومع أنه ظل يحلق في خياله الا أنه ظل مشدودا الى الواقع ، كما نلاحظ في البيت الأخير . كذلك فقد تألفت هذه الأبيات من مقطعات غنائية قصيرة ، ذات الفاظ موسيقية منتقاة فأين النثرية هنا ؟

ومع أن شعره يتميز بالحساسية فقد كان يعبر عن نبضات شعوره بصدق وعلى الرغم من أنه كان ينساق مع أخيلته الرومانسية المجنحة الا أنه كان يفصل ذلك ليجد في هدأة الكون وفوق السدم والنجوم مجالا للانطلاق والتحرر ، وليجد في المظاهر الطبيعية مشاركة وجدانية تلائم شعوره بالاحباط من واقعه فهو ينشد عالما آخر يخلو من احباطات الواقع السيء وقد وجد هذا بعيدا عن الأرض كلها حين ارتفع عليها محاولا السمو في ذلك الكون القصي . بل ويصل هذا السمو بالشاعر الى درجة الاتصال الروحي بالطبيعة والاندماج فيها فيجد الراحة النفسية بعيدا عن الناس . ولكنه لا يلبث أن يفيق من أحلامه ليعود الى

---

(١) ناصر الدين الأسد - الشعر الحديث في فلسطين والاردن - القاهرة - ط ١ ١٩٦٠ ص ٣٢٢

(٢) عبد الكريم الكرمي - ابو سلمى - اغنيات بلادي - دمشق - مطبعة الترقي - ١٩٥٩ ص ٦٥ - ٦٦

واقعه الأرضي . فنحن هنا كما يقول الدكتور محمد قدورة في موطن هذا به أمام رومانسية شرقية روحية قل أن نجد لها مثيلا في رومانسية الغربيين الذين لم تصل اليهم من رومانسية الشرق غير أقباس لا تخفي عن البؤرة الأصيلة التي انبعثت منها في الشرق كافة الديانات (١).

وصور أبي سلمى في قصائده الوجدانية تجمع بين الناحية الوجدانية وبين فنه في الوصف والتصوير ، ففي قصيدة " ما لبنان لولاها " تراه يصف ذكرياته العذبة مع فتاته وصف من اندمج فيها بكل جوارحه وكيانه فيصور الطبيعة على أنها جزء من الحبيبة ونحن نجد في هذه الصورة نموذجا صادقا لرومانسية الخيال والعاطفة ، وهو يستعرض أمامنا نوع الحياة الجميلة الحافلة بالسرور والمتعة الحسية والنفسية ، فمنذ وطئت قدما فتاته أرض لبنان ماجت لها رياضه وسهوله ونجوده وجباله وأنهاره ووديانه وكل مظاهر الطبيعة فيه وانحنت لها تحية اكبار وخشوع ، وينصب الشاعر مع خياله بصور الطبيعة على أنها جزء من محبوبته تحس باحساسها وتشعر بشعورها ، بل ان نفس الحبيبة ضوع الاجواء برائحته الذكية وانتشر اريجه في كل مكان .

وكما صورت له عاطفته القوية أن يجد حسن لبنان وسحره في حسن حبيبته وسحرها فقد جعل شجر الوادي يهش لمرآها ويفرح بلقائها ، وليس هذا فحسب بل استمد نسيم الصبح من طيبها وعطرها ما جعله يبدو منتشيا مدلاً بنفسه ، وحينما دنت من السفح بدت الأزهار وقد ازينت بأبهى الحلل وأجمل الزينة ، وحين لمحت الأطيار طيف الحبيبة صفقت لها وشدت بأعذب الالحان .

والشاعر هنا يصور فتاته تصويرا دقيقا مع مراعاة الاستدلال بكل مظهر من مظاهر الجمال على ناحية معنوية يجدها عند محبوبته مما يثبت لها الطهر والعفاف ويرقى بها نحو عالم ملائكي .

فهذه الصورة من الغزل ، على نحو جديد لم نألفه عند زميليه : ابراهيم طوقان وعبدالرحيم محمود ، فالشاعر هنا حين يصور الجمال تدفعه الى ذلك عاطفة قوية دون أن يربط نفسه بتشبيهات تقليدية وصور قديمة مكررة ،

(١) د. محمد قدوره - محاضرات عن خليل مطران - القاهرة - ط ١ ١٩٥٤ ص ١٢ - ١٤

وذلك لأنه يلجأ الى احساسه ليستمد منه قوة الوصف والى فكره ليستعين به على التصوير الدقيق ، وهو الى جانب ذلك يعجب بالجمال الحسي ولكن لينفذ من خلاله الى ما هو أسمى ، فهو يبحث عما وراء هذا المظهر من جوهر سليم .

فالشاعر لا يتغزل بحسنها وشعرها وشذاها الا لما وجده فيها من أخلاق باهرة ولا تفتنه شفاهها الا لما رف عليها من روح طاهرة ، ولا يرى في حسن القوام الا براءة الطفولة ، فالجمال الذي يبحث عنه هو كل ما يصور الصفاء والعفاف والطهر ، ولذلك كان حب أبي سلمى لها حبا تسمو به العاطفة على الغريزة .

دنيا الهوى والأماني كيف أنساها والحسن أبدعها والشعر وشاها
في جوها نفس الحسناء منتشر وأفقها فيه لو تدرون سيماها (١)

ويتحدث في قصيدة " ليلة على الشاطئ " عن ذكرى لقاء تم بينه وبين فتاته على رمال الشاطئ مستعملا الوصف التحليلي والتصوير الدقيق ، فهو يصف الموقف ، ويتمثل الحالة ويصور الحركات والسكنات ، ويعرض المشاعر والانفعالات ويلائم بين العواطف والجو بصورة عامة فتبرز لنا من كل ذلك لوحة كبيرة جميلة يلونها الشاعر بالظلال والالوان التي تناسب البيئة الطبيعية التي يلتقط منها هذا المشهد . والحالة النفسية التي تلامس الشخصيات وتستلزمها الحوادث ، فهو بعد المقدمة التي يعبر فيها عن استعذابه العذاب والهجر ويبين مدى ما يعتمل في قلبه من الشوق لمرأى الحبيبة ، ينتقل الشاعر الى وصف ليلة لها ذكرى جميلة في نفسه حيث يصف التقاءه بفتاته وحيدين وكان لقاء مثيرا وعذبا جميلا ، ويغرب الشاعر في الخيال فيصف لنا كيف أن رمال الشاطئ تتحول الى شيء لا كالرمال بمجرد أن لامست قدماها هذه الرمال وربما كان هذا الشيء الذى تحولت اليه كان أصفى جوهرا من التراب لأنه مستمد من عنصر الحبيبة وجوهرها الفرد بحيث يمكن القول اننا نستشف في هذه القصيدة ما يصح أن نسميه بالحلول الشعرى . فالحبيبة قد حلت بالطبيعة فاستحالت الطبيعة الى عنصر من

---

(١) يرجع الى صفحة ٩٢ - ٩٣ من رسالة الباحث .

عناصر الحبيبة • وهذه خاصية تتميز بها صور أبي سلمى المركبة حيث تمتزج شخصيته بالطبيعة وتبادلها المعاني والاحاسيس ، وكأن الطبيعة عنده كائن حي يتمتع بخصائص البشر من خوالج وأحاسيس ، بل ان الشاعر يخلق في كائنات الطبيعة أرواحا يناجيها ويبادلها العطف والشعور • انظر اليه وهو ينتقل بخياله الى البحر فيناجيه ويبادله المشاعر والاحاسيس ، انه يصور حركات امواج البحر وأنين مياهه فيما يشبه العتاب والشكوى ، وكأن الشاعر يجد أن الداء الذى يشكو منه وهو داء الحب قد وحد ما بينه وبين البحر فيجمل عبارات العزاء للبحر بقوله : " انهما ليسا أول محبين يشكوان الهجر والحب " •

وهكذا فمن خلال نظرته الشاملة للكون تتبدى صوره في مشاركة الطبيعة ، هذه المشاركة الوجدانية التي لاحظناها في هذه القصيدة حيث يعبر أبو سلمى فيها عن الحب الرومانسي الشامل الذى يجمع بينه وبين الكائنات في الطبيعة(١) بما يشبه الاتصال الروحي والمعاني الصوفية •

يا ليلة ضل الرقيب بها وقد	خفقت ذوائبها على الأحباب
يسرى النسيم مضمخا أردانه	بالحب مرتميا على الأعتاب
متعطرا بالطل عند رحابها	متعثرا بالدمع عند رحاب
وترى النجوم مطلة وعيونها	خوف الفراق ندية الأهداب
والبدر محزون يحقق حزنها	فيميل مختفيا وراء سحاب
وقفت على صدر الرمال كأنها	خلق الصباح مزمل بثياب
يا رمل كنت من التراب وحينما	وقفت عليك غدوت غير تراب
ورأت عباب البحر يشكو حبها	فرمته من آمالها بحباب
يا بحر لا ترسل أنينك انها	فعلت بنا ما لم يكن بحساب
هون عليك فلست أول عاشق	بث الهوى وشكا الى الأصحاب (٢)

---

(١) د • محمد غنيمي هلال - الرومانتيكية - القاهرة - ط ١ ١٩٥٦ ص ١٥١

(٢) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - جريدة فلسطين - يافا - عدد ١٩٣٥/٦/٢٣•

ولم يقف اتقان أبي سلمى لفن الشعر التصويري عند هذا الحد ، بل دفعه ذلك الى أن ينحو بشعر الرثاء نحوا يخرج على ما هو معهود في باب الرثاء في الشعر العربي القديم والحديث فهو في رثاء الأحرار والوطنيين الذين قدموا تضحيات وطنية ، وكانت لهم وقفات صلبة من المستعمرين وعملائه يتناول المرثي من خلال أعماله التي قدمها لوطنه وشعبه ويفتخر بوقفاته الصلبة المشرقة ، ثم ينفذ من خلال هذه المقدمة من مجال الرثاء الى مجال السياسة والوطنية في محاولة للمزج بين آلام الأمة بفقد أبنائها الأحرار ، وبين القضايا الوطنية والالام النفسية العامة . وهي صور مكتملة وان تألفت من صور جزئية غير متشابهة الافكار ، الا أنها تنتهي الى أصل عاطفي واحد صحيح ، ذلك لأن التداعي لا يعتمد على ما بين الافكار من تشابه اعتماده على ما بين حالات الشعور من تجاوب وتناظر(١)

ويظهر وينطبق هذا اللون على قصائده في رثاء : صبري العسلي ، عزيز أباظه وعمر فاخوري أما في قصيدة " رجاء " فالصورة التي يستخدمها عضوية يتعاون على رسمها الشكل والمضمون ويتوافر فيها مع الصدق ، جمال التصوير وكماله فتقوم الصور الجزئية بتأدية وظيفتها في داخل نطاق هذه الوحدة .

يستهل الشاعر القصيدة بوصف الموقف الشعوري الذي يعالجه وهو يرثي الشهيدة ذات الخمسة عشر ربيعا التي ثوت على سفح أريحا بجانب خيمة باكية والشاعر هنا يحسن اختيار المواقف النفسية النابعة من شعوره الداخلي وينتقي لها الالفاظ الموحية والمعبرة والمؤثرة ، وسّد جثمانها الثرى وسرعان ما لفه النسيان . كما لف النسيان بلادها فلسطين وقد حنا الليل عليها فألقى عليها غلالة من هدوئه وسكونه وأسراره ، كما حنا عليها القبر فلفها بهدوئه وسكونه وسره ، ولم تجد الأنيس المؤاسي سوى النجوم التي تضيء ظلمة الليل من حولها ، ولكن قلب فلسطين كان اكبر في حبه وحنانه من كل قلب ، وتضم هذه الأم الرؤوم الى صدرها قلبين تمنحهما الحنان والسلام اللذين افتقداهما على ظهر الأرض ، هذان القلبان اللذان وسدا صدر الأم الحنون " فلسطين "

---

(١) د . مصطفى ناصف ـ الصورة الأدبية ـ مكتبة مصر ـ القاهرة ـ ط ١ ١٩٥٨ ص ٣٧

هما قلب رجاء ، وقلب الكفاح الفلسطيني ممثلا بالشهداء الخالدين • ومع أن الدماء ما زالت تنزف من هذين القلبين كناية عن استمرارية البذل والعطاء ، الا أن هذه القطرات في نزيفها المستمر تطهر الوطن ويرتفع نورها ليضيء قلوب الشعب •

وينتقل في المقطع الثاني من القصيدة الى تجسيد عناصر الطبيعة بحيث نلمس قوة الفن المركب في عصر أبي سلمى الذى يمزج بين الغرض الوجداني والقصصي والغرض الوصفي وتشخيص الطبيعة وتجسيم مشاهدها ، كما يجمع بين وحدة الموضوع وتسلسل الخواطر وقوة الفكر وسمو الخيال مما يعد جديدا على الشعر الفلسطيني والشعر العربي الحديث والمعاصر ، فيجعل روح " رجاء " تناجي شاطيء يافا الذى لم ينسها كما نسيها الأهل ، بل كان وفيا حافظا للجميل ، ويفتقدها البحر ويجهش الموج بالبكاء وتهيج به عواصف الشوق ، وأخذ الشاطيء يسأل عنها فلا يجيبه الا رجع الصدى والهواء ••• ويختتم الشاعر القصيدة بأن يمزج بين الماديات والمعنويات حينما يجعل روحها تهوي على شكل نجم صغير ••• هوى على الأرض التي رويت بدماء الابرياء •

وهو يؤكد في هذه الصورة على أن دماء الشهداء هي مشاعل تضيء طريق الشعب ، وتنير قلوبه وتطهر أرض الوطن ، وهي معان جديدة وسامية ، ويعمد الشاعر في هذه القصيدة كما في القصائد السابقة الى اشراك الطبيعة احساساته في جميع مظاهرها وتكشف هذه الصور عن ثقافة الشاعر الواسعة وتجاربه الصادقة وعمق نظرته الى الحياة والخلق والطبيعة والحب•

١- منسية مثل بلادي رجاء	مرت كما مر شعاع الضياء
أغفت على سفح أريحا ولا	من أدمع الا دموع السماء
ولفها الليل برفق وما	من مؤنس الا النجوم الوضاء
لما جفاها كل قلب حنا	قلب فلسطين كما الحب شاء
وضمها بل ضم تاريخه	قلبان ظلا ينزفان الدماء
يا قطرات طهرت موطننا	يا مشعلا قلوب شعبي أضاء

•••••••••••••••

٢ـ لم ينسها شاطئ يافا فقد ... كانت تناجيه انا الليل جاء
وكلما سارت وأترابها ... شوقا على تلك الرمال الظماء
مال على أمواجه هامسا ... قد درجت فوق الرمال الظباء
والتفت البحر ولم يلقها ... ذات مساء .. أين غابت رجاء ؟ !
وأجهش الموج وهاجت به ... عواصف الشوق ولا من لقاء
ويسأل الشاطئ عنها فلا ... يجيبه الا الصدى والهواء

....

٣ ـ ما حملت رجاء يوم النوى ... الا شظايا روحها والدماء
مدت القدس جناح الهدى ... على جناح القدس كانت رجاء
ثم هوت نجما صغيرا على ... أرض ترووت بدماء الأبرياء (١)

....

تلك كانت مقدرة أبي سلمى الفنية في الأخيلة والصور الشعرية فهو لا يفوته أن يشخص الجماد والاشياء فيجعلها حية تدرك كل ما حولها من حركة ويصور المشاعر والحوادث والمفاجآت ويصف الناس والشخصيات ملونا صورهم بشتى الانفعالات والحالات النفسية التي تتملكهم .كل ذلك في وحدة شاملة مترابطة تجمع بين أجزاء القصيدة كلها وتوحد بين أقسامها حيث تسلسل الافكار والترتيب المنطقي للخواطر ولهذا ، برع أبو سلمى في هذا اللون من التصوير والاخيلة على شكل يميزه عن غيره من الشعراء الفلسطينيين والعرب.

وأعتقد أنه وان كان يكثر من تزيين أخيلته المجنحة بباقات من مظاهر الطبيعة المختلفة والالوان والظلال والطيب والعطور مما جعل الدكتور ناصر الدين الاسد يتمنى لو قلل الشاعر من ترديدها حتى لا تلاحق الحس وتجنح الخيال وتخدر الرقى (٢)، ففي رأيي أن ما يشفع له في خياله المجنح أنه كواحد من المتأثرين بالرومانسية يلجأ الى الطبيعة يبثها آلامه وخوالج ذاته فتشاركه مشاركة وجدانية وتستجيب له بمناظرها التي تلائم احساساته واحواله ، فتعطي صوره فنا جميلا مركبا ، الا أننا في الوقت نفسه نقر الدكتور الاسد على أن كثرة ترديد عبارات وألفاظ الطيب والعطور والزهر والورد قد ترهق الحس وتكد الذهن ولكن الشاعر قد أحسن الملاءمة بين الألفاظ والعبارات التي جاءت في قصائده

---

(١) عبدالكريم الكرمي ـ ابوسلمى ـ المشرد ـ دمشق ـ ط ٢ ٢٩٦٣ ص ٩٢ ـ ٩٤

(٢) د . ناصر الدين الأسد ـ الشعر الحديث في فلسطين والاردن ـ معهد الدراسات العربية ـ القاهرة ـ ط ١ ١٩٦٠ ص ٣٢٠

أبو سلمى ناشـــرا

علاقتـه بالكلمـــة :

تبدأ علاقة أبي سلمى بالكلمة منذ عام ١٩٢٦ حينما نشرت له قصيدة فـــي مجلة الميزان الدمشقية التي كان يصدرها أخوه أحمد شاكر الكرمي وهي مترجمـــة عن قصيدة " اذكريني " للشاعر الفرنسي " الفريد د يموسيه " وكان أبو سلـــمى وقتها طالبا في مدرسة التجهيز " مكتب عنـبر " بدمشق وتوالي بعد ذلك نشـــر قصائده في مجلة الزهراء القاهرية التي كان يصدرها محب الدين الخطيب فـــي مجلة المعرض البيروتية لصاحبها ميشال زكور ثم في مجلة الرسالة القاهريـــة لصاحبها أحمد حسن الزيـات .

أما نشاط أبي سلمى في الصحف الفلسطينية فقد بدأ في الثلاثينات حيـــث كان يحرر الصفحة الأدبية في جريدة فلسطين اليافية لصاحبيها عيسى العيســـى ويوسف العيسى وكان يشاركه تحريرها صديقه الشاعر ابراهيم طوقان ، كما كـــان يكتب في زاوية أزهار وأشواك في جريدة الدفاع اليافية لصاحبها ابراهيم الشنطي ، وكان عضوا في عصبة القلم الفلسطينية التي كانت تضم : عارف العزونـــــي ، رئيف الخوري ، حنا سويداء ، رجا الحوراني ، خليل البديري ومحمود سيف الديـــن الايراني ، وقد دأبت هذه الجماعة على اصدار صفحة أدبية خاصة في احدى الصحـف الفلسطينية بأقلام اعضاء عصبـة القلم . ومن الصحف الفلسطينية التي نشـــرت له مقالات أو قصائد : جريدة صوت الشعب البيتلحمية لصاحبها عيسى البنـــدك ، ومجلة مرآة الشرق لصاحبها بولس شحاده وكانت تصدر في بيت المقدس .

وكان أبو سلمى ينشر قصائده ومقالاته في هذه الصحف باسمه الحقيقـــــي تارة وباسمه المستعار " ابو سلمى " أو بأسماء أخرى يتستر وراءها مثـــــل : ذو الخـال ، أحـد الناس ، وابن قيس(١) .

أما في مرحلة ما بعد النكبة فقد تولى الاشراف على الصفحة الأدبيـــــة في مجلة المضحك المبكي بدمشق لصاحبها حبيب كحالة وكان يذيل توقيعه باســـمه

---

(١) عصام العباسي ـ جريدة الاتحاد ـ حيفا ـ ليال مع أوراق أبي سلـــمى عـدد ٣ نيسان ١٩٧٤ .

الحقيقي أو بأسماء مستعارة وكان ذلك في الستينات كما أسهم أبو سلمى بمقالاته وقصائده في المجلات العربية والسورية كمجلة المعرفة السورية ومجلة الهلال المصرية ، ومجلة العربي الكويتية ومجلة المجمع العلمي العربي بدمشق وجريدة القبس الدمشقية ومجلة الثقافة الجزائرية .

كان أبو سلمى شاعرا مبدعا وكاتبا بارعا . ولئن كان أبرز آثاره هو شعره فان هناك صورا قلمية بارعة وفق فيها قلم أبي سلمى أيما توفيق وقد صورت هذه الآثار القلمية في الصحف أو القيت في المحاضرات والندوات أو المؤتمرات الأدبية .

وهكذا ، فكما حمله جناحاه القويان بعيدا في آفاق الشعر ، حملته خطاه الثابتة في ميادين النثر . كان شاعرا وكان كاتبا ثم شاء أن يقف بين الشعراء والكتاب يرفع بيده المخلصة الجريئة ميزان النقد الأدبي يزن به نتاجهم ويحكم له أو عليه كما شاء أن يقف من قضايا مجتمعة موقف من يرى الخلل ويلمسه فيدعو الى اصلاحه وينوه بكل عمل حسن ويدعو الى تشجيعه ولقد كان أبو سلمى ناقدا اجتماعيا كما كان ناقدا أدبيا فقد عالج عددا من الموضوعات الاجتماعية داخلية وخارجية بآراء ناضجة ولهجة صادقة نابعة عن ايمان مخلص للمثل الانسانية العليا .

أبو سلمى ناقدا

كأي ناقد تام الأداة ، كان لأبي سلمى في النقد آراء متلاحمة ، منبعثة عن ايمانه بمفاهيم عامة عن الشعر والشاعر والأدب والأديب .

ويرى الدكتور هاشم ياغي ، أن أبا سلمى ، كان أحد الشعراء الذين شاركوا في حركة النقد الأدبي في فلسطين قبل النكبة ، وممن يمكن أن ينضووا تحت لواء الرومانسية (١) . وفي رأيي انه يجنح في نقده نحو التيار الرومانسي الايجابي الذي انتهى به الى حدود المدرسة الواقعية .

---

(١) د . هاشم ياغي - حركة النقد الأدبي الحديث في فلسطين - معهد الدراسات والبحوث العربية - القاهرة - ط ١ ١٩٧٣ ص ٤٩

ولعل من ابرز اعماله النقدية خلال هذه المرحلة : دراسته لشعر شوقي ، وتجمع هذه الدراسة بين النقد التفسيرى ، والدراسة الجمالية والأدبية ، وانا راجعنا معظم المقالات والدراسات والقصائد التي كتبت أو ألقيت عن شوقي خلال هذه الفترة ، سواء في فلسطين أو في البلاد العربية الأخرى ، وجدناها حافلة بالمدح والتقريظ " فقد بلغ من بعضهم وهو أستاذ كبير في مصر ، أن قال :: ان اللغات بأسرها تعجز عن وفائه حقه ، فانا أردنا أن نرثيه فيجب ان نخترع لغة جديدة وبيانا جديدا لعلنا نستطيع أن نفيه حقه ، وهيهات أن نستطيع ذلك "(١) فانا عرفنا هذا ، أدركنا أن موقف أبي سلمى في هذه الدراسة كان دقيقا وحرجا .

والواقع أن اعجاب أدباء وشعراء فلسطين بشوقي قد فاق اعجابهم بأى شاعر آخر في الوطن العربي . يدل على ونلك ، وفرة ما كتب عنه ، ووفرة عدد الشعراء من أبناء فلسطين الذين رثوه بقصائدهم (٢). وقد قام الشاعر والأديب المحقق محمد خورشيد العدناني بجمع وترتيب هذه المقالات والمحاضرات والقصائد التي كتبت وألقيت عن شوقي في كتاب بعنوان " أمير الشعراء شوقي بين العاطفة والتاريخ " .

وقد ألقى أبو سلمى هذه الدراسة في محاضرة في النادى الثقافي العربي بالقدس عام ١٩٣٢ وهي واحدة من المحاضرات والندوات التي نظمتها لجنة احياء ذكرى شوقي في مدن بيت المقدس ، ونابلس وحيفا بمناسبة ذكرى الأربعين لوفاته (٣).

يعرض أبو سلمى للناحية الاسلامية ، والحياة والطبيعة والمرأة فيرى في شعر شوقي الاسلامي ، أنه كان ذا أثر بارز في تبوئه هذا المركز الفخم بين شعراء العصر الحديث . ويتحدث عن الاسلامية في شعر شوقي فيقول : "لعلنا لا نبالغ اذا قلنا ان الاسلامية هي التي أخذت بيد شوقي وكانت له أكبر

---

(١) د . عبدالرحمن ياغي - حياة الأدب الفلسطيني الحديث - المكتبة التجارية للطباعة والنشر - بيروت ط ١ ١٩٦٨ ص ٥٤٢

(٢) د . كامل السوافيرى - الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر - مكتبة الانجلو المصرية ط ١٩٧٣ ص ١٣٥

(٣) محمد خورشيد العدناني - امير الشعراء - شوقي بين العاطفة والتاريخ مطبعة بيت المقدس - ط ١ - ١٩٣٢ ص ١٦٤

عون على تبوء هذا المركز الفخم ، ولا أعني بقولي هذا ، أن الروح الاسلامي وحده هو الذى ناوله اللواء بل ان الأدب الاسلامي الذى يشرق في شعره فتن القلوب وسحر الألباب وأنجده وأيده فلا عجب ، اذا التفاته الى "غالق الحرب" محمد بن عبدالله قائلا :

أشرق النور في العوالم لما بشرتها بأحمد الأنبياء

ومرددنا

بك بشر الله السماء فزينت وتضوعت مسكا بك الغبراء

واذا أراد أحد زيادة في معرفة الاسلام قال :

ولا أزيدك بالاسلام معرفة كل المروءة في الاسلام والحب

وشوقي لا يكتفي بالموضوعات الاسلامية ، بل تستهوى نفسك هذه اللمحات والحوادث الاسلامية المنبعثة في أرجاء شعره تكلمك من بين السطور والملك الاسلامي يكاد يشارك فتلمس جلاله وترى جماله " (١) .

أما الحياة في شعر شوقي ، فمن وجهة نظر أبي سلمى أن الشاعر رسول يؤدى رسالته كما أوحيت اليه ويطابعها الناس ثم يطويه الزمان ، وتبقى رسالته كما هي خالدة أبدا " .

ولو كان شوقي في موضع حافظ ورأى الجانب الأسود من الحياة لكان للبؤس ألحان خالدة ، وللدمع بيان ناطق في كل زمان ومكان ، لأن الشاعرية وحدها لا تكفي لتصوير ألم الغير ، كما أن الألم لا يكفي لخلق الشاعرية(٢).. "

ونلاحظ في هذه الفقرة ، أن أبا سلمى قد تنبه الى الخيوط الاجتماعية التي كانت تقيم الفرق بين حافظ وشوقي ، فهو في هذه اللمحة الذكية والرؤية الواقعية ، انما يعطي تحليلا دقيقا لأثر البيئة والظروف في التكوين النفسي والاجتماعي للشاعر .

---

(١) محمد خورشيد العدناني - امير الشعراء - شوقي بين العاطفة والتاريخ مطبعة بيت المقدس - ط ١ ١٩٣٢ ص ١٦٥

(٢) المرجع السابق ص ١٦٩

ففي حين كان شوقي ابن بيئة غنية مترفة ، فقد نشأ حافظ ابراهيم يتيما فقيرا . لذا كان من الطبيعي أن يجيء شعر الحياة عند كلا الشاعرين انعكاسا لواقع بيئة وظروف كل منهما .

ويرى أبو سلمى في شعر الطبيعة عند شوقي أنه يمثل قوة احساس الشاعر بجمال الطبيعة ، وصدق عاطفته لها حيث اجتلى من وجه الطبيعة قسمات الجمال يتخير منها ماء الحسن فقال في لبنان :

لبنان والخلد اختراع الله لم   يرسم بأزين منهما ملكوته
ملك الهضاب الشم سلطان الربا   هام السحاب عروشه وتخوته

ويصف ربوعه وربوته والتين والتوت فيه فيقول [1]:

وكأن أيام الشباب ربوعه   وكأن أحلام الكعاب بيوته
وكأن اثداء الفوائد تينه   وكأن أقراط الولائد توته

أما ما نهب اليه شوقي في كلامه عن المرأة ، فلعله كما يقول الدكتور هاشم ياغي من أبرز مآخذ أبي سلمى على شوقي [2] .

يعرض أبو سلمى لهذا الجانب من الشعر فيقول : " ان نظرة شوقي للمرأة كانت نظرة انسان عادى فقط ، يراها فيتعجب كيف أن هذا الجمال مبرقع ، وجمال الطبيعة سافر ، ثم ترده التقاليد ، وتستبد به فيقف في موقف التلميح ، والايحاء فهو قلق متحير بين عاطفته الفنية وتقاليده .

لم تملأ المرأة أرجاء قلب شوقي ، بل أكاد أقول ، ولا ناحية فيه لم يساجلها الرياء والصدق والنبل واللؤم ، لم تعمر قلبه فينقلنا الى عالم النعيم ، ولم تحطمه فيهوي بنا الى الجحيم ، ولم تلعب أناملها الرقيقة بأوتار قلبه فيحن حنينا ، ولم تعصف فيئن أنينا . الى أن يقول " وقد يتكلم شوقي عن المرأة - وهذا نادر - ولكنه يتكلم بلسان شعراء الماضي ، وعجيب

---

(١) محمد خورشيد العدناني - اميرالشعراء - شوقي بين العاطفة والتاريخ مطبعة بيت المقدس - ط ١ ١٩٣٢ ص ١٧٨

(٢) د . هاشم ياغي - حركة النقد الأدبي الحديث في فلسطين - معهد البحوث والدراسات العربية - القاهرة - ط ١ ص ١٣٠

أن يكون أمير الشعراء في ظلال المرأة شاعرا مقلدا وعجيب أن لا تقف في طريقه "بنت حرام" تعيده العجل كي يصبح شاعر العرب شاعرا عالميا وانا دعاه المحيط وأهابت به النهضة النسائية لمناجاة المرأة كانت تلك النجوى مما لا يطلع على الأفئدة ..(١) " .

واضح في هذه الفقرة ، أن أبا سلمى يرى أن شعر شوقي في المرأة ، لا يعدو كونه من الأغراض التقليدية التي لا تنبئ عن عاطفة صادقة ، وأن اغلب شعره في هذا المجال متكلف ، لأن قلب شوقي لم يعمره حب المرأة ، ولهذا فقد خلا من أي مضمون حقيقي للحب ، أو الخواطر والاحاسيس النابعة من نفسه ووجدانه . ولو اتيح لشوقي هذا الحب الحقيقي للمرأة ، لما استحق أن يكون شاعر العرب فحسب ، بل شاعرا مرموقا في صف الشعراء العالميين .

ونلاحظ أن أبا سلمى يحرص على التفسير والتعليل في هذا النص حرصه على التقييم واظهار القيم الجمالية والأدبية . وهو في أسلوبه يعبر عن رهافة شديدة في الاحساس ولمحات ذكية في التحليل والتعليل ، وان كان مما يؤخذ عليه ، فهو استعماله بعض المجازات على غير مقتضى الحال كقوله في الجانب الاسلامي من شعر شوقي : " فلا عجب اذا ، في التفاته الى خالق العرب محمد ابن عبدالله " وهو يقصد باعث العرب على مثال لم يسبق اليه .

فالرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم لم يجئ لشعب خاص أو قوم معينين وانما جاء هاديا ومنيرا للناس كافة . قال تعالى في كتابه العزيز : " قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا " (٢)

كما أن الخلق صفة من صفات الله تعالى ، وان كانت وفق التقدير المجازي في كلام العرب ، " غير مصحوبة بالألف واللام " تعني ابتداع الشي على مثال لم يسبق اليه (٣) .

---

(١) محمد خورشيد العدناني - امير الشعراء - شوقي بين العاطفة والتاريخ ص ١٧٣

(٢) ابن منظور - جمال الدين محمد بن مكرم الانصاري - لسان العرب - الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر - المجلد ١١ ص ٣٧٢

(٣) القرآن الكريم - سورة الاعراف - آية ١٥٧

رســـم الشخصيـــة

وقد عني أبو سلمى بأسلوب رسم الشخصيات ففي هذا الأسلوب من حســـن اختيار اللفظ وبراعة التأليف وجمال النسيج ما يلفت النظر . ومن نمـــاذج هذا الاسلوب ما رسمه قلمه لشخصية الفنان المرحوم يحيى اللبابيدى (١).

" يحيى اللبابيدى- صفحة فنية طويت- غاب الفنان وترك أثرا وفنا في كـــل بلد عربي ، فنه شعر وموسيقى .

كان يحيى اللبابيدى شاعرا بحسه وروحه ، شاعرا بانتقاء كلماته واختيار معانيه ، يأتي الى اللمحة الخاطفة أو النقدة المبتكرة فيلبسها ثوبا جذابا فكها فيتقبلها الناس جذلين .

وكان الروح الشعرى يغني في قصائده وأغانيه الشعبية ، كان شاعـــرا بلحنه ، هذا اللحن الشرقي الهفهاف الذى يتغلغل في القلب ، ينتخب اللحـــن حسب الاغنية ، اللحن السادر الحلـو ، اللحن السهل الممتنع .

غاب يحيى عن العيون واغانيه ملء الأسماع تتردد في كل فضاء عربـــي مداها في كل واد أينما كنت في ظلال الأرز ، أو في قلب الغوطة ، في وادى النيل أو على ضفة دجلة تسمع من كل فم عذب :

يا ريتني طير لأطير حواليك ، مطرح ما تروح عيوني عليـك
ما تخلي غيرى يقرب ليك ، يا ريتني شعره بجفونك ، لأرد الشمس عن عيونك
وتحلم سحرك وفنونك .

وكثير من هذه الأغاني العذبة ، اغاني يحيى اللبابيدى عمر كعمر الـــورد ، ثم ذهبت النضارة والعبير . حياتان متشابهتــان .

ابراهيم طوقان ويحيى اللبابيدى ، حياة الشاعر وحياة الفنان كانـــا يعيشان لفنهما مخلصين له ، ذلك للشعر وهذا للموسيقى وهل الموسيقى الا شعر .

---

(١) كان يحيى اللبابيدى مدير القسم الموسيقي في دار الاذاعة الفلسطينيـــة بالقدس . ولد في بيروت سنة ١٩٢٠ توفي في الثالث عشر من آيار ١٩٤٣ أدهم آل الجندى- أعلام الأدب والفن- دمشق - ط ١ ١٩٥٤ ص ٣٥٨

كانا ينعمان بالحرية يغردان في هذا الفضاء الرحب يغنيان عند كل زهرة ، وفي كل روض ، وأمام كل حبيبة . استعذبا الزواج ثم حطمهما المرض فرحلا الى العالم الآخر ، وترك كل واحد منهما زوجة كريمة وفية وولدا وبنتا صغيرين .

يا يحيى

لقد سبقك ابراهيم الى العالم الآخر ، ولعلك وجدته الآن يغرد على ربوة من روابي الجنة فالتقيتما بعد فراق غير طويل ، فعودا معا هناك بعدما ملأتما هذا العالم بالأغاريد .

على أنكما أيها الصديقان أحياء في قلوب أصدقائكم ، أحياء في أشعاركم وأغانيكم ، أحياء بيننا في الغدوات والروحات في كل حين . أنتم أحياء ولو كنتم وراء الغيب خلف الشاطئ المجهول (١) " .

والصورة التي يرسمها أبو سلمى لشخصية الفنان يحيى اللبابيدى ، تنبض بالحياة وتجعلنا نشعر بالسمات الفنية التي تميزت بها هذه الشخصية ، هذا الفن العميق الذى تميز به يحيى اللبابيدى لا يمكن أن يكون عارضا ، انه متأصل في نفس الرجل ، كيف لا ، وهو كما يصفه أبو سلمى شاعر بحسه وروحه ، والروح الشعرى يغشى في قصائده .

وعن علاقة الشعر بالموسيقى يقرر أبو سلمى أن الشعر والموسيقى شيء واحد يشد بعضهما ازر بعض يغنيه ويثريه . وهذا الرأى يتفق مع ما تنادى به المدرسة الرومانسية بالصلة الوثيقة التي تربط الشعر بالموسيقى وباشتراكهما معا في عنصر الايقاع وبأن الموسيقى والشعر يتلاقيان بحيث يحدث من اندماج اللحن بالكلمة أن تصبح لحظة الحب أكثر روعة واشراقا "٢" .

ويوازن أبو سلمى بين الموسيقار يحيى اللبابيدى والشاعر ابراهيم طوقان فيبين أن كلا منهما عاش لفنه مخلصا له ، ذلك للشعر وهذا للموسيقى وهما

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - جريدة الدفاع - أشواك وأزهار - ٩ آب ١٩٤٣ .

(٢) الدكتور نعيم حسن اليافي - الشعر بين الفنون الجميلة - المكتبة الثقافية - ط ١ ١٩٦٨ ص ٣٤ - ٣٥

متشابهان في عشقهما للحرية ، فهما كانا ينعمان بالحرية يغردان في هذا الفضاء الرحب ، يغنيان عند كل زهرة ، وفي كل روض وأمام كل حبيبة ، وكلاهما استعذبا الزواج ثم حطمهما المرض فرحلا الى العالم الآخر ، وترك كل واحد منهما زوجة كريمة وفية وولدا وبنتا صغيرين ، وكلا منهما ملأ هذا العالم بالأغاريد ، فهم أحياء في أشعارهم وأغانيهم .

النقد المسرحي

مسرحية " ثورة بيدبا " للأديب اللبناني رئيف الخوري

قبل أن نعرض لأبرز الجوانب في نقد أبي سلمى لمسرحية ، ثورة بيدبا الشعرية وهي من نظم وتأليف الأديب اللبناني رئيف الخوري ، لعله من المفيد أن نعطي موجزا للفكرة التي استمدت منها أحداث هذه المسرحية وشخوصها .

بعد أن استتب للاسكندر الكبير الحكم في الهند ، ووضع عليها ملكا من أتباعه ، وقفل راجعا ، فثار الهنود على هذا الحاكم وخلعوه ، ونصبوا مكانه ملكا منهم اسمه " دبشليم " لا يكاد يستقر على العرش حتى يطغى ويتجبر ويفرض على شعبه اثقل الضرائب ، ويصطنع لتحصيلها أفظع الأساليب حتى يعم البؤس ، وينتشر الظلم بين الرعية فيرى الفيلسوف " بيدبا " أن يذهب الى الملك ليعظه فتكون نتيجة هذا النصح أن يودع السجن (١) .

يستهل أبو سلمى نقده لهذه المسرحية بالتنويه بالقيمة النضالية والانسانية لهذه المسرحية نظرا لما تحققه من ازاحة الستار عن عيني الشعب المظلوم حتى يرى النور ، ثم يستعرض لأهمية الأدب الملتزم الذى يؤدى رسالته الشعبية فيقول :

" ما قيمة الأدب اذا لم يؤد رسالته الشعبية وهي ازاحة الستار عن عيني الشعب المظلوم حتى يرى النور ؟ ! " .

---

(١) لخصت هذه الحكاية التي هي مصدر المسرحية الانسانية عن مقدمة كتاب كليلة ودمنة الذى وضعه الفيلسوف بيدبا - مطبعة كرم - دمشق - ص ١١، ١٢ وعن قصة وضع كتاب كليلة ودمنة - التعريف في الأدب العربي ج ١ - ط ١ - بيروت - تأليف رئيف خورى ص ٢٣٦ - ٢٣٧ جريدة فلسطين - ٥ نيسان ١٩٣٦ ثورة بيدبا من الأدب العاصف

وهل هنالك اسمى من هذا الأدب الذي ينقل لنا آمال الشعب وآلامه ، ويقوم بتحطيم الأغلال التي ترهق عقله وجسمه .

هذه هي رسالة الجيل الحقيقية التي يقوم بها رجال الفكر الحر في أوربا ، والتي لم يلمع على أفقنا منها الا ومضات تظهر وتختفي ، حتى جاء رئيف الخوري وحمل لنا مسرحيته الشعرية " ثورة بيدبا " هذه الشعلة التي يتنورها العالم العربي الآن ، هذه الرسالة الشعبية يؤديها أحد أفراد الشعب صادقا مخلصا وكأنني برئيف مختبئا خلف أحد الأشخاص الذي يقول :

جئت عبدا واحمد الحظ أني   جئت عبدا لأنني سأثور

وثورة بيدبا أبدعها نبل الغاية ، وروعة البيان أضف الى ذلك مجيئها في زمن هو في أشد الحاجة اليها والى مثيلاتها .

في المسرحية تحليل للنفسيات ودقة في تصوير الحالة المضطربة التي تغلي ، ولا أريد أيها القارئ أن أبحث لك في كل شخصية مسرحية ولكنني أعرض عليك ثلاث شخصيات تمتلك عليك المشاعر .

ثم يستعرض شخصيات المسرحية الرئيسية الثلاث :

أولاها (- ماه - مايا) وهي امرأة هندية عجوز لم تقو الأعوام ولا سياط الظالمين على قتل ما في أعماق نفسها من حب للحياة والحرية . انظر اليها كيف يفوح قلبها بالتجاديف على وجه السماء ، وكيف يصيح في وجه الطاغية .

" الساعة التي يفيق فيها النائمون آتية " . وانظر اليها كيف تصرف غرس يديها فترتقب قدوم ولدها ليثور " .

" يثور شبابه ويفور غيظا ، ويضرم من حواليه اللهيب "

هذه الأم الهندية اعجبت بها لأنها تلقي على الأمة العربية درسا في خلق الفتيان الثائرين .

أما الشخصية الثانية ، فهي الشباب الثائر الذي يمثله الفتي " كنكا " فهو مهما قال لا نرى الا شعلات تتطاير في الفضاء ، يخرج من بيته بعد ما

يترك أمه الباكية ، وأباه الجريح وهو يقول :

سنرسلها ثورة في البلاد ، يواكبها اللهب الاحمر

وحينما يسأله رفيقه عما به ، يجيبه :

الشمس تهبط جمرا ، وفي وحي جمر يسيل

وعندما يفزع الشباب المهتدى من خوض المعركة يزمجر قائلا :

ويح الشباب يظل يضغط فوقه ، مستعبد ويظل لم يتفجر

وانا ارتمض السامعون ، وهمسوا في أذنه ان اخفض صوتك فالجواسيس في كل مكان صاح بهم :

الجواسيس اين هم ؟ انا اخشى ، انهم من خيال رأس جبان

إن يكونوا هنا ، فلست من الديدان ، حتى أخشى الديدان

وانا أراد صاحبه أن يبكي ألما هزءا به :

نبكي ؟ لمانا لا نثور على الطغاة الأشقياء

ونسل في الأرض السيوف الناقمات وفي السماء

وهنا يكون الثائر مفكرا فيمضي الى حكيم الهنود ، ورأس البراهم عسى لديه خطة لتكسير نير المظالم ويحييه بتلك التحية الحمراء

وليس لي من ملاحظة على هذه الشخصية الفذة الا قوله :

" اطمنوه اننا لا رحمة فينا ولا عطف "

بلى ان المظلومين الذين يتحررون رحمة وعطفا فانهم مهما صنعوا بالظالمين فهم راحموهم ، لأنهم لا يتوصلون الى عشر معشار ما عملوا بهم ، ويشهد بذلك دكتورنا العزيز(١).

أما الشخصية الثالثة فهي شخصية المصلح " أبي الأحرار " بيدبا فهو أنى نصب وكيفما دار يلقي بذور الاصلاح ، ويقول الحق مهما لاقى من أذى ويقلب وجوه الآراء على ضوء العقل الرجيح (٢) .

زعموا النزوح هو الخلاص ، واشمئز من النزوح

واري ضميري ان لزمت الصمت ليس بمستريح

....

(١) كناية عن الاستعمار ـ وهو هنا يقصد السخرية بما يدعيه الاستعمار من انه جاء لاصلاح أحوال الشعوب .

(٢) عبدالكريم الكرمي ـ ابو سلمى ـ جريدة فلسطين ـ ٥ نيسان ١٩٣٦ ـ ثورة بيدبا ـ من الأدب العاصف

ولما يعرف أن الاخلاص لا يكون الا بالذهاب الى دبشليم الملك بالوجه الفصيح ، يتضعضع ضعاف الايمان ، ويتذرعون بالاسباب وما أبدعه موقفا حينما يتذرع بعضهم بقول العلماء " ان سليم العقل لا يجري والتمساح في لجة ماء .

يصيح بيدبا رأس العلماء هذه الصيحة الداوية :

شرف العلم لا يقوم بثوب ، خذ لبابا وخل عنك قشورا

صاحب العلم من يرى كل يوم يطلب الانطلاق والتحريرا

يقتضي العلم أن تفكك قيدا كل يوم وأن تحطم نسيرا

....

ثم يلتفت ويشير الى ما يهم العلماء ذلك الزمان وهذا الزمان :

همهم ما همهم ؟ مركزهم قام على مص الدماء

لا يغرنك ما يدعونه حكمة تلك احتجاج الجبناء

....

وانظر الى الشيخ المصلح ، كيف يحييه مضاء العزيمة في الشباب ، وانظر السى حبوره حينما يرى أن فكرته ثابتة في النفوس عندما يحييه كنشكا

تحية معلم الهند أبا أحرارها

وانت من ثوارها ونحن من ثوارها

....

فيمضي في تنفيذ خطته ويوصي التلميذين الثائرين أن يرفعا الرايات اذا قضى ولم تتحقق الأمنية

وان غالني غائل المستبد قسرا كما تريان المجال ...

....

وهنالك ، ترى عين الحكيم النفاذة ما تخفيه الليالي بين طياتها فيصف الثورة :

ويا روعتها من منظر .. وانظر اليه كيف يؤدي رسالته الفكرية في أي وقت ، والى أي شخص وذلك حينما يقول للجندي الذي سيلقيه في غياهب السجن

الق يا جندي لي سمعا وخذ مني اليقين

يقظة حتى م تبقى آلة للظالمين

انما أنت على نفسك للظلم معين

" ... وعندما ينتصر الحق ، ويتحرر العبيد يحيطون به ، ويطالبون أن يلمح التاج فوق الشيبة الطاهرة ، فتلتهب الفكرة الانسانية الحرة فيقول :

يوم ثرنا على التجبر والبغي كأنا قذائف البركان
ما أردنا الا بأن يخلص الانسان من نير ربه الانسان

هذه هي الشخصيات الثلاث ولا أعني بذلك أن بقية الشخصيات باهتة اللون ، فكلها من الملك الظالم الذي يريد أن يطمس الضمير ، الى الوزير الموظف الذي يتمرغ في حمأة الرياء والنفاق ، ويبيع الوجدان لأجل قبضة من الذهب والورق الى قابس ، هذا الشخص الهزلي الذي لم يجد له ابو الخطاب[1] موقفا هزليا مع أن له " أربع مواقف "[2] ولا يضرنا أن لا تكون ممن تلقى على الظهر من الضحك ، بل يكفي أن تكون خفيفة الدم ، أقول ، ان كل هذه الشخصيات رائع وجميل ...

وقد أخذ بعض الناس على المسرحية أنها خالية من اللون الغرامي ، ومع أنني والمؤلف نفسه ممن يؤمنون بسلطان الضعيف ، ويخضعون له فانني لا أرى لزوما له ، في أمثال هذه المسرحيات التي تصف حالات الأمم المغلوبة على أمرها والتي تسعى الى سحق القوى الغاشمة التي تدوس على أعناقها .

"والمسرحية خطوة جبارة نطلب أن تكون وراءها خطوات حتى يفوز الشعب"[3].

وفي رأينا أن الكثير من ملاحظات أبي سلمى ، وتحليله للمسرحية يستحق الاعتماد ، كما أنه مما يشهد له بالفطنة وسلامة الذوق ، وسعة الاطلاع التاريخي ، وهو في دراسته لهذا النص يواصل نفس الاتجاه التفسيري والتقييمي . وقد صب أبو سلمى جانبا كبيرا من اهتمامه على مناقشة المشكلة الاجتماعية الأخلاقية التي تتضمنها المسرحية .

---

(١) هي كنية رئيف الخوري
(٢) وجدت في النص على هذه الصورة ، والصواب " أربعة " لأن مفردها مذكر حيث ان العدد يذكر مع المؤنث ويؤنث مع المذكر .
(٣) عبدالكريم الكرمي - ابوسلمى - جريدة فلسطين - ٥ نيسان ١٩٣٦ - ثورة بيدبا - من الأدب العاصف .

وفي رأيي أن ملاحظاته الفنية قد خالفها التوفيق ، وخاصة في تأييده لموقف رئيف الخوري من عدم ادخال الجانب الفرامي في المسرحية ، وهو ما عابه عليه بعض النقاد ، فالواقع ، أن مسرحية جادة كهذه المسرحية لا تحتاج الى وجود العنصر الفرامي فيها . الا أن أبا سلمى لم يتطرق في دراسته الى لغة الحوار ، وتطور الأحداث ، اذ أن الحوار الشعري في هذه المسرحية لم يكن حوارا بالمعنى المسرحي الدقيق ، ولم يطور الاحداث ، ويدفعها الى الأمام فيصبح وسيلة للكشف عن مواقف الشخصيات ، وتصوير أزماتهم .

....

وهو في ترجمته للأدباء والشعراء من اصدقائه الذين عرفهم وخالطهم ، يفتح أمامنا كثيرا من الموضوعات ، وكثيرا من مغاليق النفوس ، مما له اتصال بأدبهم ، ومما له اتصال بتاريخ الحياة الأدبية العربية المعاصرة . ومن الأدباء الذين ترجم لهم في هذه المرحلة ابراهيم عبدالقادر المازني ، وأمين نخله .

مع المازني :

أشفق أبو سلمى على صاحبه المازني ، وجزع على الحب وجنوده بعدما توالت مقالات المازني في الحب والمرأة التي نشرها على صفحات مجلة الرسالة القاهرية وسخرفيها من الحب والمحبين ، مبينا أن الحب نار لا بد أن تخمد ولا تبقى منه سوى ذكراه بعد ان تفتر الحرارة وتسكن النفس ، ويزول الاضطراب والقلق أو تنتفي دواعيها بفتور الرغبة (١).

ويقول أبو سلمى مبررا نقده لمقالات صديقه المازني وتصديه للدفاع عن الحب والهوى الذي عرفه المازني في المرحلة الاولى من حياته ، وأشار اليه في العديد من قصائده التي يتمثل أبو سلمى ببعضها :

" ما قرأت كلمة استاذنا المازني " في الحب والمرأة " الا أيقنت أن هنالك مؤامرة على الحب - واحسرتا - فجزعت .. لا على الأستاذ المازني

---

(١) ابراهيم عبدالقادر المازني - مجلة الرسالة القاهرية - في الحب والمرأة العدد ١٣١ - ٦ يناير ١٩٣٦ ص ٤٣

فانه اذا لـوّح بيده أو زوّى ما بين عينيه ، رفع خصومه الرايات البيض ، ولا على المرأة ، فان لها من لسانها الطويل بقطع النظر عما اذا كان وراءه شيء أم لا - قد تستطيع به الوقوف أمام المازني ، ولكن جزعت على الحب في هذا الزمن الذى طغى فيه العقل .. أو مجموعات الاختيارات والامزجة والطباع - ولو أستطيع لرضيت به (أى العقل) مربوطا بكتلة من الحديد تنقله الى الهوة السحيقة التي تليق به [١] » .

ومن الواضح أن أبا سلمى كأديب وناقد تأثر بالمذهب الرومانتيكي الذى يعتمد على الوجدان والعواطف أكثر من اعتماده على ضوء العقل الكاشف لحقائق النفس ، والمحلل لعناصرها [٢] لا يستحسن طغيان العقل على هذه الصورة من التقنين الذى يعتمد على الاختبارات التي تجرى على الامزجة والطباع ، بل بلغ الجزع والقلق بأبي سلمى حد التعبير عن رغبته « كما تقدم » بالقاء العقل الى هوة سحيقة تليق به لو استطاع .

ويستطرد أبو سلمى في نقده للمازني بقوله : « وما دام المرء يخلق كل يوم خلقا جديدا فلم لا تأخذ الخلقة التي نميل اليها وتستهوينا ؟ » .

وما دام الانسان يتحول الى صور شتى فلم لا نهفو الى الصورة التي تروق في أعيننا ، والحياة قصيرة والهوى فضاح [٣] .

ويعود أبو سلمى الى قصائد المازني التي تصور ذكريات حبه بأسلوب القلق المشفق على صديقه من هذا التقلب الذى دفن فيه المازني ماضيه وذكرياته المفعمة بالحب والتي يعتز بها أصدقاؤه ومريدوه .

يقول أبو سلمى : « فلأعد اذا الى أعماق الماضي الى المازني الفتى الذى دفنه :

مات المازني ثم أتى ... من مازن عنده على الأثر (٤)

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - مجلة الرسالة القاهرية - المازني العاشق العدد ١٣٩ - ٢ مارس ١٩٣٦ - السنة الرابعة ص ٣٧١

(٢) د . محمد مندور - الأدب ومذاهبه - مكتبة نهضة مصر - القاهرة - ط ٣

(٣) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - مجلة الرسالة - المازني العاشق العدد ١٣٩ - ٢ مارس ١٩٣٦ - السنة الرابعة - ص ٣٧١

(٤) هذا البيت لأبي سلمى

أزيل عنه اللفافات وابعثه بشرا سويا تتوهج عيناه بنور قلبه ، أيها الفتى المازني ! أين أنت تنتقم من المازني الذى أتى على الاثر وتكون لنا عونا عليه ؟ " .

مع أمين نخلة :

كتب أبو سلمى يقول : " بعد اطلاعه على كتاب " المفكرة الريفية " الذى أهداه اليه صديقه الشاعر والأديب والمحامي اللبناني " أمين نخله " " أقرأ ما كتب فأنا حريص على هذه الحروف المضيئة التي تنضدها أصابعك ولا أدرى هل تكتب بالأرزة الخالدة النضارة الابدية الأصالة ، والا فما هذه النضارة والأصالة في شعرك ونثرك .

أخي أمين .

القلب يتلفت اليك كل حين وقد تفتح على مفكرتك الريفية ، كما كان يتفتح على شعرك وأدبك وعاطفتك ، فكأنما نثرت من المعنى في هذا القلب الف نجم (على حد تعبيرك) .

لقد مسحت غبار السنين عن الكلمات ووضعت فيها سنى وحياة من اشعاعك وقلبك وجعلت الريف أنضر قلبا وكان حرا نغليا ، رغم قرب الدار ، ووارف الظل وعذوبة العين أولا لا يكفي ذلك الريف ما له من حلي ، وأردان موشاة جملته بها الطبيعة هناك ، حتى جئت أنت وزينته وعطرته ، وزادته نورا على نور وطيبا على طيب ؟! وماذا تركت لريفنا هنا ، ولو نفحت فيه من روحك وأدبك لا تمر وشاه على كل ريف حتى ريف لبنان !

ولكن ماذا أقول وحفنة من تراب الباروك " تناديك " فتغني لها الى الأبد ، ونظرة دامعة من عين الباروك تعصر قلبك فتهب تلك الديار الأدب والشباب والديار وتربة الصبا كما قلت أنت .. هي التي تحضن الأذواق والانساب

والطباتــع .

يا أيها الناس ان البعد رد فمي   فمن يقبل عني أرض لبنـــان

لا أستطيع أن أصف أدبك وفيه رائحة لبنانك وشبابك الا بقول عمرو بن عبيـد رأس المعتزلة ، على ما في ذلك القول من لوثة أعرابية ، حين قيل له ما البلاغة فقال : " تخير اللفظ في حسن الافهام وأنت الذى تطلع على الافئدة بنظرة وتفتح آفاقا بكلمة ، وتخلق دنيا وات بجملة ، كل ذلك لأن قلبك يلحظ قبل عينيـك ولحظة القلب كما قال صاحبك أبو العباس بن المعتز - أسرع خطرة من لحظـة العين وأبعد مجالا ، والعاقل يكسو المعاني وشي الكلام في قلبه ثم يسديهـا بألفاظ كواس في أحسن زينة فأنت ، أنت وصلت العصرين بحبل الأبد ، لقـد أخذت بيدى وسرت في الدرب التي بين البيوت في اثر بعض الخطوات المزيـزة ، ووقفت على محطات التذكر في تلك الدروب الريفية ، درب الأمل التي تمشي علـى مواها وتتبعها الأجيال .

كم جعلتني أتلمظ عندما ذكرت التفاح الذى فتح عيني آدم للنور ، وجعلتني أتحين الفرص لأسرق - نعم لأسرق - وأنا وأنت محاميان ! منديلا عزيزا لأغمسـه في عين تغفو في أصل الجبل وأستقبل به وجه الشمس عسى أن أحمل على السلـوان ... يا ليتنا كنـا خليينـا !

وماذا أقول عن نسيم الجبل ، وحمولته الباهظة من الاشواق والتحيات والقبلات ، وتلك الهجرة التي لم تزل تنظر في الطريق ، وذلك البساط الأخضـر الذى نهضت زواياه الاربع تتلفت ، وتسأل عنك ولا تخف أن يضيع عن الجبل فـاذا أضحكك دلني القلب ، وذلك النهر الذى ينصب بألف قصة كل يوم ، والقصـب الذى تكتب به حلاوات الرسائل في القرية وتنضج فيه أنغام الصبابة في كـل واد ... وتلك الحدائق التي لا يفرغ قلبها من الهوى ما دام النسيم قلقـا يحمل الأريج ، والفلاحات اللواتي يتهادين بالغلائل المذيلة والعصائب الملونـة في المنحنى ، أيام العناقيد والقطاف ينسمن خلف السطور فتتأرجح الأحـرف وتتوهج من الحدود والثغـور .

الكلام عن كتابك في ذ'بي كبير ولئن تلجلج لساني الآن ولم يف قلمي ، فالامل باللقاء غير بعيد ، وعندها أفتح قلبي فتقرأ وتعيد[١] ! ... "

وبعد هذه التصورات والخواطر الرومانسية التي أفرغها أبو سلمى في قالب هو بالشعر أشبه يتناول بعد ذلك المفكرة الريفية بالنقد مكتفيا بالملاحظات التالية : يذكرها على استحياء لأن المفكرة نالت اعجاب أبي سلمى بعمومها .

" على أن لي عصا أجعله خرزة زرقاء أرد بها العين عن الكتاب ، ذكرت كلمة القارئ ، في مواطن كثيرة ، ففي قصة الوردة ، اصطدمت بها عشر مرات فالقارئ الذى يحتاج الى شد أذنه عشر مرات في موضوعات الحب والوردة والبلبل، لا حاجة لنا به يرحمه الله . وكلمة الف على فمك منذ القديم ، هذه الكلمة التي تزاحم ، كلمة القارئ في كتابك ولا أدرى لماذا يقول الناس " كما يقام للاجلاء " بعد قولك الرائع قام الريف لنيسان وتلك العين العادية في أصل الجبل كيف تسميها غرّارة ؟

أيها الحبيب الأليف أنت حامل لواء وصاحب مدرسة في الأدب حفظك الله[٢]" .

ولعل اعجاب ابي سلمى بأدب أمين نخله وطبيعة لبنان هو الذى جعله يقول :

" لا أستطيع أن أصف أدبك وفيه رائحة لبنانك وشبابك " .

ونكتفي بهذا القدر فيما كتبه أبو سلمى من دراسة ونقد لعدد من أشهر الأدباء في مرحلة ما قبل النكبة .

والواقع أن ناقدا مثقفا كأبي سلمى يمتلك من القدرة على التحليل والتفسير والتقييم للاعمال الأدبية والفنية التي ينقدها ، ومن رأينا أن أبا سلمى كان موفقا في حديثه عن الاحاسيس الانسانية النابعة عن النفس وفي مناداته بضرورة تحمل الأديب لمسؤوليته ومطالبته بأن يوحي الأديب بوسائله الفنية الخاصة بالرأى والاتجاه الذى يرتضيه فيما يعرض من تجارب الحياة ومشاكلها ومشاكل شعبه ومجتمعه .

---

(١) عبدالكريم الكرمي - جريدة الدفاع - زاوية أزهار - وأشواك - المفكرة الريفية - تأليف أمين نخلة - بيروت - عدد ٥٢٢ - ١٦ آب ١٩٤٣

(٢) المرجع السابق

مرحلة ما بعد النكبة :

كان لتسلم أبي سلمى مسؤولية الاشراف على الصفحة الأدبية في مجلة المضحك المبكي الدمشقية لصاحبها حبيب كحالة خلال الفترة الواقعة بين ١٩٦٠ - ١٩٦٩ ، واشرافه على اللجان الثقافية في مدرستي جول جمال ، وجودت الهاشمي الثانويتين بدمشق في الستينات ، حيث عمل مدرسا لمادة الأدب والنقد والبلاغة في الصفوف الثانوية ، وكذلك اسهامه في النشاط الثقافي في النوادي الأدبية في الجمهورية العربية السورية ، ومشاركته في المؤتمرات الثقافية العربية والعالمية ، اذ كان ذا نشاط ملحوظ ، ودور بارز في مجال الأدب والنقد على الصعيدين العربي والعالمي (١) .

وفيما يلي ، مقتطفات من نقده الأدبي خلال مرحلة ما بعد النكبة التي تبدأ منذ غادر عكا بتاريخ ٢٨ نيسان ١٩٤٨ حينما لجأ الى وطنه الثاني دمشق حيث ما زال يقيم فيها ، ويمارس نشاطه الأدبي والنضالي حتى الآن .

مع العقاد :

يتحدث أبو سلمى عن صلته بعملاق الأدب ورأيه بعلمه وأدبه بعد أن صدمه نبأ وفاته فيقول :

" عرفنا أدب العقاد والمازني أول ما عرفناه في جريدتي الفيحاء والميزان اللتين كانتا تصدران في دمشق ما بين ١٩٢٣ و ١٩٢٦ وكنا طلابا في مكتب عنبر وكان أول ما عرفنا بأدبهما هو أحمد شاكر الكرمي الذى كان يرئس تحرير الفيحاء ، وكان صاحب الميزان ومحررها وأخذنا نستهدى بهذا النور الجديد الذى بدأ شعاعا

(١) تقديرا لجهود أبي سلمى ودوره في النضال والتواصل عبر القصيدة ، وكعلم من أعلام الفكر وفارس من فرسان الشعر ، وفي سبيل اعلاء الكلمة الخيرة ، وعلى صعيد الدفاع عن الانسان فقد قرر اتحاد كتاب وأدباء آسيا وافريقيا منحه جائزة اللوتس الأدبية العالمية لعام ١٩٧٨ ، وقد أقام اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين والعرب حفلات تكريم له في كل من بيروت ودمشق وبغداد والكويت .

يشق الظلام ثم أصبح نورا وهاجا يضيء الآفاق ، ثم مضى الزمن ، وتوثقت عـــرى الصداقة بيني وبين المازني وزرت القاهرة بعد ذلك وذهبت مع المازني الـــى بيت العقاد ورأيته لاول مرة كما تخيلته عملاقا ، جهير الصوت ، واضح النبرات ، تأسرك ثقافته العالية ، وتفتنك شخصيته القوية ويستهويك اعتزازه وظرفـــه ، واتصلت الاسباب به ومرت السنون والتقينا كثيرا في القاهرة حينا وفي القـــدس أيام كانت فلسطين حينا آخر ، وكان آخر لقاء بيننا في القاهرة اثناء انعقاد مؤتمر الأدباء العرب هناك . وفي الاسبوع الاول من هذا الشهر قدم أخي من القاهرة وحدثني عن عيادته للعقاد المريض في بيته ثم جاءني خبر انطفاء هذه الجمـــرة ، التي اتقدت اكثر من خمسة وسبعين عاما وما خبا وهجها ولا علاها الرماد حـــتى النفس الأخير .

انثا نذكر العقاد أديبا عظيما حطم الاحجار المهترئة ووضع بدلا منهـــا احجارا جديدة لبناء الصرح الأدبـــي .

نذكره نقادا كبيرا ، نشر هو والمازني جزئين من الديوان في النقـــد تناولا فيه أعلام الأدب والشعر التقليديين فتفتحت ازهار التجديد في الأدب .

نذكره كاتبا جبارا حملته براعتـه الى مجلس الأمة ، ويرتفع صوتـــه الجهور تحت قبة البرلمان " ان الامة مستعدة لأن تسحق أكبر رأس يخون الدستور" فما كان ملك مصر في ذلك الحين الا أن قذفه الى السجن حيث أمضى فيه تســـعة شهور .

نذكره من أوائل كتاب الرواية وكانت " سارة " طليعـة اللواتي خطـــرت في هذه الساحة الأدبية التي يمرح فيها كثيرون الآن (١) " .

ويتابع أبو سلمى حديثه عن العقاد فيقول :

" نذكره مثقفا كبيرا ، لم تثقفه المدارس والجامعات لأنه لم يتعلم الا فـــي مدرسة أسوان الاميرية ولكنه ثقف نفسه وأصبح من أعلام المثقفين ، وبقيت ساعاتـه

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - مجلة المضحك المبكي - ٢٠ آذار ١٩٦٢

بين الكتب وفصوله من امتع ما ازدانت بها المكتبة العربية ، لا تبلى جدتها ولا يذوى شبابها .

نذكره شاعرا مبدعا أول ما حفظنا له قصيدة نشرت في جريدة الميزان سنة ١٩٢٥ :

خذوا دنياكمو هذى	فدنيا واتنا كثر
خذوا الدنيا بأجمعها	حبيب واحد نخر

وسارت دواوينه الشعرية أمام الدواوين وأصبح مقررا للجنة الشعر في المجلس الأعلى لرعاية الآداب وبقي يرعى الشعر العربي الأصيل ، ويبعد عنه كل هجين حتى أغمض عينيه الى الأبد .

نذكره مؤرخا عالما يكتب التاريخ بلغة الأدب ، وما عبقرياته الا سلسلة رائعة يعتز بها المؤرخ العربي .

نذكره باحثا مدققا وكتابه " ابن الرومي " أبلغ دليل على ما وصل اليه الباحث المدقق .

نذكره عصاميا نشأ فقيرا في أسرة جاهلة ، جاع وتعذب كأحد أبناء الشعب الفقراء وكافح في الحياة ، كافح في سبيل المادة حتى عاش عيشة كريمة ، وكافح في سبيل العلم حتى عد من القمم .

نذكره مؤلفا ناجحا ، زود المكتبة العربية بأكثر من تسعين كتابا بين أدب وشعر ونقد ما عرفت المكتبة العربية في عصرها الحديث من زودها بمثل ما زودها به العقاد من الكتب عددا وقيمة .

نذكره مفكرا موجها من أعاظم المفكرين الموجهين في دنيا الفكر والأدب في ديار العرب .

نذكره رافع الرأس دائما وأبدا شارعا قلمه دائما وأبدا لم يخفض رأسه في مذلة ولم يغمد قلمه في صغار ، يسير في طريق الأدب الحق والكرامة ، ويسقط حوله المغرورون الحاقدون من مراهقة الأدب ، هؤلاء الذين لا يحفظون الجميل لأحد ولا يرعون الحق لانسان ، يتهاوون حوله على حافتي الطريق ويبقى هو شامخ الأنف في الطليعة دائما .

تذكره هو والمازني كأول رائدين للأدب في النهضة الحديثة ، ونقف الآن ذاهلين أمام هذه الفاجعة .

لقد ترجل الفارس العظيم بعد خمس وسبعين سنة وقد آن له أن يترجل ، ترجل ناصع الجبين غير معفره ، أشم العرنين ، غير خافضه ، ترجل ليعانق رفيقه القديم في الجهاد بعد غياب طويل ، ترجل ليعانق المازني في عالم الغيب . لقد فرقت المنية بينهما في دار الفناء وعادت هذه المنية اليوم فجمعت بينهما في ظلال النعيم "..(١)

هذه الدراسة الأدبية لشخصية العقاد وآثاره الأدبية وان كتبت في تأبينه ورثائه الا أنها جاءت تصويرا بارعا لشخصيته وتحليلا دقيقا لآثاره الأدبية ، وقد استطاع أبو سلمى أن يثبت لنا أن هذا العصامي وان كان قد مات الا أن آثاره وأفكاره ومداركه التي ساهم بها في بناء صرح نهضتنا الأدبية والفكرية الحديثة لم تمت ، وقد استطاع أبو سلمى أن ينفذ من خلال هذه الدراسة الى مفتاح شخصية العقاد ببراعة ويسر .

وهكذا يرى أبو سلمى في العقاد استاذ العصر الذى وان اختلف الناس فيه فان هؤلاء وأولئك لا يختلفون في نقطة واحدة هي أن العقاد استطاع أن يظل في الصدارة من أدباء عصره جيلا كاملا .

<u>مع بدر شاكر السياب :</u>

كتب أبو سلمى كلمة بعنوان " الشاعر والدولة " بعد ما قرأ مأساة الشاعر العراقي بدر شاكر السياب الذى وقع في أشد بلاءين في هذه الحياة : المرض والفقر وفيها يقول :

" لا أعرف أحدا مظلوما أكثر من الشاعر في بلادنا ، ولا أريد أن أقول الأدباء عموما لأنني أريد أن أخص الشاعر فقط ، يحبه الناس من مختلف الطبقات ، ويحبه رجال الدولة ولكنه حب تسلية ، لا تقدير فيه ولا احترام

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - <u>المضحك المبكي</u> - ٢٠ آذار ١٩٦٤

وانا دافع الشاعر عن رأي آمن به ولو خالف المجتمع والسلطان ، صفقوا له .

وانا اضطهد من جراء ذلك ابتسم له أناس وشمت البعض ورثى له آخرون ولكن الجميع يكتفون بالابتسام لا يأخذون بيده اذا تعثر ولا يسندونه اذا تكسر ان الشاعر الذي يعيش مأساة مجتمعه العربي ويعبر عن آلامه وينشر امانيه على أفق عالم أفضل وأجمل ، انما هو مفخرة من مفاخر أمته ان لم يكن أجمل مفخرة .

وماذا يريد الشاعر ، انه لا يريد من الحياة الا أمرين اثنين : أولهما أن تعطى له الحرية فيغني كما يريد وينشد أحلى أغانيه في الوطن والنفس في الحياة والانسانية ، وثانيهما أن ترعاه دولته أو مجتمعه فيؤمن الحياة الكريمة حتى لا يميش في الوحل وحتى لا ينحرف عن أهدافه ، هذا اذا لم يتنكر لوطنه وأمته .. " .

ويقول أبو سلمى ان السياب قد ضعف أمام عطف احدى المنظمات العالمية فاستسلم لها بعد أن حجبت عنه بلاده أي عون أو مساعدة وهو الذي كان محتاجا الى من يمد له يد العون والمساعدة ويلقي اليه بحبال النجاة ، ويتحدث أبوسلمى عن هذا الموقف فيقول : " بقي السياب طيف المرض والفقر ، ينتظر النجدة من دولته وبلاده وأخيرا صرف له الحاكم بأمره في العراق آنذاك مبلغا من المال يتداوى به وقد مدح الشاعر حاكم العراق الذي أسعفه فقامت قيامة المجتمع ، انه ينتظر منه أن يذوب مرضا وفقرا وهو ينظم الشعر على أن يمدح من أسدى اليه يدا أيا كانت تلك اليد ، ثم طار حاكم العراق كما طار غيره فذهب السياب الى لندن للتداوي فعطفت عليه منظمة أجنبية اسمها " منظمة حرية الثقافة العالمية " وضعف الشاعر المريض الفقير أمام عطف المنظمة ولم يكتف بازجاء شكره لها بل انه مدح هذه المنظمة ودافع عنها وهي منظمة للكتاب الصهيونيين فيها أثر كبير ، بل انه وقف موقفا خطيرا عندما قال " ان موقف اية منظمة ثقافية عربية لا يمكن أن يختلف كثيرا عن أحسن موقف عربي من قضايا العرب وفي ما يخص قضية فلسطين : " الحياد بين العرب واليهود " .

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - مجلة المضحك المبكي - دمشق - الشاعر والدولة - ٢ نيسان ١٩٦٢

ويعلق أبو سلمى على هذه الملاحظة بقوله : " لا أريد أن أعلق على هذا الكلام الخطير ولكنني أريد أن أقول : لو كان هذا الشاعر يتاجر بشعره وبوطنه ويتمسح على الأعتاب ويمدح الأصنام لعاش في حياته يؤدي رسالة الشاعر الحقة مكرما معززا أما وانه قد عني بتصوير آلام نفسه ومآسي وطنه فانه لم يحظ بحياة كريمة ووقع في أشد بلاءين في هذه الحياة المرض والفقر ، ولن يقوى على هذين البلاءين الا اولو العزم ولم يقو بدر شاكر السياب على الصمود أمامهما فانحرف عن الرسالة وأثم في حق وطنه وشعبه ، ولو كانت أمته ودولته ترعيانه لوقف أمام كل عاصفة ولعاش ظافرا غردا يشدو في رياض وطنه الخير والحب والجمال (١) ... " .

ويستطرد أبو سلمى فيقول :

" نحن نطالب كل دولة عربية برعاية شعرائها وحمايتهم من كل غائلة حتى يؤدوا رسالتهم الحقة في تخليد أمجاد أمتهم وجمال أوطانهم وتوعية ابنائها وحتى لا ينحرفوا ويصبحوا أعداء أمتهم ووطنهم ويجب على الدولة أن لا تأخذ على شعرائها الهفوة العفوية أو العاطفة الرعناء بل تغضي عن ذلك اغضاء الأب الكبير القلب والعقل عن هفوات أطفاله البريئة .

وعجيب أمر الدولة التي ترعى شعراء غيرها من الملك والنحل ولا ترعى شعراءها انها لا تجرم في حق أبنائها فحسب بل انها تجرم في حق نفسها وتجاه العالم.

ولا تزال أمام عيني صورة عبد المحسن الكاظمي الذي مات على فراش المرض والفقر والشيخوخة والغربة ، وكان يحمل مع ذلك لقب شاعر العرب فهل يرضى العرب أن تكون هذه النهاية لشعرائهم؟

انني أهيب بكل شاعر ، بل بكل صاحب قلم حر أن يشرع قلمه في الدفاع عن الشعراء ورعايتهم ، يقول ابو سلمى :

" لم يسعد السياب في حياته ، فقد تحالف عليه الفقر والمرض والاحساس وهي مصائب تهد الجبال ، ولم تسعفه الدنيا برغد وهناء ، بالرغم من أنه

---

(١) عبد الكريم الكرمي - أبو سلمى - مجلة المضحك المبكي - دمشق - ٢ نيسان ١٩٦٢ .

تخرج من دار المعلمين العالية في بغداد والتحق موظفا بمديرية التجارة العامة، فان نفسه نزاعة الى الحرية والشاعر الحر تتقاذفه الدروب الدامية ، لقد شلت أعصاب السياب حتى أصبح لا يستطيع أن يقف على رجليه ولا أنس عندما رأيته منذ مدة وهو داخل مطعم فيصل في بيروت يتوكأ على عكازين وبجانبه زوجته وطفله الصغير ، تحدثت معه طويلا وكان مبهور الانفاس ، ممروق الجسم حتى كأنه جلد على عظم فعرفت حينذاك سبب وقوف الشاعر في شعره على قمة اليأس والظلام ، ولمانا يطل الشاعر على العالم من نافذة المرض ثم ذهب بعد ذلك الى مستشفيات لندن ولم أعد أسمع عنه حتى قرأت هذا الأسبوع خبر وفاته بائسا غريبا في أحد مستشفيات الكويت ، وعاد فقيرا محطما ، عاد بقية جسم مشلول الى قريته الفقيرة الكالحة "جيكور" ليغضم الى قبر أمه التي فتحت ذراعيها اليه والتي ناجاها ورثاها بقصيدته هذه الباكية التي رثى فيها نفسه والتي ظهرت يوم وفاته :

ولبست ثيابي في الوهم
وسريت تلقاني أمي
في تلك المقبرة الثكلى
ستقول اتقتحم الليلا
من دون رفيق ؟ !
جوعان أتأكل من زادي
خروب المقبرة الصادي
..... الا ترمي
أثوابك والبس من كفني
لم يبل على الزمن
عزويل الحائك اذ يبلى
يرفوه ... تعال ونم عندي
أعددت فراشا في لحدي
لك يا أغلى من أشواقي (١)

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - مجلة المضحك المبكي - دمشق - ٣ كانون الثاني ١٩٦٤ .

مهما اختلف الناس في شعره فانهم يجمعون على أنه طليعة الحركة الشعرية الحديثة يمتاز عن جميع هؤلاء الذين يزحفون وراءه بالأصالة ، وعمق التجربة ، وروعة الصورة ومهما اختلف الناس في منزلة الشاعر في الحياة بصورة عامة فانهم يتفقون جميعا على أن واجب الدولة الاول هو رعايتها للمواطن وحمايته من غائلة الفقر والمرض ، وكان من عادة الدول في بلادنا العربية أن ضميرها لا يستيقظ الا بعد أن يموت الشعراء جوعا والا بعد أن يثور عليها العالم لاهمالها ابناءها وتركهم يموتون في العراء عند ذلك فقط يتحرك ضميرها فتعلن رعايتها لزوج الشاعر أو ولده بعد وفاته ، ثم يتحجر ذلك الضمير وينام مع سكان القبور .

فهل للاقلام الحرة أن تهب وتدافع عن زوج الشاعر السياب وعن ولده حتى ترعاهما الدولة فتحافظ على حياتهما بعد أن ساعدت على قتل الشاعر وتكون بهذا قد كفرت عن جريمتها "(١) " .

وهكذا صور لنا أبو سلمى في هذا النص ، حساسية السياب الشديدة التي عمقت جذور المأساة في نفسه ، فقد كانت فترة مرضه حافلة بالمآسي والآلام والاحزان الكبيرة التي استوعبها قلبه ، وصبها في نغم انساني راعش بنبرة الالم الحادة التي كانت موجاتها تتدافع في نفسه حتى كانت النهاية المأساة . وهنا ينحى ابو سلمى باللائمة على الدولة التي تجاهلت عذاب السياب ، وآلامه ويطالبها بحق رعاية زوجه وولده فتؤمن لهما الحياة الكريمة ، كما يطالب رجال الفكر في التعبير عن رأيهم ، وابداء موقفهم من هذه القضية الانسانية وبهذا يؤدون دورهم الحق في مساعدة هذه الأسرة وتجنيبها غائلة الفقر .

والشاعر يرتكز في هذه القضية الخاصة على قضية عامة هي قضية الشاعر والدولة فالشاعر يتجه اليه الناس من كافة الطبقات بالحب ويحبه رجال الدولة ولكنه حب تسلية لا تقدير فيه ولا احترام ، فاذا دافع الشاعر عن رأي آمن به ولو خالف المجتمع والسلطات حنقوا له ، واذا اضطهد من جراء ذلك ، ابتسموا له متخفين أو هسامتين .

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - مجلة المضحك المبكي - بدر شاكر السياب ٣ كانون الثاني ١٩٦٤ .

ويطالب أبو سلمى أن تؤمن الحرية للشاعر فيغني كما يريد وينشد أحلى الأغاني في الوطن والنفس في الحياة الانسانية كما يطالب بحسن الرعاية له من الدولة والمجتمع فيؤمن الحياة الكريمة حتى لا ينحرف عن أهدافه .

وأبو سلمى في هذا التحليل ، يربط بين الشاعر والواقع الاجتماعي الذي يعيشه باعتبار أن أزمة الشاعر العربي المعاصر هي أزمة المجتمع العربي . فالدعوة الى الأصالة والالتزام في ظل هذه الظروف التي تجتازها الأمة العربية دعوة الى انصاف وتقدير الشاعر العربي ومنحه حرية التعبير عن الرأي فبهذا تغتني تجاربه ومواقفه وتتبلور رؤياه وبهذا يبقى على التزامه بشعبه وقومه وانسانيته ، ويأمن جانب الضياع والانحراف .

مع عــــرار :

يتحدث أبو سلمى في مقدمة دراسته عن (عرار) عن هؤلاء النور الذين أحبهم مصطفى وهبي التل المعروف بعرار وأخلص لهم ونظم معظم شعره فيهم فيقول : " انه الشاعر الذي أحب النور ونظم معظم شعره فيهم حتى أنه أوصى أن يسمى ديوانه عشيات وادي اليابس ، ووادي اليابس هذا مكان قريب من عجلون تؤمه جماعات النور معظم أيام السنة وهو ليس يابسا كاسمه ، وانما هو رياض غناء فيها ماء وأشجار وكان مصطفى يرتاده كلما هاجه الحنين ، وقد سمى جميلته النورية " مس وادي اليابس " واعتبرها ملكة جماله ، وقد قال :

يا ظبية الوادي دعوتك باسمه ولـه نسبت تبركا ديوانــي
قومي وقومك في الصغار وجهلهم معنى الحمية كفتا ميزان (١)

ويرى أبو سلمى في هؤلاء النور الذين تعصب عرار من نفسه مدافعا عنهم مخلصا لهم كل الاخلاص طوال حياته انهم فئة مسحوقة من البشر حريصة على حب الحرية والتشرد تعشق الحياة المنطلقة (٢) .

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - مجلة المضحك المبكي - ٢ تموز ١٩٦٣

(٢) المرجع السابق

ويقول عن عرار انه اتخذ من زعيمهم " الهبر " الانسان البسيط المنبوذ نموذجا لنقد المجتمع وبث آرائه السياسية بقصد تحريك شعور الشمم في نفوس أهل بلاده بمقايستهم بالنور (١).

ويذكر ابو سلمى أن عرارا قد قال في بعض أحاديثه وكان عنوانها " أصدقائي النور " والتي أذاعها من دار الاذاعة الفلسطينية أيام كانت فلسطين : " النور بشر مثلي قد براهم الله على هيئة بقية الناس من خلقه فهل يمنع فقرهم وبؤسهم وحياتهم المتنقلة من أن يحسوا ويشعروا ويتألموا اذا ما استهدفوا للأذى، انهم فقراء ضعفاء وانهم مطرودون وليس لهم ولا لبعضهم ولا لاحدهم في المدينة التي كانت قرية شبر من الأرض أو حجر على حجر شأنهم في ذلك شأني وشأن كثيرين غيري.

وقصته مع المدعي العام في اربد عندما منع الجندي الواقف على الباب " الهبر" من الدخول الى المكتب هي قصة معروفة وقد قال قصيدة في هذا الحادث منها :

يا مدعي عام اللواء	وخير من فهم القضية
الهبر جاءك للسلام	فلم تمنعه التحية ؟
والهبر مثلي ثم مثلك	أردني التابعية

وما أشد اشاراته عندما خاطب الهبر قائلا :

يا هبر بي فقر كفقرك للاباء وللحمية

أو ما تراني قد شبعت على حساب الأكثرية

وأكلت بسكوتا وهذا الشعب لا يجد القلية

والقلية هي " القمح المحمص " وكم كان يعدد محاسن النور

نور نسميهم ونحن بعرفهم	منهم وفي عين الحقيقة أنور (٢)

ويستطرد ابو سلمى في حديثه عن عرار فيقول : " ولا أنسى يوم قابلني مرة في القدس قال لي ونحن سائران في طريق الشيخ جراح :

" هل عشت مع النور قلت لا ولكنني أعرفهم قال لا تكفي ، انا كنت تريد

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - مجلة المضحك المبكي - ٢ تموز ١٩٦٣

(٢) المرجع السابق

أن تكون شاعرا حقا وان يزخر شعرك بالأنفاس العلوية وبدقائق المعاني ...
أن تعيش مع النور ثم أنشد :

يا صاحبي ان مضى السمار وانطلقوا
فاترك متاعك واحمل راية النور ... " (١)

والحق ان من كتب عن عرار قد أسهب في وصف نورياته ، ولكن أبا سلمى كان من بين الدارسين القلائل الذين فطنوا الى تلك الفلسفة العميقة التي اصطبغ بها شعره حيث انتقد عرارا "عن طريق"وصف حياة هؤلاء النور المحرومين من العدالة الاجتماعية "، تلك القوى التي وقفت من بؤسهم ، وبؤس الطبقات الفقيرة الأخرى في المجتمع موقف المتفرج ان لم يكن موقف الظالم المضطهد . وقد وجد عرار في هذه الفئة من النور هموم الانسان الفاقد لشخصيته الاجتماعية من جراء جور المجتمع عليهم ، ولعل في السؤال الوارد في النص والذي طرحه عرار على ابي سلمى ما يوحي بالنظرة العميقة التي يطل منها عرار على قضايا الانسان ، فدراسة واقع الطبقات المسحوقة هي البؤرة التي ينبغي أن ينطلق منها الفنان ليرى من خلالها تطلعات أخيه الانسان .

مع الشاعر محمد محمود الزبيري :

يتحدث أبو سلمى عن أول لقاء تم بينه وبين الشاعر اليمني الثائر محمد محمود الزبيري فيقول :

" في مؤتمر الأدباء العرب الثالث في القاهرة سنة ١٩٥٧، وكنا في قاعة المحاضرات ، وقف أحد شبان اليمن الملكي ، اذ ذاك يتحدث عن الشعر ودوره في اليمن وفضل الامام في ازدهاره ، وما أن انتهى حتى ارتفع صوت جهوري وسط الحضور يطلب الكلام ، وتقدم شخص ممتلىء الجسم ، ربع القامة ، وما أن اعتلى المنصة حتى تدفق بالبيان المشرق والحجة القوية وقال ما خلاصته ، وهل هناك

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - مجلة الضحك المبكي - ٢ تموز ١٩٦٣

دور في الشعر تحت ظل حكم آل حميد الدين لا يوجد الا شعر حزين يتمسح على الاعتاب ويتخصص في مدح الامام وتحركاته وتنقلاته •

وسرت همهمة بين الحضور فقد كانت العلاقات حسنة بين القاهرة وبين الامام • وقد اعترفت القاهرة بوفد الامام الأدبي ولم تعترف بالأدباء الثائرين المشردين ولكن هذه الهمهمة زادت من ارتفاع صوت المتحدث الذي ختم كلمته بأن الأيام ستزيل الغمام عن أعين أبنائنا في اليمن عندما تتحرر اليمن من ظلم الأجيال الذي يمثله آل حميد الدين • وانتهت الحفلة فأقبلت على صديقي الاستاذ أحمد محمد نعمان أحد أحرار اليمن وأدبائها وذهبنا معا الى المتحدث وعرفني بشاعر اليمن محمد محمود الزبيري " (١) •

من هذا التقديم يتضح لنا اعجاب أبي سلمى بشخصية محمد محمود الزبيري (٢) الشاعر الثائر وارتباطه الوثيق بالأدباء الأحرار وتقديره لمواقفهم الملتزمة ويزيد هذا الموقف ايضاحا هذا الاستطراد عن كفاح الشاعر الزبيري ضد الطغيان والظلم ووقفاته الملتزمة في سبيل الحرية والانعتاق من العبودية •

يقول أبو سلمى : " كان الزبيري من مواليد صنعاء وقد ورث محبة الشعر عن جده لأبيه الذي كان من شعراء اليمن بل شعراء الجزيرة المعروفين • ثم تلقى تعليمه الأولي على أيدي بعض العلماء • ثم توفر على القراءة بنفسه والتحق بعد ذلك بدار العلوم في القاهرة وظهرت هناك ثوريته وبرزت مواهبه فألف أول عصبة مؤمنة تنادي بالثورة لتحرير اليمن من الحكم الفاسد ومن التخلف

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - مجلة الضحك المبكي - ٦ كانون ثاني ١٩٦٢

(٢) ولد محمد محمود الزبيري في صنعاء عام ١٩١٠م • تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي في صنعاء كما تلقى تعليمه العالي في كلية دار العلوم بالقاهرة • عين وزيرا للمعارف في حكومة انقلاب ١٩٤٠ وظل منفيا خارج البلاد ومحكوما عليه بالاعدام من ١٩٤٨ - ١٩٦٢• عين بعد ثورة أيلول وزيرا للتربية والتعليم ونائبا لرئيس الوزراء لشؤون التعليم والاعلام• استشهد في ٣١ آذار ١٩٦٢ • من دواوينه الشعرية :صلاة في الجحيم وثورة الشعر

وأخذ يتصل بأحرار اليمن في كل مكان وخصوصا أولئك الشبان الذين كانوا يتلقون الدراسة العسكرية في الكلية الحربية ببغداد وكان على رأسهم عبدالله السلال عاد الزبيرى الى اليمن وأخذ هو ورفاقه وفي مقدمتهم أحمد نعمان ينشرون التوعية والاعداد للثورة . ولما تسربت بعض الأخبار عنهم قبض الامام عليهم وخفاهم الى جبال صعدة مايقرب من عامين ثم استطاعوا الهرب . وكانت مسيرة شاقة حتى استطاع الزبيرى أن يصل الى عدن وأصدر هناك جريدته " صوت اليمن " تحمل للثورة ضد الامام وقد نشر فيها مرة قصيدته التي يقول فيها :

خرجنا من السجن شم الانوف	وتأتي المنية من بابهـا
وتأبى الحياة اذا دنست	بعسف الطغاة وارهابهـا
ويحتقر الحادثات الكبار	اذا اعترضتها بأوصابهـا
ستعلم أمتنا أننـا	ركبنا الخطوب حياما بهـا (١)

ويتابع أبو سلمى حديثه عن كفاح الشاعر الزبيرى وثوريته فيقول :

" وقد ظل الزبيرى يدعو الى الثورة منذ اكثر من خمس وعشرين عاما الى أن أطاحت الثورة بحكم يحيى حميد الدين ودعي وهو في الثانية والعشرين الى تولي ادارة المعارف في أول حكومة شكلت بعد ذلك ولم تدم أكثر من أربعين يوما ثم فرّ هو ورفاقه من البلاد .

حاول الزبيرى بعد فشل الثورة الالتجاء الى السعودية فمنعوه فاتجه الى عدن فأخرجه الانجليز الى الباكستان ولم يمض يومان على بقائه حتى طلبت حكومة اليمن الامامية تسليمه فقصد الهند ولكن الهند لم تقبله فذهب الى مصر . وهناك في القاهرة ترأس اليمنيين الأحرار وكان صديقه الاول محمد أحمد نعمان الذى يعرفه أدباء العرب عندنا مثل أدباء اليمن الأحرار ولمع نجمه في مؤتمر الأدباء العرب الذى اقيم في بلودان صيف ١٩٦٥ .

ويستطرد ابو سلمى فيقول :" ثم قامت ثورة ١٩٦٢ وأطاحت بحكم الامام وأعلنت الجمهورية اليمنية فعاد الزبيرى وزميله نعمان وكانا من أركان الحكم

الجمهوري ثم استقال الزبيري من الوزارة ولكنه كان يسعى لتوحيد الصف اليمني في سبيل استقلال اليمن وتحريرها وأخذ يتنقل بين القبائل لتأليف القلوب تأييدا للثورة وللحرية فاغتالته يد آثمة وسالت دماؤه الثائرة الطاهرة على أرض وطنه الحبيب الذي يقول فيه :

وطني أنت نفحة الله ما يسترح   لا .. عن قلبي ولا عن لساني

صور الله منك شكل فؤادي   وابتنى منشذاك روح بياني

ما قد صهرته لك في روحي   وما قد صهرته في جناني

فلذة القلب لو اذيبت لقالوا   من عبير الأثير نصل يماني

وهكذا قضى هذا الشاعر الثائر في سبيل تحرير بلده ووطنه ولكن المؤلم أشد الألم هو أن يقتل الأحرار بيد أهلهم وابناء عمومتهم ويسيل الدم الحر بيد العبيد .

سيبقى اسم الزبيري عاطرا يردده النسيم في كل مكان عربي ينادي بالثورة والحرية وستروي الأيام عن السيف اليماني الذي تحطم على أرض يمانية ودفن بلا غمد في التراب اليماني أحب تراب اليه ، وانه اذا مات الزبيري فان الوطن اليمني خالد وكما قال الزبيري في أحد كتبه : " لا شيء يعطى في الحياة بلا ثمن " وبدون مقابل فالحرية لا توهب ولا تعطى ولكنها تؤخذ .. ان أول ما تطلبه الحرية هو انكار الذات واني مؤمن بأنني سأموت ولكن وطني كائن حي لا يموت انه فكرة قائدة ستبقى مع الأبد (١) ... " .

في هذا النص ، نلمح تركيز ابي سلمى على ثورية الزبيري بأنها النموذج الذي ينبغي أن يحتذيه كل ذي فكر وقلم ، بحيث يمزج بين قلمه وكفاحه . فتارة يكافح بقلمه وتارة يكافح ببندقيته ، وكلا السلاحين ضروري للوطن حتى يقف شامخ الأنف .

وأرى أن في تركيز أبي سلمى على ثورية الزبيري ، والتزامه بقضيته الوطنية والقومية ما يربط بين هدف مشترك سعى كلا الشاعرين ، ابو سلمى

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - الضحك المبكي - ٦ كانون الثاني ١٩٦٢

والزبيري الى تحقيقه ، فقد كان ابو سلمى من بين الشعراء العرب المعاصرين الذين بنوا قضية التحرر الوطني على التحرر الاجتماعي ، ولعله كان أول من نبه الى الواقع المزري الذي يعيشه اليمن في ظل الحكم الامامي ودعا الى الثورة على مواضعات هذا الواقع والثورة عليه (١) .

أما الشاعر محمد محمود الزبيري فقد كان صدى لخلجات شعبه وأناته ، ارتفع صوته الشجاع في وجه السلطة الامامية الحاكمة معلنا انقراض كل أنواع عبودية الانسان للانسان ، مؤكدا أن عصر حمل القيود قد ولى الى غير رجعة . فهو نموذج ملتزم بقضية شعبه ووطنه وقد قضى في سبيل هذه الغاية الشريفة فكلا الشاعرين ، ابو سلمى والزبيري لديه التزام مشبع بروح الشعب ، وكلاهما كانت تمتزج أشعاره بروح الثورة ، وكلاهما كان جريئا في المجاهرة برأيه والتمسك بمبادئه . فلا عجب أن يشيد ابو سلمى بهذا النموذج الثوري فهو يوقن أن شرف الحرف انما يتأكد من خلال الموقف ، وان الفن الحقيقي هو ذلك الذي يعزز شرف الموقف هذا ويؤكده .

شرف الحرف أن يذود عن الحق ، فان رمتم المقال فقولوا
واضيئوا بالشظى ليبعث النور فالليل عالم مجهول (٢)

---

(١) حدثني ابو سلمى أن السيد محسن العيني ، رئيس وزراء اليمن الأسبق قد ذكر له أن هذه القصيدة كانت بمثابة منشور ثوري يتبادله أحرار اليمن فيما بينهم ، فكان لها وقع خطير على نفوس ابناء اليمن بما شحنته في نفوسهم من افكار ومضامين ، وكان لها ردود فعل عنيفة في الاوساط الامامية الحاكمة حيث كانت تزج بالشخص الذي تعثر عنده على هذه القصيدة في غياهب السجون وتنكل به ابشع تنكيل .

(٢) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - ديوان ابي سلمى - دار العودة - بيروت ط ١ ١٩٧٨ .

مع ميشال أبي شهلا :

كتب أبو سلمى عن ديوان الشاعر اللبناني " ميشال أبي شهلا : أنفاس العشيات " يقول في مقدمة عرضه ونقده للديوان معرفا بالشاعر :

" هبت علي " انفاس العشيات " منذ أيام ، أرسلها الي العزيز فريد ابو شهلا وهي ديوان الشاعر ميشال أبي شهلا الصديق الفقيد الذى لا يزال يبكيه لبنان ، ودنيا الشعر وعالم الاخاء ".

عندما استلمت الديوان مثل أمامي ، الصديق الكبير القلب ميشال وهو ينضح مروءة وسؤددا ، ويعبق أريحية ورجولة ، وعادت بي الذكرى الى أول لقاء في مجلة المعرض التي كان يصدرها في بيروت المرحوم ميشال زكور ، منذ اكثر من ثلاثين عاما ، ورأيت هناك الشاعر الممتلىء ظرفا وحيوية ، وشاعرية ثم توثقت الصلة مع هذا الشاعر المحب ، المضياف ، الانسان ، وعن طريقه تعرفت بفتى الفتيان ابن عمه حبيب أبي شهلا رجل المروءات وصاحب الضحكة العريضة التي تتهاوى أمامها جميع الصعاب".

وفي عرضه وتحليله لأبرز ظواهر شعر أبي شهلا يقول :

" انثنيت اتنسم من الديوان ذكريات غالية من تلك الحياة التي صارعها ميشال حتى صرعته وتركت على ثغره فصول روايات".

فتح ميشال ابو شهلا قلبه للحياة وللجمال وللوطن ، أحب الحياة بكل ما فيها من وفاء ، وغدر ، وحسن ، وقبح ، وحلاوة ، ومرارة ، واندفع بكل شبابه ، واحساسه يخوض لياليها ، وقد وفى للناس رغم العقوق والتجني :

ما أمر الحياة رهن كيان ... من عقوق وقسوة وسجن

ونفوس تغلغل الداء فيها ... ونما القدر بين لؤم وجبن

....

ووفى للكأس وكان يرى فيها الروضة ، والبلبل الشادى على غصن الآس وفى لها حتى غدرت به الكأس مثل الناس :

تعهدتها عمر الشباب ولم يدر ... ببالي أن الكأس في القدر كالناس

....

وأعطى للحياة شبابه ، ونور عينه ، وقد تمنى أن يعود شبابه من جديد حتى يحافظ عليه كما قال (١) :

فأقيم الضلوع سورا عليه وأشيد الذى هدمت وأبني
وأحامي عنه بأهداب عيني وحامي قلبي وعقلي مجني

ويستطرد أبو سلمى في تحليله فيقول :

" أما عيناه الغاليتان ، فقد شح بصرهما في آخر حياته ، وصاح بقصيدته - ظلمة العين - صياح الألم ، وتساقطت حوله المنى قطعا دامية ، لأن يد الظلماء حجبت عن نظره وجه الربيع ، وتراشق الأفنان بندى الصباح وقبل النسيم ، ومنعت رؤية وشاح الشمس فوق القمم ، وتشابه الأنوار والظلم ... ولكنه عزى نفسه بقوله : ان أفقد الدنيا وصورتها حسبي الضياء يشق من قلمي

....

وأحب الجمال : - وانا ذكر الجمال ، ذكر الهوى وقد أعطى كشاعر قلبه وعمره من معين الهوى والجمال :

أنا في البعد ، مثلما أنا في القرب محب وأنى الفؤاد مشوق

وكان يعد ككل شاعر حنان المرأة وجها من نعمة السماء على الأرض

ان من نعمة السماء على الأرض حنان الانثى وحب الغواني

......

وكانت تفتنه خضرة العيون ، وشروق الجباه حتى ليقسم بها :

يا حبيبتي بحق خضرة العيون وبياض منور في الجبين
تتجاوب الدنيا بعينك خضرة وتشع أنداء على الأهداب
ويموج حين يطل وجهك مقبلا ليل من اللذات والأحباب

....

وانا ذوى الجمال وخف الهوى - وأى شيء يبقى مع الأيام - التفت الى ماضيه بقلب موجع ، وذكر الهجر والحنين ، والماضي ، والوشاة ، والقباب والشباب ، ورأى الدنيا صحراء ، لا واحة فيها ولا ظل ولا ندى ، وليلا طويلا لا يخفق فيه

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابوسلمى - مجلة المضحك المبكي - دمشق - ٢ شباط ١٩٦٥

نجم وما قيمة هذه الدنيا اذا طالت :

ما لذة الدنيا اذا اتسعت أيامها وتمنر الحسب

أما حبه للوطن ، فيتجلى في جميع أقواله وأفعاله ، وفي حقوق الأسرة والاخوان ، ولوطنه لبنان وللمروبة . كان ميشال أبو شهلا مرجع الاخوان وصاحب النجدة لكل انسان ، وقد روى يوسف ابراهيم يزبك في مقدمته للديوان ، تلك المقدمة التي تفيض حبا واخلاصا وتقديرا للصديق القديم ، كيف كان يرسل آخر كل شهر الى ابن عمه حبيب في باريس مبلغا من المال طوال ثلاث سنوات دون أن يدري به أحد ، حتى باح حبيب بالأمر بعد رجوعه ، وكيف كان ميشال شيخ الشباب وزعيم المحلة لكل ابناء المصيطبة ولجميع قاصديه ، ما صد أحدا ولا رد قاصدا حتى اضطر الى هجر الدار التي ولد فيها وترعرع بسبب جور الأيام فما غير من نفسه ولا من مروءته ... " .

ويواصل أبو سلمى تحليله لظواهر شعر أبي شهلا فيقول :

" وعنده ، أن الأديب يمشي مصحوبا بهومه ، لابسا الأسى والشحوب ، ومع ذلك فلا يبالي ولا يجزع ولا يتغير ، وكيف يتغير ميشال وقد رباه أم حرة وأب كريم :

ولي الأدب الصافي وصيتي ناصع ويشهد ربي أنني لا أخادع
وقد رباني حرة وكريم

انه كالعامل الذي يزرع الارض بذورا ويرسل الماء نورا
الذي يلبس العروق حريرا والذي يخرج الرياض عطورا
أنا كالعامل الذي يؤثر الفقر اذا العيش لم يحل طهورا

....

أما حبه لوطنه لبنان - وهل أحد لا يحب لبنان - فقد كنت ترى ذلك الحب يترقرق في كل شعره ، فيمتص كبرياء الأرز ، والوادي الظليل المتشابك الأغصان ، والنسيم الواهي الخطى ، المخضل الأردان بشذى الصباح :

يا موطنا من صخره وعرائه موج يميس وسلسل يتفجر
جبل السحاب من الضياء ترابه ورعى منابته الربيع الأزهر

....

وهو يرى كأرثوذكسي قح - في لبنان وجها عربيا ، وقد سأل " غسانة الباروك " أن تنتسب فأجابت :

اني من ربى الباروك من جبل الهوى من معقل الفصحى الذى لا ينكر
عرب نصارى ما تغير وجهنا يوما ولا أخلاقنا تتغير

....

واللاجئ العربي الذى ناجاه ، وعده نازلا في فؤاده :

اني أخوك فخذني سيفا ليوم جهاد
وخذ لليلك نورا من مقلتي وزنادى
وخذ لبردك نارى وخذ لجوعك زادى
لنا العروبة دين هو الشعاع الهادى

ووصيته الى حفيده في آخر قصيدة نظمها : (١)

أراك ورثت اسمي فهلا ورثتني فتبذل للاوطان كل جهود
وتحيا كجندى نمته عروبة وايمان ابناء لها وجنود
سألتك أن تهوى العروبة مؤمنا بموطن عز طارف وتليد
وتحفظ ارث الضاد وهو رسالة نورثها من والد لوليد

وفي نهاية التحليل ، يوجه ابو سلمى نداء لولد الشاعر " فريد " فيقول:
" وبعد ، فماذا اقول عن أنفاس العشيات ، وعن ميشال أبي شهلا (٢) ..
وهل أفيهما حقهما مهما قلت ، ان ذكرى ميشال نجم من هذه النجوم التي غربت وبقيت أنوارها تضيء في آفاق القلب . لقد قال في قصيدته الى ولدى :

فاذا مت قلت للناس كان لي أب وعاش عمره انسانا

أجل يا فريد ، لقد عاش ابوك الشاعر ميشال أبو شهلا ، طول عمره انسانا (٣).

......

وهكذا ، فقد تناول أبو سلمى ، ديوان العشيات ، بالتحليل الموجز ، محاولا أن ينصفه من خلال المضامين والافكار التي تحدد اتجاهاته ، وتكشف عن نفسه ،

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - مجلة المضحك المبكي - دمشق - ٢شباط ١٩٦٥
(٢) المرجع السابق
(٣) المرجع السابق

وقيمه الانسانية ، وقد كنا نرتجي منه أن يتعرض في تحليله ، للخصائص الفنية في شعر أبي شهلا فيضيء لنا جوانبها ، حيث ان الافكار ، والمضامين التي يحويها النص الشعري ، أو يوحي بها ، ليست بأية حال هي الهدف الوحيد أو الغرض الرئيسي منه .. بل هي الوسائل التي تتحرك على قدم المساواة مع الخصائص الفنية المرتبطة بالنص . وقد وقف الناقد في تحليله للديوان عند الافكار والمضامين دون أن يتعداها الى غيرها . واكبر الظن أن أبا سلمى أراد أن يجلي للقارئ صورة لأبي شهلا الانسان من خلال شعره مكتفيا بهذا القدر من التذوق والتقييم .

ومهما يكن الأمر ، فقد أجاد في تناول مضامين أبي شهلا وقيمه الجمالية والوطنية والقومية والانسانية ، لأنه تناولها في شيء من التحديد ، وتقف عند تحديده لهوية لبنان العربي كما يراه ابو شهلا فنلمح الوجه العربي الأصيل للشعراء والكتاب والمفكرين من نصارى لبنان بما أضفوه على اللغة والأدب العربي من أياد بيضاء واغناءات مشرقة . ونعتقد أن في تركيز أبي سلمى على هذا المضمون تأكيدا على دور أبي شهلا في هذا المجال القومي . فقد حرص ميشال أبو شهلا في معظم شعره على توكيد الوشائج الحميمة ، وشائج الدم والتاريخ والفكر والثقافة والمصير بين لبنان وأشقائه العرب أينما كانوا من أقطارهم[1]

....

كان ميشال ابو شهلا أحد عشرة أعضاء من عصبة " العشرة " فكانوا يجتمعون في ادارة جريدة المعرض ويلتئم من جمعهم مجلس أدب وندوة فكر وميدان نقد ، ومن أعضاء هذه العصبة : ميشال ابو شهلا ، كرم ملحم كرم ، يوسف ابراهيم يزبك ، تقي الدين الصلح ، خليل تقي الدين ، توفيق يوسف عواد ، عبدالله لحود والياس ابو شبكه .

---

(١) غسان خالد الغفالي - مراحل التطور في الشعر اللبناني - مجلة الرسالة بيروت - السنة الثالثة - العدد الثاني عشر ١٩٧٥

مع ابراهيم طوقـان :

جمعت بين أبي سلمى وابراهيم طوقان صداقة قوية وربطت بينهما ذكريات جميلة محببة تنطوي على مرح الشباب وروح الشاعر المتوثبة ، ولا غرو أن تكون كتابة ابي سلمى عن صديقه ابراهيم من المصادر الهامة لأدب ابراهيم وشعره .

وتجيء هذه الدراسة مؤكدة لصحة رأينا هذا لأنها تميط اللثام عن كثير من المواقف التي ما كنا لنعرفها لولا أبو سلمى .

يقول أبو سلمى في حديثه عن ابراهيم " ان اول قصيدة مبتكرة وقوية لفتت اليه الأنظار هي قصيدة " ملائكة الرحمة " التي نظمها عام ١٩٢٤ عندما مرض ابراهيم في الجامعة الامريكية وعاد الى نابلس أثناء السنة الدراسية وقد نظم تلك القصيدة عن الممرضات ومهد لها بوصف الحمام الذي اغرم به ابراهيم منذ صغره عندما كانت تحط أسراب الحمام على بركة الدار[1] وعن أغراضه الشعرية يقول أبو سلمى :

" عزف ابراهيم على جميع الأوتار الشعرية وكانت أوتار الغزل والوطنية والهجاء والمجون والرثاء أعلى الأوتار لحنا وأسماها ايقاعا " .

أما الغزل فقد ابتدأه عابثا ثم ابتلاه الله بالهوى الاول العاصف في بيروت عام ١٩٢٦ بالطالبة الفلسطينية ماري صفوري :

أول عهدي بفنون الهوى بيروت أنعم بالهوى الأول

كان ابراهيم في هذا العام يطير بأجنحة الشوق بالشعر والصبا وكانت قصائده الغزلية تنفذ من أفق الجامعة الى أفق بيروت فالأفق العربي الأدبي وكان يدلف مع الصباح الى غرفته في الكولج هول التي كانت تطل على مبنى بوابة الجامعة ليرى فتاة أحلامه فيقول :

بكوري عند شباكي لأنشق طيب ريّاك
مررت وقبل مر الناس هل أبصرت الاك
وأخشى أن يرف الجفن يحرمني محياك

(١) عبدالكريم الكرمي ـ ابوسلمى ـ الشعرالفلسطيني ـ محاضرة القيت في النادي العربي سنة ١٩٧٥

ويأتي طالب الى الجامعة - فلسطيني- فيستثقله ابراهيم وينفر منه وكانت له حساسية غريبة تجاه الثقلاء ، فقيل له الا تعرف من هذا انه ابن عمها وسرعان ما أصبح في نظر ابراهيم خفيف الدم وصار رحمه الله يطرفه وقال :

كثير السلام على ابن عمك	يوم قيل هو ابن عمك
أضحى يطاق وهل يطاق	لو أنه من غير قومك
سبحان من جعل ابن عمك	سلّما يرقى النجم...

شغلت فكره وقلبه هذه السمراء الفلسطينية وأخذ يقول الشعر كما يتنفس ، سار مرة أثناء العطلة الصيفية مع رفاقه في شارع الشهرة بنابلس واذا ببائع رمان ينادي ، ناهدي يا رمان من كفر كنه يا رمان فاسرع الى البائع واشترى بالخمسة قروش التي كان يملكها رمانا وزعه على رفاقه وقال :

جزت بالحي في العشي فهبت	نسمة أنعشت فؤادي المعنى
قلت منها وروحت انظر حولي	مثل النهود لو هي تجنى
واذا أطيب جني من الرمان	نظرات الملهوف يسرى ويمنى (١)

ويحدثنا أبو سلمى عن غزليات ابراهيم ومجونه فيقول : " وكتب زكي مبارك مقالا ممتعا في جريدة البلاغ القاهرية عن مجانين ليلى بكفر كنا التي اشتهرت بنوعين من الرمان وعذب شعره الغزلي وجيلا ، وكان في بادئ الأمر يقول :

وأما وعندك والقوى السحرية المتحجبة
ما رمت أكثر من حديث طيب تفرك طيبه

حتى تجاوب القلبان وحتى قال :

قم حبيبي واطفئ المصباحا	قد أباح الهوى لنا ما أباحا

وحتى قال :

لم ألق بين لياليّ التي سلفت	كليلة بتها في دير قديس
أضم حسناء لم يخلق لها مثل	بين الحسان ولا حور الفراديس

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - الشعر الفلسطيني - محاضرة القيت في النادي العربي سنة ١٩٧٥ .

ما عوش بلقيس في ابان دولتها ولا سليمان مزفوفا لبلقيس
يوما بأعظم منا في السرير وقد دام العناق الى قرع النواقيس
ثم تزوجت بآخر طوعا لأهلها وبقي الجرح داميا ولم ينسها على مر الزمن

ويذكر أبو سلمى أنه قال له مرة كبرت يا ابراهيم فقال :

طير الصبا ولّى وكان لي جار
قلت له هلا تعود للدار
فقال لي كلا وطار
أظنه ملّا مني الجوار

....

الى أن يقول :

قال أبو سلمى زين اترابي
صباك قد همّا خل التصابي
فهاج بي غمّا أقل مما بي
قلت نعم حتما وغاب أحبابي (١)

ويستطرد ابو سلمى فيقول : " ولم تستطع الليالي محو آثارها في قلبه زار القدس مرة بعد ما عبثت بهما يد النوى وكل سار في طريق وسرت أنا وإياه في طريق دارها وانا بهما يتلاقيان وجها لوجه فتركتهما وسرت في دربي وانتظرت بعيدا وتركتهما يتحدثان ولا أنسى بعد ما ودعها قفزاته في الهواء كأنه طفل يطير . وقال لقد نادتني باسمي باللهجة التي كانت تقولها لي عندما كنا في الجامعة وملنا الى قهوة وانا به يتناول ورقة وقلما ويكتب قصيدة منها هذه الأبيات :

ان عبد الكريم رد حياتي بلقيا ضنّت بها الأعوام
انه في خياله مثل عيسى ليس منه عيسى عليه السلام
يا رسول الهدى صحابتك المشتاق طرا وحزبك الآرام
هيمة لو حننت يوما قواما هلك الكاشحون واللوّام (٢)"

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - الشعر الفلسطيني - محاضرة القيت في النادي العربي بدمشق سنة ١٩٧٥

(٢) المرجع السابق

وعن شعره الوطني يقول أبو سلمى :

" لقد عالج ابراهيم مشكلات الشعب العربي في فلسطين ، مخظمها مشـكلات الشعب العربي وسجل خواطره تسجيلا أمينا وبعد أن يذكر ابو سلمى شواهد مـن شعره الوطني يقول : " وليس هنا مجال لايراد جميع النواحي التي ابرزهـا ابراهيم ولكنني أريد أن أقول ليس هناك شاعر في البلاد العربية سجل حـوادث وطنه بصدق وبيان كما سجلها ابراهيم .

أما الهجاء فانني أعتبر ابراهيم من اوائل الهجائين في الشعر العربـي يعينه في ذلك بديهة سريعة ،ونكتة جارحة ،وسهولة في النظم،وشدة احساس ، ولا أستطيع أن أسرد بعض هذا الهجاء الذى لم تعرفه البلاد منذ عهد ابن الرومـي وأبي نواس وحماد عجرد ، كان رحمه الله يتبرم بالثقلاء ولا يستطيع أن يسمع باسم أحدهم أو يراه حتى يضيق صدره ، جئته مرة ، وكنا متواعدين على اللقيـا في مقهى بالقدس فوجد أمامه ورقة يكتب عليها ، قلت له ما هذا ؟ فقال أهجو الثقلاء المنتشرين في الأرجاء مع بلدانهم ، واسمعني قصيدته المعروفـة " أثقل الثقيلـين " .

أما خفة الدم والظرف فحدث عنهما ولا حرج ، وكان لظرف والدته، طيـب الله ثراها أثر كبير فيه ، لم يفارقه ظرفه في أحرج أوقاتـه .

مرض مرة في بيروت واحتاج الى نقل دم له فلما اراد الطبيب اجـراء عملية نقل الدم له قال :

وطبيب رأى صحيفـة وجهـي	شاحبا لونها وعودى نحيفـا
قال : لابد من دم لك نعطيـه	جديدا ملء العروق نظيفـا
لك ما شئت يا طبيب ولكـن	أعطني من دم يكون خفيـفـا

كان الشعر يعكس انفعالاته من غضب ورضى وحب وكـره ، لا يتكلف ولا يماري نفسه آلة موسيقية تحركها النسمة الهوائية ولا يجبر نفسه على سلوك طريـق ينفر منهـا .

وكان يعيش حياته الشعرية ، سمى ابنة اخيه أحمد باسم " فوز " عندما كان مولعا بالعباس بن الأحنف وسمى ابنة اخته " نزيهة " لأنه تغزل بفتاة بيروتية اسمها " نزيهة أيضا كما سمى ابنته " عريب " باسم المغنية الشاعرة التي فتنت سبعة خلفاء .

وكان في رثائه للناس يرثي وطنه فلسطين ، عندما رثى شاعر العرب الكاظمي بقصيدته :

سل جنة الشعر ما الذى بدوحتها حتى خلت من ظلال الحسن والطيب

قال :

يا رائدا كل أرض أهلها عرب يجتازها نضو تصعيد وتصويب
ومنهدا عندهم علما ومعرفة يخالهم بين ادلاج وتأديب
هل جئت منهم أناسا عيشهم رغد أم هل نزلت بقطر غير منكوب
أم أي راع بلا ذئب يجاوره ان لم تجد راعيا شرا من الذيب

....

كان يحاسب نفسه كثيرا ، كتب مرة معلقا على قصيدة نظمها وكان مزهوا بها فمزقها أخوه أحمد وسعيد تقي الدين (بعد ذلك كنت مع نفسي قاسيا عنيفا أمزق القصيدة حين أشعر بالتكلف يدب فيها . وأقف موقف الناقد الهدام أحطم شعرى بيدى أو أبديه وأنا راض عنه[1]) .

مع عبد الرحيم محمود :

يتحدث أبو سلمى عن صديقه عبد الرحيم محمود حديث المطلع على مفاتيح شخصيته المدرك لحقيقة دوره كشاعر ملتزم بهموم الانسان والوطن .

ولا يدع أن يدرك أبو سلمى كنه هذه الأبعاد وحقيقة دوافعها ، فهو قد عاش مع عبد الرحيم محمود وابراهيم طوقان وشعراء المرحلة الآخرين ، ذلك الصراع

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - الشعر الفلسطيني - محاضرة القيت في النادى العربي بدمشق سنة ١٩٧٥

العنيف مع الواقع الاجتماعي والاقتصادي والحضاري في بلاده فلسطين ، وأسهم معهم بالكلمة المقاتلة والقصيدة الثائرة مسجلين كل حدث من أحداث القضية ، مستنهضين العزائم للكفاح مستمدين هذه التطلعات والممارسات من حركة التاريخ ، ومن التطور الطبيعي للانسان والحياة والكون .

يتحدث أبو سلمى عن شخصية عبدالرحيم محمود فيقول :

" بين طولكرم ونابلس في فلسطين الوطن الغالي تقع " عنبتا " وفي هذه القرية وذلك عام ١٩٣٥ احتشدت جموع الأهل لاستقبال أحد أمراء العرب ، وفي وسط تلك الجموع وقف شاب لوحت الشمس وجهه واكسبته تلك السمرة الحلوة ، طابع الوطن العربي ، وقوست الجبال قامته فشمخت ، وقف ينشد شعرا :

المسجد الأقصى أجئت تزوره أم جئت من قبل الضياع تودعه

تلقفت الجموع هذا البيت الشعري ثم انتشر على كل لسان ورددت الشفاه اسم عبدالرحيم محمود هذا الشاعر الفارس ولد عام ١٩١٣ في تلك القرية " عنبتا " النائمة في ظلال ربوة يحف بها جبل " كفر اللبد " من الجنوب وجبل " بلعا " من الشمال وتشقها من الشرق الى الغرب طريق نابلس - طولكرم .

نشأ عبد الرحيم محمود بين تلك السفوح والملاعب ، عربي القسمات والشمائل ، ووالده الشيخ محمود العنبتاوي من الشعراء الناقدين الظرفاء ثم درس عبدالرحيم دراسته الثانوية في كلية النجاح في مدينة نابلس ثم أصبح استاذا فيها يبث الناشئة محبة الأدب والوطن ، وكانت فلسطين اذ ذاك ينتابها انتدابات خطيرة وتحيط بها الدسائس من كل جانب .

ونشبت الثورات في فلسطين ، وسارت فلسطين على اللهيب يتقلب ابناؤها على اللظى وكان عبدالرحيم محمود في طليعة هؤلاء الابناء ، تدفعه روحه الثائرة الى النضال الدائم لأنه كان يرى الظلم أساس فساد الكون وانه لا تجمل الحياة ولا يسعد العالم الا بعد محوه .

اشترك عبدالرحيم بالثورات متنكبا بندقيته ، وعرفت سهول فلسطين وهضابها الثائر الأسمر الشاعر الفارس ، ثم تعاونت قوى الظلم على تلك الثورات

وأغمدتها الى حين وتشرد الفرسان والتجأوا الى البلاد العربية وكان العراق من نصيب شاعرنا ، وهل ينسى عبدالرحيم وطنه ولو كان في أرض عربية ، انه يتمثل له في كل منظر ويسرى مع كل خاطرة .

وتحققت أمنيته وعاد الى فلسطين بعد ذلك أقوى مراسا وأصلب عودا وأشد ايمانا بشعبه الذى تمرس بالصعاب ، واتسع أفق عبد الرحيم لا بالثقافة العالية ولا بالخفة الرقيقة ولكن ثقفته الحياة وكونت أخيلته وتجاوبت مع نفسه المنطلقة الى حياة أفضل كلها خير وجمال وسعادة ونقلت ريشته صورا رائعة عن الحياة جعلتها هذه النفس الشاعرة مع المعذبين .

وعن التفاعل بين شخصية عبدالرحيم وشعره وانعكاس الواقع الاجتماعي والحضاري على فنه يحدثنا أبو سلمى فيقول :

" رأى عبدالرحيم يوما حمالا ميتا في حيفا وبجانبه سلة وحبلة على قارعة الطريق يمر به الناس فلا يأبهون فقال من قصيدة :

لقد عشت في الناس غريبا وها	قد مت بين الناس موت الغريب
والناس قد كانوا ذوى قسوة	وليس للبائس فيهم نصيب
لو كنت في حبلك شنا قهم	لولولوا حزنا وشقوا الجيوب
أو كنت من سلك رزاقهم	لقام عند السل الفا خطيب
ونزهوا حبلك من عيبه	وبللوا السل بذوب القلوب
لكنك الحمال لم يطمعوا	فيك ولم يخشوا أذاك الرهيب
فرحت لم يسكب عليك امرؤ	دمعا ولا قلب رقيق يلوب (١)

....

وينتقل أبو سلمى من هذا الموقف الاجتماعي الذى يصور انسانية عبدالرحيم ، الى الحديث عن تفاؤله وتمسكه بالحق والمبدأ مبينا أن ذلك نابع عن ايمانه بالشعب وحده ، فيقول :

" بين جميع الأحداث يقف عبدالرحيم ضاحك القسمات ، طلق الأسارير تلتمع ابتسامة الأمل على شفتيه وكأنه أمل شعبه ، هذا الشعب الذى لم يحمل

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - الشعر الفلسطيني - محاضرة القيت في النادى العربي بدمشق سنة ١٩٧٥ .

السيوف الا لدفع الظلم ورد الحق الضائع ونصرة الضعيف :

نحن لم نحمل السيوف لهدر | بل لاحقاق ضائع مهدور
نحن لم نرفع المشاعل للحرق ولكن للهدى وللتنوير
نحن لم نطعن الضمير ولكن | بقنانا انحنى طعين الضمير

كان يؤمن بالشعب وحده ، هذا الشعب العربي العظيم الذى استجار الحق به في التاريخ فكان الغياث المستجير ، وقام برسالة الحق والحرية ، أما الزعامات الجائرة فكان كافرا بها لأنها تضلل الأمة وتشغلها عن امورها الحيوية بالترهات .

امتي ان تجر عليك الزعامات | فلا تيأسي دروبها وسيري

ما فتر عبدالرحيم يوما عن الاشادة بفلسطين فكان أبر فتى لأقدس أم ، حمل جروحها بين جنبيه فكانت تنتزى دما خلف الضلوع ، وعبقت نسائمها في شعره فكانت أغانيه عطرة بالانسام عبقة من نفح السفوح ، حزينة بألوان المروج .

وهكذا توجت انغام الشاعر الفارس على روابي فلسطين ، وحمل روحه على راحتيه وسار في دروب فلسطين المخضبة ، دامي القدمين ينشر أشعاره على الجنبات وفيها خفوق قلبه حتى اذا التفتت اليه تطلب المزيد قدم لها حياته :

سأحمل روحي على راحتي | والقي بها في مهاوى الردى
لعمرك اني أرى مصرعي | ولكن أغذ اليه الخطى
أرى مقتلي دون حقي السليب ودون بلادى هو المبتغى

....

ان جسم عبدالرحيم محمود يعجز عن حمل هذه الروح الثائرة ، وما قرأت يوما أبياته هذه التي يرى فيها مبتغاه جسما مجندلا في القفر تنوشه جوارح الطير وما قرأت أبياته التي يقول فيها (١) :

وحي عسب مثقل عاتقي | أيان الق العبء عن عاتقي
تغلو على الناس ولكنني | أبيعها للناس بالدانق
يا ليتني أشلاء في مهمه | مناشة الناعب والناعق

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - الشعر الفلسطيني - محاضرة القيت في النادي العربي بدمشق سنة ١٩٧٥

أقول ما قرأت هذا الشعر الا تخيلت أنه أحد فرسان الخوارج وشعرائهما .
ويأبى القدر الا أن يحقق الميتة التي تمناها الشاعر الفارس ، ففي حوالي منتصف عام ١٩٤٨ ولم يعد يسمع في فلسطين الا صدى طلقات متفرقة في لواء الجليل كنت مارا بجانب نهر بردى في دمشق ، اذا بالشاعر الفارس عبدالرحيم محمود أمامي واقفا وتحدثنا طويلا وأخبرني أنه يقيم في فندق الجمهورية بالسنجقدار ثم افترقنا وانا معجب بهذه الفتوة العارمة التي تحمل خمسة وثلاثين عاما ، وهذه الثورة التي لا يزال يطل وهجها من عينيه ، ومضى ما يقرب من شهر وقد شغلتني الدنيا عن السؤال ثم عدت وسألت عن عبدالرحيم في الفندق فقيل لي لقد ذهب ، وعاد الى فلسطين وفي عصر يوم كئيب ، دخل عليّ في المكتب صديق لم أره بعد النكبة ، قال جئت أعزيك بعبد الرحيم لقد سبق الشهداء الى الجنة فذهلت ، واتم الصديق حديثه وقال : لم تطق نفس عبدالرحيم أن يبقى لاجئا خاملا في دمشق فالتحق بفلول جيش الانقاذ كضابط في جبال الجليل وحصلت فتنة بين أهالي الناصرة فذهب الى الناصرة وأصلح ذات البين وطلبوا اليه أن يتناول الغداء عندهم فأبى وقال لا أستطيع البقاء الآن ، هناك في قرية الشجرة تدور معركة بيننا وبين الغاصبين ثم ودعهم وسار الى معركة الشجرة وسقط شهيدا وتجندل جسمه في الصعصان كما تمنى وتناوشته الجوارح واثقل بالعطر ريح الصبا كما أراد [١].

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - الشعر الفلسطيني - محاضرة القيت في النادي العربي بدمشق سنة ١٩٧٥ .

مع شعراء الأرض المحتلة :

يعرف أبو سلمى الفلسطينيين الصامدين داخل الوطن المحتل والفلسطينيين الذين يعيشون في المنافي خارج الوطن المحتل بقوله :

" نحن كلنا دائما مثل سكان قرية بيت صفافا قبل نكبة حزيران ، تلك القرية العربية القريبة من القدس ، والتي كانت الأسلاك الشائكة تفصل بين أهليها منذ عام ١٩٤٨ .

فجزء في الوطن المحتل وجزء في الضفة الغربية ، المدرسة في قسم والجامع في قسم آخر ، الابن في ناحية والأب في ناحية أخرى ، ولكنهم كانوا جميعا ابناء اسرة واحدة يتشاركون في الاعراس والمآتم ثم يسيرون معا في المسيرة الدامية(١) " .

ويرى أبو سلمى في دراسته التقييمية والتفسيرية لشعر الأرض المحتلة ان أهم ما في شعر المقاومة هو الفلسطينية ، ففيه نكهة فلسطين ويستشهد على ذلك بقول محمود درويش " ان أهمية شعرنا الموضوعية ، تكمن في التحام هذا الشعر بكل ذرة من تراب أرضنا الغالية بصخورها ووديانها وجبالها وأطلالها .. وانسانها الذى قاوم ولا يزال يقاوم الظلم والاضطهاد ومحاولات طمس الكيان والكرامة القومية والانسانية ، واخوتنا خلف الحدود شموا من خلال كلماتنا عبير البرتقال ورائحة الأرض المحتلة بالعرق والعطر والدم (٢)" .

ويستطرد أبو سلمى فيؤكد هذا المفهوم بقوله :

" وهكذا يتجددون في أرض الأجداد في شبابة راع في أريج الزعتر والعشب البرى فالامتزاج بالارض الفلسطينية أكسب هذا الشعر رائحة الأرض الفلسطينية وعطر كرومها وطعم زيتونها ، حتى أن هؤلاء الشعراء أحسوا بأن جلودهم هي من أديم هذه الأرض ، يقول محمود درويش :

هذه الأرض جلد عظمي ، وقلبي فوق أعشابها يطير كنحلة

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - من محاضرة له في المركز السوفييتي بدمشق عام ١٩٧٦

(٢) المرجع السابق

من هذه المجازر التي يعتز المجرمون بأنهم مرتكبوها ، هذه المجزرة جرى دم شعرائنا فيها وفي شعرهم . يقول سميح القاسم :

كل ما قلناه يا هذا قليل
والذي في القلب في القلب .... ومن جيل الى جيل
والى أن يبعث النهر وتشدو في أغانيّ الحمائم
املأ الدنيا هتافا لا يساوم
كفر قاسم ، كفر قاسم ، كفر قاسم
دمك المهدور ما زال وما زلنا نقاوم

ويقول توفيق زياد :

ألا هل أتاك حديث الملاحم — وذبح الأناسي ذبح البهائم
وقصة شعب تسمى — حصاد الجماجم
ومسرحها قرية أسمها كفر قاسم (١)

....

أما الخاصية الثالثة في شعر الأرض المحتلة فيقول ابو سلمى " انها تتمثل في ذلك الحرص على الكلمات والتعابير والامثال الفلسطينية الأصيلة ، فترى في شعرهم ومقالاتهم رقصات الشمراوية ، والمد ، وحاكورة التين والنخلة ، والسبلة ، والليجن والمسل "(٢) .

وفي الأمثال الفلسطينية يقول توفيق زياد :

" عن جدنا الأول ... قد جاء في الأمثال : واوى بلع منجل
كل ما تجلبه الريح ... ستذروه المواصف ، الذي يغتصب الخير يعيش العمر خائن .
عندما مروا صباحا فوقها — همست شجرة توت
المسوا بالنار ما شئتم — فلا حق يموت "(٣)...

---

(١) عبدالكريم الكرمي ـ ابو سلمى ـ من محاضرة له في المركز السوفييتي بدمشق عام ١٩٧٦ .

(٢) المرجع السابق

(٣) المرجع السابق

ولعشقهم هذا التراب أحبوا عقد موتهم أن يلتصقوا به ويتمددوا عليه دون لحد ، يقول سالم جبران :

يا اخوتي !
ان مت مدّوني على الأرض
بلا قبر ، بلا لحد
وخلوني شهيدا في عناق التربة الشهيدة »(١)

أما الخاصية الثانية لشعر الأرض المحتلة كما يراها أبو سلمى فهي أنه مع الجماهير في صمودهم ومقاومتهم للاحتلال ورفضهم للانصهار في بوتقته ، يقول أبو سلمى :

« قام هؤلاء الشعراء ... من القماط الى المعركة كما يقول توفيق زياد وقوة شعرهم أخذوها من الرابطة العضوية المتينة مع شعبهم وقضيته وكفاحه ، دميت أقدامهم وأظافرهم وهم يسيرون ويحاربون معه منتصبي القامات ، وافصي الجباه لقد كانوا معه عندما تمددت أجساد فلاحيه أمام التراكتورات في كوكب ابو الهيجا ، وكفر مندا ، وغيرها لتصون تراب البطوف ، وكانوا مع السواعد المفتولة التي دافعت عن حدائق الرخام في الشاغور ، لقد وقفوا مع الصدور التي كانت سدا حول كل مدينة وقرية ضد تشريد أبناء شعبهم ، يقفون أمام أكبر عصبة مجرمة لم ينحن رأس ولم يجدع لهم أنف .

يقول سميح القاسم :

حاربوني بالمنافي .... أتحدى
فندوا الحبّة بالأحقاد والزنزانة الخرقاء ... اني أتحدى
ألبسوا الطاعون والحزن وأبقى أتحدى
اقطعوا زندي ... بالصدر المدمّى ... أتحدى

فشعراؤنا اذن يحملون جروح وطنهم في قلوبهم ومآسي شعبهم في عيونهم كل مجزرة يعيشونها لأنهم هم أنفسهم أبناء المجزرة ، مجزرة كفر قاسم واحدة

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - من محاضرة له في المركز السوفييتي بدمشق عام ١٩٧٦ .

والخاصية الرابعة لشعر الأرض المحتلة فهي كما يرى أبو سلمى تتمثل في التأكيد على العروبة يقول أبو سلمى :

" ولما كانت فلسطين جزءا من العالم العربي فان شعراءنا يتحسسون هنا العالم العربي وثوراته ، ولم يعتبروا أنهم أقلية مطلقا في الوطن المحتل يقول توفيق زياد :

يقول الدعيون والغاصبون بأنا أقلية سوف تجلى
والا سنغنى اضطهادا وذلا ولكن .. أقلية نحن .. كلا
ومليون كلا ... فنحن هنا الأكثرية

....

ولسميح القاسم قصيدة طويلة وجميلة بعنوان " ليلى " يصف الثورة اليمنية ولكنه يرى فيها كل البلاد العربية ، ابتدأها بقوله :

شاءها الله شهيه ... شاءها الله فكانت كبلادى العربيـة

شعرها ليلة صيف بين كثبان تهامه ... مقلتاها ... من مهاة يمنيه

فمها من رطب الواحة في البيد القصيه ، عنقها ، زوبعة بين رمالي الذهبيه

صدرها نجد السلامه .. يحمل البشرى الى نوح ... فعودى يا حمامه ..."(١)

ويقول توفيق زياد تضامنا مع الاضراب الجبار الذى بدأه في ٢٨ / ٤ /١٩٧٠ الوف سجناء الكفاح في الوطن ضد الاحتلال الاسرائيلي من قصيدة بعنوان : " الحرية أو الموت " :

هذه أغنية ... للعشرة آلاف سجين في قلب سجونك ، يا اسرائيل الكبرى والصغرى

هذه أغنية ... للعشرة آلاف ربيع ، مشتاقة للأرض السمرا

هذى أغنية للأيدى المسحوقة ، بالأغلال الدموية تتحدى الأغلال الدموية

وفي قصائد شعرائنا في الوطن المحتل نجدهما تخفق مع قلب كل بلد عربي نجد دمشق هنا ميسلون ، يا بنت عمي يا دمشقية وتجد بغداد والسودان واليمن وليبيا والقاهرة والجزائر في قلوبهم تنبض العروبة وكما يقول سميح القاسم :

مثلما تغرس في الصحراء نخلـه مثلما تطبع أمي في جبيني الجهم قبله

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - من محاضرة له في المركز السوفييتي بدمشق عام ١٩٧٦

مثلما يلقي أبي عنه العباءه ويهجي لأخي درس القراءه
مثلما تبسم للعاشق نجمه مثلما تمسح وجه العامل المجهد نسمه
مثلما يحمل تلميذ حقيبه مثلما تعرق صحراء خصوبه
وهكذا تنبض في قلبي العروبه

انهم يدافعون عن عروبتهم امام طاغوت يريد أن يمحو كل سمة عربية في أرض فلسطين " (١).

أما الخاصية الخامسة لهذا الشعر " فهي " التعلق بالزيتون والبرتقال والتين ، يقول ابو سلمى :

" هذا الزيتون الذى يلون شعر المقاومة بالخضرة والأصالة هو رمز لأرض فلسطين ، حتى ان محمود درويش سمى ديوانه الثاني " اوراق الزيتون " ولا تجد شاعرا من شعرائنا في الوطن المحتل الا وشجرة الزيتون المباركة تباركه وتبارك شعره .

والزيتون يعانق الأرض الفلسطينية وخاصة أرض الجليل منذ الأزل والى الأزل فهو يعانق الأرض الفلسطينية وتمتد أطرافه الى أعماقها ، فهما لا ينفصلان، والزيتون مرتبط بالفلاح الفلسطيني ، وبالقرية الفلسطينية والأرض الفلسطينية، تنام العصور تحت ظلاله والى جوار الفلاح ، يقول محمود درويش : " ان اهتمامي بالزيتون مستوحى من واقع الانسان الذى غرس هذه الشجرة منذ القديم ورعاها وسقاها بالعرق والأمل منتظرا ثمارها ، هذه العلاقة بين الزارع والشجرة تحمل مدلول استمرار الحياة والأمل والوطنية " .

فالتعلق بالزيتون هو التعلق بالتراب الفلسطيني ، ونعرف كيف يتعلق الفلاح الفلسطيني بزيتونه ويرعاه بعرقه وأمله فيرعاه الزيتون بزيته وحطبه وظله .

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - من محاضرة له في المركز السوفييتي بدمشق عام ١٩٧٦

هذا الزيتون لأنه كل ذلك في نظر الفلسطيني ، فقد أخذ الاسرائيليون يهاجمونه كأنه أكبر عدو لهم ، وهو بالفعل من أشد أعدائهم لأنه يشير الى تاريخ عروبة فلسطين وقدم هذا التاريخ . وكرم الزيتون وبيارات البرتقال وحواكير التين معالم بارزة في الشعر الفلسطيني وهي أثمن ما يملك الفلسطيني، يقول محمود درويش :

لك مني كل شيء

خاتم العرس وما شئت

وحاكورة زيتون وتين

أما توفيق زياد فيرى في الزيتون غاية ثورية نبيلة " تعلمون أن مدام دي فارج " كانت ابان الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ تحيك بالصوف أسماء أعداء الشعب الافرنسي لتقتص منهم الثورة ولكن توفيق زياد سيحفر أسماء أعداء الشعب العربي الفلسطيني على جذع زيتونته الفلسطينية الموجودة في ساحة داره فيقول :

لا أحيك الصوف ... لأني كل يوم عرضة لأوامر التوقيف

وبيتي عرضة لزيارة البوليس للتفتيش والتنظيف

لأني عاجز أن أشترى ورقا

سأحفر كل ما القى وأحفر كل اسرارى

على زيتونة في ساحة الدار

وبعد أن يقول بأنه سيحفر قصته وطول مأساته وآماته ويحفر كل قسيمة أرض سليب وموقع قريته وحدودها وبيوت أهليها وأشجاره التي اقتلعت وكل زهرة برية سحقت ويحفر أسماء الذين تفننوا في لوك أعصابه وأنفاسه ويحفر أسماء السجون ونوع كل كلبشة شدت على كفه ، ودوسيهات حراسه ، وكل شتيمة صبت على رأسه .(١) "

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - من محاضرة له في المركز السوفييتي بدمشق عام ١٩٧٦ .

والخاصية السادسة من وجهة نظر أبي سلمى تتمثل بأن شعر المقاومة هو شعر أبناء الفلاحين ، يقول أبو سلمى :

" ان الشعراء الذين يمثلون شعر المقاومة في الارض المحتلة ، أحسن وأبرز تمثيل هم الاعزاء الأربعة : محمود درويش ، وتوفيق زياد ، وسميح القاسم ، وسالم جبران وجميع هؤلاء أبناء فلاحين .

يقول محمود درويش :

كان فيها أبي يربي الحجارا — من قديم ويخلق الأشجارا
جلده يدلف الندى — بهدة تورق الحجر

ويقول أيضا :

أبي من أسرة المحراث — لا من سادة نجب
وجدي كان فلاحا — بلا حسب ولا نسب
ويبقى كوخ ناطور — من الأعواد والقصب

وتوفيق زياد وان كان من مدينة الناصرة فهو من الحارة الشرقية في الناصرة وسكانها هم من فلاحي مرج ابن عامر الذى شبت على حبه كما يقول توفيق أجيال لا تعد ولا تحصى وعاشت على خيراته .

وسميح القاسم ابن فلاح من قرية الرامة الواقعة في قلب الجليل الغربي في منتصف الطريق بين صفد وعكا ، وهي شهيرة بزيتها وزيتونها .

وسالم جبران ابن فلاح من قرية البقيعة المشرفة على قرية الرامة في الجليل ايضا وهو الذى يقول :

سريعا سوف آتيكم رفاقي — مثلما يركض للعين قطيع الماعز العطشان
سريعا سوف آتي البيت يا أمي — اعدى لي مجدرة وبعض البصل الاخضر والالبان

فهذه الطبقية الفلاحية أو النكهة الطبقية كما يسميها توفيق زياد ميزة مشرقة من ميزات شعرائنا في وطننا المحتل ، والفلاحون هم الغالبية الساحقة من الشعب العربي الفلسطيني التي صمدت عبر العصور صمود جبال أرضهم أمام العواصف .

يقول محمود درويش :

الأرض والفلاح والاصرار ... قل لي كيف تقهر

هذي الأقانيم الثلاثة كيف تقهر

كان لهؤلاء الشعراء فوق القوى والخصائص الكثيرة التي يملكونها قوتان كبيرتان ، الاولى ارتباطهم بجماهير الشعب ، والثانية تجربتهم الذاتية ، كجزء عضوي من التجربة العامة وهم لم يكتفوا كما يقول توفيق بالوقوف الى جانب جماهير الشعب وهي تصنع كفاحاتها وتدفع الثمن وانما اشتركوا معها جسمانيا في صنع تلك الكفاحات ودفعوا الثمن ، لذلك فان لشعرهم نكهة التجربة الذاتية الثورية ، وقد وجدوا أنفسهم كأبناء فلاحين جزءاً ملتحما بوطنهم . هذا الوطن الذي لم نبحث عنه كما قال محمود في حلم اسطوري ولم تصنعه كما تصنع المؤسسات بل هو الذي صنعنا هو أبونا وأمنا ولم نشتره من حانوت أو وكالة ولم يقنعنا أحد بحبه ، لقد وجدنا أنفسنا نبضا في دمه ولحمه ، ونخاعا في عظمه وهو لهذا لنا ونحن له[1]..." .

وعن الخاصية السابعة لشعر المقاومة التي يسميها " الأيديولوجية الثورية " يقول أبو سلمى :

" تبعا لنظرية " لا ثورة بدون "ايديولوجية" فان شعراء المقاومة يربطون تحررهم القومي بالتحرر العربي وبحركة التحرر العالمية ، فهم يعتنقون العقيدة الثورية الأممية ، وحفل شعرهم بأخوة الشعوب والتضامن الأممي ، فنجد التمجيد للثورات العالمية من فيتنام الى كوريا الى كوبا الى ثورات افريقيا وزنوج أمريكا ضد الاستعمار والتحرر الاجتماعي ، باعتبار أن الحرية في العالم وحدة لا تتجزأ وأن انتصارها في بلد من البلدان هو انتصار لها في انحاء الدنيا .

فمن حنا أبو حنا ... الى نبيل عريضة كلهم يتسلحون بالعقيدة الأممية الشيوعية ،ويشيدون بأهمية الحلف الجبار بين الاشتراكية ،وحركة التحرر

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - من محاضرة له في المركز السوفييتي عام ١٩٧٦ .

الوطني وأممية الصلة ـ كما يقول توفيق زياد ـ بين انتصار كفاحنا وشبابيك الأمل في الكرملين ، وتثقيف الشعب هناك بالروح الأممية وأخوة الشعوب في نظريته وكفاحه الأخوة الحقيقية ، أخوة الند للند ، لا أخوة الفارس والفرس ، يقول محمود درويش :

" كنت أتأثر بأي انتصار ثوري في أي مكان في العالم فأسارع الى تسجيل هذا الانتصار وحين شعرت أني أملك القدرة على أن أكون عضوا في الحزب الشيوعي دخلت اليه عام ١٩٦١ فتحددت معالم طريقي وازدادت رؤيتي وضوحا وصرت أنظر الى المستقبل بثقة وايمان وترك هذا الانتماء آثارا حاسمة على سلوكي وشعري " .

ويقول سميح القاسم : " صباح الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ اعتقلوني مع محمود درويش وآخرين . نتائج هذه الحرب كشفت أمام عيني أشياء كثيرة منها : أن الطريق الصحيح أمام حركة التحرر العربي هي ممارسة مبادئ الاشتراكية العلمية بشكل علمي ، كنت مؤمنا بنوع غامض من الاشتراكية ، أحداث حزيران كانت الحد الفاصل بين الايمان العاطفي والوعي ، في السجن نفسه سلمت على أحد أعضاء اللجنة المركزية وكان سجينا معي طلبت انتسابي الى الحزب الشيوعي وقد قبل طلبي (١) ... "

....

بهذه الخصائص السبع يبرز أبو سلمى الملامح العامة لشعر المقاومة الفلسطينية ، وقد عبر ابو سلمى بهذا التقييم والتفسير والتحليل عن الدور الذى يؤديه هذا الشعر في تأكيد حق شعبه في الحرية ومدى التحامه بالشعب والوطن ..

يقول أبو سلمى : قال لي المستشرق الافرنسي " اولفيه " انني أؤلف كتابا عن شعراء المقاومة في فلسطين وقد ابتدأت بالكتابة عن محمود درويش ، هؤلاء الشعراء هم الذين عرفونا بأن هنالك شعبا فلسطينيا يجب أن يعود الى وطنه فلسطين ، كنا نقول قبل أن نقرأ أشعار محمود درويش ورفاقه ، ان العرب الذين خرجوا من فلسطين يجب أن يعيشوا في البلاد العربية الواسعة ، أما بعد

---

(١) عبدالكريم الكرمي ـ ابو سلمى ـ من محاضرة له في المركز السوفييتي بدمشق عام ١٩٧٦

أن عرفنا هؤلاء الشعراء ، فقد أصبحنا نقول : يجب أن يعود الفلسطينيون المشردون الى وطنهم فلسطين ، وهكذا عرفنا قضيتكم من أشعارهم[1].. "

وهكذا يرى أبو سلمى في هؤلاء الشعراء الصامدين في لهيب المعركة وعلى أرضها انهم هم الذين يدافعون عن شرف الكلمة .. فيسجلون لوطنهم وشعبهم في هذا الميدان أروع آيات المجد والفخار .

مع الدكتور عز الدين اسماعيل :

تناول الدكتور عزالدين اسماعيل في بحث له موضوعه " النسيب في مقدمة القصيدة الجاهلية "أهمية التعمق في دراسة الشعر الجاهلي وتحليه وتفسيره من الوجهة النفسية . واختار ظاهرة واحدة من بين الظواهر الحديدة التي تؤكد أصالة الشعور والتعبير فيه وهي ظاهرة " مقدمة النسيب " التي تستهل بها القصائد الجاهلية ، ودعا الى النظر الى مقدمة النسيب في القصائد الجاهلية على أنها كانت تعبيرا عن أزمة الانسان في ذلك العصر في موقفه من الكون وخوفه من المجهول ، واكد الدكتور عزالدين اسماعيل أن مقدمة النسيب لم تكن مجرد وسيلة فنية يجذب بها الشاعر قلوب الناس وأسماعهم اليه ، كما يرى ابن قتيبة في كتابه " الشعر والشعراء " بل كانت جزءا حيويا في تلك القصائد ان لم تكن أكثر اجزائها حيوية [2] " .

تصدى أبو سلمى لهذا البحث في مقال له موضوعه :" توارد خواطر أم تناقل أفكار " بقوله : " وما أن انتهيت من قراءة هذا البحث الجديد حتى شعرت أنه لم يكن جديدا عليّ ولا غريبا وبعد قليل تذكرت المحاضرة القيمة التي ألقاها المستشرق الالماني " فالتربراون " الاستاذ في جامعة برلين ، في المركز الثقافي بدمشق باللغة العربية والتي تدور حول " الوجودية في الجاهلية " فعدت الى مجموعة المعرفة واذا بمحاضرة المستشرق الالماني منشورة في عدد حزيران ١٩٦٣ .

---

(١) عبدالكريم الكرمي ـ ابوسلمى ـ من محاضرة له في المركز السوفييتي بدمشق عام ١٩٧٦م

(٢) الدكتور عزالدين اسماعيل ـ مجلة الشعر القاهرية ـ العدد الثاني ـ السنة الاولى ـ فبراير سنة ١٩٦٤ ص ٣ ـ ٤

قرأت محاضرة المستشرق الالماني ثانية وعدت الى قراءة موضوع الدكتور عزالدين اسماعيل فتعجبت كيف تكون الافكار متفقة الى هذا الحد .وحتى يشاركني القارئ في الاستغراب والتساؤل ويساهم معي في الوصول الى جواب حاسم عن سؤالي " هل هنالك توارد خواطر أم تناقل أفكار !" فاني سأعرض بعض الافكار والتعابير والانتقادات المتشابهة في هذين الموضوعين .

قال المستشرق الألماني فالتر براون في محاضرته " مرادي أن أقدم بعض الملاحظات في الشعر الجاهلي " والموضوع كما تعرفون ، بحر لا ساحل له ، مرادى أن أحدده مستلفتا نظركم الى صدد واحد وأن أتكلم عن ذلك المطلع الذى يفتتح به الشاعر قصيدته وهو النسيب " وقال الدكتور عز الدين اسماعيل في مقاله :

" ان الشعر الجاهلي يضع بين ايدينا مجموعة من الظواهر التي تحتاج الى الدراسة وانني أختار للدراسة في هذا المقال ظاهرة واحدة منها هي ظاهرة مقدمة النسيب التي تفتتح بها القصائد " .

والمقال والمحاضرة اعتمدتا معا على نقد نظرية ابن قتيبة في كتابه " الشعر والشعراء " القائل عن الشاعر الجاهلي : " ثم وصل بالنسيب فشكا بشدة الوجد وألم الفراق وفرط الصبابة والشوق .. ليميل نحوه القلوب ويصرف اليه الوجوه وليستدعي اليه اصغاء الأسماع لأن التشبيب قريب من النفوس لائط بالقلوب لما جعل الله في تركيب العباد من محبة الغزل " .

وقال المستشرق الألماني في محاضرته : " هذا هو تفسير ابن قتيبة " النسيب في رأيه جزء القصيدة الذى يميل به الشاعر انتباه سامعيه " ما اقرب هذا التفسير !! هل هذا الرأى قريب الاحتمال ! .. لا أظن ... " .

وقال الدكتور عزالدين اسماعيل في مقالته : " ونحن نذهب منذ البداية الى أن تفسير ابن قتيبة ليس صحيحا وهو - على الأقل - ليس كافيا " .

ثم يقول المستشرق : " يظهر لي أن تفسير ذلك العالم القديم غير محتمل، وأنه بعيد عن الشعراء القدماء وكيف لا ؟! فانه كرجل حضرى يعيش في مجتمع متحضر بعيد عن البداوة غاية البعد في هذا المجتمع الحضرى أنشد أبو نواس بتهكم الأبيات الشهيرة :

عاج الشقي على رسم يسائله وعجت أسأل عن خمارة البلد

ويقول الدكتور : ان الالتزام بهذا التقليد في مستهل القصيدة جعل هذه المقدمة مع مضي الزمن ممجوجا ، ومن ثم كان من الطبيعي أن تجد شاعرا مثل أبي نواس يشعر بتفاهة هذا التقليد لتفاهة الغرض المطلوب منه الذى حدده ابن قتيبة فاذا به يهاجم هذا التقليد حيث يقول :

عاج الشقي على رسم يسائله وعجبت أسأل عن خمارة البلد

وكذلك يقول المستشرق الالماني " اعتقد أن موضوع النسيب الصميم هو الموضوع الذى حرك الانسان في كل زمان وهو الموضوع الذى يستريح فيه الانسان اليوم وزنه وأهميته وهذا الموضوع هو اختيار الفضاء والفناء والتناهي .. " .

ويقول الدكتور عزالدين اسماعيل : " في الوقت الذى عد فيه ابن قتيبة هذا النسيب أداة فنية موجهة الى الخارج نرى- على العكس- أن هذا النسيب كان تعبيرا يجسم لنا ارتداد الشاعر الى نفسه وخلوه اليها ويعبر لي عن موقفه من الحياة والكون من حوله فصورة الحياة بالنسبة للشاعر الجاهلي كانت تنطوي في نفسه على عناصر خطية ابرزها التناقض واللاتناهي والفناء"(١) .

ويستمر أبو سلمى في عرض مقارناته لما قاله المستشرق الألماني في محاضرته وما ذكره الدكتور عزالدين اسماعيل في بحثه الى أن يختتم مقالته بقوله : هذه بعض الامثلة على الافكار المتشابهة والاستفهامات المتشاكلة في الموضوعين ولم أرد من سردها ، اعلان رأيي في هذا الصدد ، ولكنني أحببت

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - مجلة المعرفة الدمشقية - السنة الثالثة العدد السابع والعشرون آيار سنة ١٩٦٤ ص ١٥٥

أن الفت النظر الى هذين الموضوعين الممتعين والى وجوب قراءتهما قراءة دقيقة وعميقة لما فيهما من فائدة ومتعة وطرافة وحتى يشاركني القارئ في لذة البحث وفي اعطاء الجواب الحاسم عن سؤالي : " هل هناك توارد خواطر أم تناقل أفكار (١) " .

وقد اتبع ابو سلمى في نقده لمقال الدكتور عزالدين اسماعيل أسلوبا استنكاريا غير مباشر ليبين أن مقال الدكتور عزالدين هو تناقل لأفكار المستشرق الالماني بنصها مفسحا المجال أمام القارئ ليشترك مع أبي سلمى في مقارناته التي أوردها للتدليل على مطابقة الأفكار وعدم اختلافها الا في صياغة العبارات وتركيب الجمل وبالتالي فلا يكون ما أورده الدكتور عزالدين اسماعيل توارد خواطر بل تناقل أفكار .

موقفه من القضايا الأدبية المعاصرة

مأساة الحرف العربي :

كان الأديب السوري نظير زيتون ، قد كتب مقالا حول مأساة الحرف العربي ردا على نداء الأديب المهجري الياس قنصل عندما دعا الحكومات العربية لانصاف أدباء المهجر وتقدير تضحياتهم وطبع مؤلفاتهم . والمقال عبارة عن صرخة أطلقها نظير زيتون خوفا على اندثار الحرف العربي في المهجر من جهة ، وتقريعا للدول العربية من جهة ثانية لأنها لم تقم بواجبها نحو أدباء المهجر ودعاها الى رفد الحرف العربي في المهجر حتى يبقى الحرف مضيئا للمغتربين ، ويكون شعاعه صلة بينهم وبين الوطن . وعبر هذه الصرخة التي أطلقها نظير زيتون يقول أبو سلمى :

" صرخة الصديق الأديب الأستاذ نظير زيتون فيما يتعلق بمأساة الحرف العربي في المهجر لمست شغاف كل قلب ، وهي التي أجاب فيها على نداء الأديب

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - مجلة المعرفة الدمشقية - السنة الثالثة العدد السابع والعشرون آيار سنة ١٩٦٤ ص ١٥٦

المهجرى الأستاذ الياس قنصل عندما دعا الحكومات العربية لانصاف أدباء المهجر ، وتقدير تضحياتهم وطبع مؤلفاتهم .

كانت صرخة صديقي يتفجر فيها الألم ، وقد لحا فيها كل ومضة أمل لأنه ، - كما قال - لايمكن أن ينشد المرء الأعراس في الأرماس ، وانها لصرخة صادقة واضحة لا لبس فيها ولا غموض ، ما في ذلك شك فأدباء المهجر الذين كانوا فجر أدب جديد أطل على الآفاق العربية ، بددوا الظلام ، وحطموا التقاليد ، وأعلوا الفكر ، وأغلوا الكلمة ، وخدموا وطنهم الأول أجل خدمة في المهاجر ، هؤلاء الجنود الأبطال الذين شرعوا أقلامهم في الدفاع عن الوطن ، والأدب والجمال والخير ، هؤلاء ، لم يجدوا صدى لأعمالهم في نظر الدول العربية .

كل هذا صحيح أيها الصديق الكريم ، ولكن ، الا تتفق معي بأن الدول العربية اذا لم تكرم أدباء المهجر ، فقد كرمتهم القلوب العربية ، وان الدول العربية لم تقم بواجباتها تجاه وطن ضاع وكرامة أهينت ، وانها وقفت جامدة أمام مأساة شعب بأسره ، فكيف تريد من هذه الدول أن تقدر من قام بواجبه تجاه وطنه .

ان الأدب المهجرى يكفيه فخرا أنه أشرق على كل صفحة ، فأزهر على كل شفة ، الا يكفيه اعتزازا أنه ضياء في كل حرف ، وعطر في كل قافية ، فالحاجة ماسة في أن يرى أدباء المهجر في حياتهم أن هذا الوطن الذى حملوه في قلوبهم قد رد لهم بعض الجميل .

لقد فجعت بغروب نجم " عبدالمسيح حداد " هو الذى زار وطنه في صيف ١٩٦٠ بعد اغتراب ثلاث وثلاثين سنة والذى وصف شعوره عندما صافحت عيناه الوطن ، بعد هذا الغياب الطويل فقال : " انه شعور من استطاع استنزال كوكب من السماء الى حبيبته " .

ثم عاد الى المهجر وأغمض عينيه هناك على ذكريات وطنه الى الأبد ، كان عبدالمسيح حداد قد أصدر عددا ممتازا من جريدة السائح التي كانت تصدر في نيويورك وذلك في سنة ١٩٢١ ونشر صور أعضاء الرابطة القلمية وهم عشرة كتاب وشعراء . (١)

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابوسلمى - مجلة المضحك المبكي - دمشق - ٧تشرين اول ١٩٦٣

ويستطرد أبو سلمى في مقاله فيقول :

" هؤلاء الذين أرادوا تحرير الأدب العربي من القيود ، هؤلاء الذين زينوا الكلمة بالخيال والشعاع ، لقد سقطوا جميعهم أبطالا في المعركة ، ولم يبق منهم الا ميخائيل نعيمة ، أمد الله في عمره .

أيها الصديق الكريم ، ان هناك ضريبة باهظة يجب أن يدفعها صانع الحرف ، وهي ضريبة الألم والدمع ، ضريبة السير على الأشواك الدامية ، يدفعها الأديب وهو في نشوة عارمة ، هي نشوة البطل حينما يستشهد في الميدان ، عندما يدافع عن مثله العليا ، ثم بعد ذلك ، أريد أن أقول لك كلمة أيها العزيز ، ألست معي أن أعظم الجنود رفعة وشرفا ، هو الجندي المجهول (١) " .

....

يستفاد من هذا المقال ، أنه يلقي أضواء جديدة على أدب المهجر ، الذى نفح الأدب العربي الحديث من عطاء الروح والفكر الشيء الكثير . ومع ذلك ، فان شعراء وأدباء المهجر لم يكافأوا على هذا العطاء ، ولم يجنوا غير الجحود والنكران .

وأبو سلمى يوحي بأسلوب غير مباشر الى الأزمة التي يتعرض لها الأدب المهجرى ، فقد كان أعضاء الرابطة القلمية عصبة كتاب وشعراء غرب نجمهم جميعا ، ولم يبق منهم الا ميخائيل نعيمة أمد الله في عمره ، ويوضح أبو سلمى أن مأساة الحرف العربي في بلادنا هي عامة وان كانت في الأدب المهجرى مأساة دامية ، خصوصا لأن أدباء المهجر يقضون نحبهم الواحد تلو الآخر ولذا ، فان الحرف العربي يذوب الآن في المهجر ولا يسبك من جديد .

الأدباء والنقد :

ويحمل ابو سلمى على الأدباء الذين يضيقون ذرعا بالنقد النزيه الذى لا يميل مع الهوى ويشبه الأديب الذى لا يحتمل النقد ويطلب المزيد من المدح والثناء بالمرأة التي لا تحتمل أية ملاحظة مهما كانت طفيفة .

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - مأساة الحرف العربي - مجلة الضحك المبكي - دمشق - تشرين أول ١٩٦٣

أما الشخص الذى كان أديبا وفقد شهرته الأدبية بانطفاء ابداعه وأدبه فيشبهه بالمرأة التي فقدت شبابها وجمالها ، فيقول : " ترى هذا الشخص اكثر الناس اعتزازا بالماضي مثله في ذلك مثل المرأة التي فقدت شبابها وجمالها فانها تلهج بالماضي الريان وتكثر من المساحيق والألوان لتستدر المدح " .

أما المرأة اذا كانت أديبة فيقول عنها أبو سلمى :

" أما المصيبة الكبرى فهي اذا كانت المرأة أديبة فانها تتلهف الى المدح من كل انسان كما تتلهف الى المطر في كل مكان " .

اني لأذكر أن الكاتبة " مي " أصدرت كتابا فمدحها الكتاب والشعراء الا المازني فانه نقد الكتاب وأظهر ما فيه . لا تنسى هذا الناقد مهما كانت قامته قصيرة ووجهه غير جميل ، وحتى تتذكر دائما ، لأن من عادة المرأة أن تنسى المحسن اليها وتذكر المسيء " (١) .

حرية النقد غير حرية التجريح :

ويحمل أبو سلمى على النقاد الذين يلجأون الى اسلوب الشتائم والسباب والتجريح لأنهم لا يحتملون النقد ويشبههم بالنساء اللواتي يضقن بالنقد مهما كان لطيفا او خفيفا ويقول بأنه يؤمن بحرية النقد على أن يكون نزيها وموضوعيا ، لا يتأثر بأحكام سابقة أو باتجاهات معينة فيقول :

" .. اكتب هذه الكلمة توطئة للقول بأن " أحد الناس " وهو صديق أعرف أصالة رأيه وأدبه طلب الي أن يعلق على الموضوعات والمحاضرات الأدبية بومضات خاطفة تحت عنوان " نقدات " فرحبت به وبفكرته ، وقد تعرض بنقداته أول ما تعرض لأصدقائي فما ترددت في نشر نقداته لأن من حق الأديب أن يعطي للنقد حريته على أن لا يكون فيه شتم أو تجريح أو استعلاء . وهكذا كان وقد كانت النقدات كما قرأها الناس عبارة عن لمسات خفيفة ، ولكن يظهر

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - الضحك المبكي - دمشق ٢ آذار ١٩٦٤ .

أن الأدباء الذين هم كالنساء - كما ذكرت - لا يحتملون النقد مهما كان لطيفا خفيفا • ولهذا فقد ثاروا على المشرف على الصفحة الأدبية • ومنهم من كان أديبا حقا ويخلص للأدب وسألته وله من منزلته الأدبية ما يمنعه من التهجم أو الشتم أو الاستعلاء، ومنهم من لم يكن كذلك ولم يرد موضوعيا بل هاج وماج وأخذ يضرب في الهواء دون مراعاة حق أو أدب •

وكنت رجوت " أحد الناس " أن لا يكتب عن الموضوع الواحد الا نقدة خفيفة عابرة ولمرة واحدة فقط ، ولكني لما رأيت أن بعض الناس لا يعرفون حدودا لأنفسهم ولا قيمة لأدبهم ، خالفت القاعدة فبعض الطفيليات قد لا تجتثها الضربة الواحدة وانما تحتاج الى عدة ضربات •

أما ما يتعلق بقضية أديباتنا وشاعراتنا فالصدر لهن رحب لأن غضبهن رضى ويسرنا أن يذكرننا ولو ساعة (١) •• " •

ونلاحظ أن أسلوب أبي سلمى قد جنح الى السخرية العنيفة بالأدباء الذين يضيقون بالنقد ولكنه يرفق بالأديبات ملمحا الى رهافة قلوبهن ورقتهن ، معرضا مرة أخرى بالأدباء الذين لا يطيقون النقد بأن حالهم هذا أشبه بحال الأديبات . أما وأنهم ليسوا بالنساء فعلا، ولأنهم لا يعرفون حدودا لانفسهم، ولا قيمة لأدبهم، فهم يستحقون منه مخالفة القاعدة التي يتبعها مع النساء الضعيفات لأنهم كالطفيليات قد لا تجتثها الضربة الواحدة وانما تحتاج الى عدة ضربات •

ونحن نرى في لجوء أبي سلمى الى الضراوة والعنف في أسلوبه نتيجة طبيعية لاستغلال بعض الأدباء حرية النقد وخروجهم عن المألوف فالحرية هي أن تختار، والفوضى هي أن تفقد كل اختيار . ونفهم من هذا أن من يضيق ذرعا بالنقد الموضوعي يفقد كل صفات الحرية، ويتجه نحو الفوضى البعيدة عن التوجيه للأدب والفن •

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - مجلة المضحك المبكي - دمشق ٢ آذار ١٩٦٤

الالـــــتزام :

حديث الالتزام ، من ميزات عصرنا التي أثير حولها الكثير من الجـــــدل ، نظرا لما تحتمله من تأويلات عديدة ، ولما يرتبط بها من أبعاد فلسفية مختلفة.

وأبو سلمى يفرق بين الالتزام والالزام ، فتراه يعرف الالزام بقوله :

" الالزام ، هو اجبار الشاعر والأديب على سلوك طريق معين ، ومنهج للقول محدد ، وهذا لا يؤمن به مطلقا ، بل يعد ذلك سببا لقتل موهبة الفنان ، وحق ابداعــه. فالأديب يجب أن يكون حرا الى أبعد حدود الحرية (١) ".

أما الالتزام ، فهو عنده "أن يشعر الفنان بأنه جزء من هذا المجتمـــــع الذي يعيش فيه ، وأنه ملزم بأن يدعو الى تطهيره من العيوب ، والأدران ، حتى يصبح مجتمعا سعيدا ، ولذلك فهو كعضو حساس ، ومفكر في هذا المجتمع ، يكـــون ملزما نفسه بأن يسعى جاهدا لرفع مستوى هذا المجتمع ، حتى ينشأ افراده وهـــو منهم ، لا يخشون فقرا ، ولا جهلا ، ولا مرضا . فالاديب اذن ملتزم من هذه الناحيـــة لا ملزم . "وأنا كفلسطيني عاش المأساة ، لا يمكن الا أن أصور المأساة ، والا أن اصف تمزق أهلي ، لأن نفسي ممزقة مثلهم ، ولا يمكن لفنان اكتوى بنار النكبـــة الا أن يصف احتراق كبده ، وفي هذا الاحتراق رائحة احتراق أكباد شعب بأسره(٢)".

ويوضح أبو سلمى مفهومه للخلق الأدبي بقوله :

" ولا شيء يغني ، ويخصب الناحية الفنية اكثر من التجربة ، وخصوصـــــا ، اذا كانت التجربة اليمة ، تجربة مأساة، بل أشجى مأساة ، وهي فقدان وطـــــــن وأمـــل .

اننا نحمل صور النكبة الدامية في عيوننا ، وأينما كنا مشردين ، فاننـــا نحمل في قلوبنا الممزقة وطننا ، وطننا السليب ، وأينما سرنا فاننا نجـــــــر وراءنا تاريخنا الدامي .

---

(١) عبدالكريم الكرمي ـ ابو سلمى ـ اجابات عن اسئلة وجهت اليه حول "دور الأديب في المعركة " ـ مجلة الضحك المبكي ـ دمشق ـ عدد آذار ١٩٦٥

(٢) المرجع السابــق

أجل إن هنالك من هذه التجربة غصائص وغنى ، ولكن هذا الغصب ينشـــأ من الدموع ، وان هذا الغنى يتأتى من الحرمان . هذا الوطن الغالي ، بل أغلى وأجمل وطن ، نقتلع من ترابه الخصيب ، وتلقى هكذا في العراء الغريب ، جذوع أشجار عارية الفروع ، ملقاة على كل طريق ، فكيف لا يغفف الشعر ، ولا يسرى فيه النبض ، وكيف لا يصبح الفن مزدهرا علـى ألم (١) " .

من هنا يتضح مفهوم الالتزام عند أبي سلمى بأنه ليس قضية فكرية أو تبعية لأحد وهو غير الالزام الذي يقيد موهبة الفنان وحق ابداعه ويعيد حريتـــه ، ولكنه التزام منبع بروح الشعب ، دفاق بعزيمته ، فالمطلوب هو الالتزام الحر بقضايا الوطن والمجتمع ، ومعركة المصير .

وليس ثمة تعارض بين حرية الفنان والتزامه الحر ، فان حرية الأديب جزء من حرية الوطن وابنائه .

أما جوهر الالتزام فهو عنده مرتبط بالتجربة ، اذ لا شيء يخصب الناحية الفنية اكثر من التجربة وخصوصا اذا كانت التجربة أليمة . وهو في هـــذا ينطلق من تجربته التي ارتبطت بالتزامه الذي لم يتزعزع لأنه يغرف من نبـــع المعاناة ، فبسبب هذا الالتزام لم يشهد شعر ابي سلمى وأدبه اهتزازات أو انعطافات بل شهد تسلسلا متصاعدا حتى عندما حدثت الكوارث والنكبـــات بشعبه ، وقد زادته هذه النكبات التزاما بقضيته ، وهذا شأن المحبين الصادقين الذين يزداد حبهم في الصعوبـات .

الغموض فـي الأدب :

يبين أبو سلمى موقفه في قضية الغموض في الأدب وهي قضية اختلف فيهـــا الأدباء فيقول :

" أنا من أعداء الغموض ، الا في المرأة ، فانني أحب أن أشغل فكـــري وقلبي لاكتشف غموضها المحبب .

---

(١) عبدالكريم الكرمي ـ ابو سلمى ـ اجابات عن اسئلة وجهت اليه حول " دور الأديب في المعركة " ـ مجلة الضحك المبكي ـ دمشق ـ عدد آذار ١٩٦٥

أما اذا كان الغموض من نوع هذه المعميات المنتشرة عند بعض مـن يكتبون وينظمون فانني أستعيذ بالله وابتعد ، لأنه نوع من التعقيد المقلوب والعقد النفسية التي تحتاج الى أطباء ومحللين نفسانيين وسيكولوجيين .

ما أحلى الغموض اللطيف الذي يحتاج الى التفاتة ذهنية تكشف سره ، واشراقة فكرية تلقي عليه النور .

أما الغموض الناشيء عن غموض الفكرة في الذهن ، واضطراب المخيلة ، فهذا غموض محموم ينفر منه كل انسان .

ان الوضوح أبرز صفة للأديب . وما رسالة الكاتب والشاعر الا أن يعبر بوضوح عن أعمق التأملات ، وأسمى الأفكار وأدق الاحساسات .

أما اذا لم يستطع أن يوضح أفكاره وتأملاته واحساساته فلا يمكن أن يستدعي أن يتعب الكاتب ، ويجهد نفسه حتى يكون بسيطا ، وليس ذلك أمرا يسيرا فان من الصعوبة بمكان أن توضح الفكرة السامية في أسلوب سهل .

ان بعض الناس يعتقدون أن الغموض هو العمق ، وهذا خطأ فان صفاء السماء يجعلك تبصر أضواء النجوم البعيدة ، وصفاء البحر يجعلك تنفذ الى الأعمـاق أما الغموض الذي هو الاضطراب فلا يجعلك ترى الآفاق ، أو يمتد ببصرك الى الأعمـاق .

فوجا ؤنا الى الكتاب الذين يمعنون في الغموض عندما يكتبون ، والى الشعراء الذين يحبون الغموض عبقرية أن يكون عندهم ذوق مرهف . هذا الذوق الذي لا يمكن ان يتكون كاتبا او شاعر بدونه .

وأن يحسوا بذوقهم المرهف هذا ، وأن يشعروا باحساسهم الدقيق أن القراء يضيقون ذرعا بما يكتبون وينظمون ، والكاتب كما يقول سومرست موم " يجب أن يكون مزاجه أرهف من مزاج أقرانه بحيث يحس بالضيق قبل أن يشعروا به[1] " .

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - مجلة المضحك المبكي الدمشقية ٧ كانون أول سنة ١٩٦٤ .

ومن الواضح أن أبا سلمى في هذا النص ، يرفض الغموض الذى هو من نوع المعميات المنتشرة عند بعض من يكتبون ، وينظمون ، ولكنه يؤيد الغموض اللطيف الذى يحتاج الى التفاتة ذهنية تكشف سره ، واشراقة فكرية تلقي عليه النور ، أما الغموض الناشئ عن التعقيد العقلي والعقد النفسية فهو يرى أنه غموض ينفر منه كل انسان .

والواقع أن الغموض الناشئ عن غموض الفكرة في الذهن واضطراب في المخيلة وهو النوع الذى يرفضه أبو سلمى يؤدى الى فقدان القيمة الفنية للعمل الأدبي لأنه يصل في هذه الحالة الى نقطة التعتيم والانغلاق التام ، ولا أدرى كيف تكون الصورة أدبية دون أن يعبّر عنها تعبيرا فنيا ؟! واعتقد أننا في ظل هذه المفاهيم ، نصل الى نقطة الأوج في مسار أبي سلمى النقدى .

أبـو سلـمى ناقـدا اجتماعيـا :

لا بد للأديب أن يكون صاحب رسالة ، والتجارب لا يمكن أن تأتي من العدم ، بل لا بد أن تكون انعكاسا للعلاقة بين ضمير الأديب ، والضمير الجماعي لأمته .

ومن هذا المفهوم الاجتماعي للكلمة ، يصبح الأديب الذى لا يحمل رسالة ، ولا يخدم هدفا اجتماعيا ، يصبح نوعا من الأصوات المجردة الخالية من الفائدة .

وقد كان أبو سلمى أحد الأدباء الفلسطينيين الذين أسهموا بالنقد الاجتماعي في مرحلة ما قبل النكبة وبعدها ، معبّرا في ذلك عن التزامه وتلاحمه بقضايا الشعب والوطن ، وهموم الانسان العربي وهو في نقده يعبر عن روح الجماهير، ويلتزم بقيم المجتمع ، بمعنى الاتجاه الى الانسان والبدء منه ولعل التبرير الوحيد لهذا الاتجاه ، أنه عاش الاضطهاد وهو يبحث عن الحرية ، ولم تكن الحرية التي يبحث عنها حرية فردية " انما هي حرية الشعب والأمة " .

حق المرأة في الانتخاب :

ولعل أبرز مقالاته النقدية في مرحلة ما قبل النكبة ما كتبه عن " حق المرأة في الانتخاب " فهو يسخر من تطلع المرأة الى هذا المركز ويقول ان المرأة لا تصلح الا للوظيفة التي خلقت لها وهي وظيفة " الأم " وكملهمة للشعر والخيال فيقول :

" المرأة موضوع هائك على نعومته ، وأكبر أعدائها من يصارحها ، لا تعترف بالحقيقة ولا تريد أن يراها الانسان الا من وراء " طلاء " ، ولا ترى العالم الا من خلف طلاء . عيناها لا تتطلعان الا على صفحات ثيابها وجمالها . وعلى ما يتصفحها فقط ، بهرجة خداعة وزخرف كاذب . " وجوه وسيمة وعقول صغيرة " . قال صاحب الوجدانيات [1] هذا القول متخفيا وراء كاتب عربي حاملا قلبه الخفاق بيده خوفا من لسان المرأة .

" المرأة هي ، هي منذ الأزل ، غرور ، وأنانية ، وخداع ، اقدم امرأة مثل احدث امرأة في الجوهر ، ارفع الطلاء الجديد تجدها هي نفسها التي انفردت بلين الافعى والتي اخذت الدروس الاولى عن الشيطان .

تريد أن تتساوى مع الرجل ، أهلا وسهلا ! لكنها لا ترضى بأن تسري عليها الأحكام التي تسري على الرجل .

إن كتبت فيجب أن تمتدح ما تكتب هي ، ولو كانت نصف أمية ، وانا انتقدت فأنت قليل الأدب والذوق لا تحترم المرأة . وانا تكلمت فيجب أن تفتح عينيك ، وأذنيك وقلبك ، وان تهز رأسك استحسانا ، وتؤمن بما تقول ولو كان كفرا ، والا فأنت قليل الأدب والذوق لا تحترم المرأة ، وانا ركبت في قطار أو في سيارة اوتوبوس ، واتخذت لك مكانا بعد جهد جهيد ، وشرفت امرأة بعد ذلك ، فيجب أن تقوم وتجلسها مكانك ، والا فأنت متأخر قليل الأدب والذوق لا تحترم المرأة . [2] .

---

(١) صاحب الوجدانيات هو المرحوم ابراهيم الشنطي صاحب امتياز جريدة الدفاع الفلسطينية ورئيس التحرير ، وكاتب زاوية وجدانيات فيها .

(٢) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - جريدة الدفاع - يافا - زاوية أزهار واشواك - ٢ آب ١٩٤٣ العدد ٢٥١٠

ويتابع أبو سلمى كلامه عن المرأة فيقول :

" وانا ممت فيجب أن تشبه مشيتها بمشية الطاووس ، أو مشية الأميرة فايزة ، ولو كانت عرجاء (١) ، والا فأنت صاحب غرض لا يقدر المرأة .

ويجب أن تقول عن ثوبها بأنه ملون بالزهر ، معطر بالفتنة ، وقد نسجته الملائكة ولو كان من صنع ابليس.

ولا أريد أن أقول ان المرأة مخلوقة تافه .. فهي اغزر واعذب ينبوع للشعر والخيال ، ويكفي أن تكون عروس الأحلام ، يسير في موكبها الهوى والشعر والغرور لكنها لا تكتفي تبتعد عن الواقع ، الحقيقة الرامنة ، وتعيش في أفق رأسها الصغير .

انها وحش صغير جميل ، اعطها المرآة والحلوى فقط . كما يقول اللورد " بايرون " (٢) والا فانها تدس أنفها في كل شيء بلا فكر ولا روية . رأس نمامة تتجاوب فيه الأوهام .

واخر ما حرر ، قضية حق المرأة في الانتخابات ، وأين ؟ في بلادنا ، هذه البلاد التي تطالب بحقها في الحياة أولا ، فانا قلت لها ان الرجل يطالب بحقه الآن ، تقول : رجعي ، قليل الذوق والأدب ، لا يقدر المرأة .

أيتها المرأة ، ما دمت تطالبين بالمساواة مع الرجل في كل شيء ، لا لين ولا هوادة والا فأنت اللعبة الخطرة المحبوبة ، فابقي حيث يضعك ، أو فسيري وراءه ما دمت لا تستطيعين أن تشقي طريقك وحدك ، وما دمت تخشين على يديك الناعمتين ، وجسدك الغض ، وقدميك الصغيرين ، وثوبك الزاهي ، ولن تكوني الا كذلك ، ما دمت خلقت من ضلع زائد من أضلاع آدم (٣) " .

بهذا الاسلوب الساخر والهجوم القاسي على المرأة تراه يضع المرأة في مركز خاص تتفرد به ولا تشاركه فيه الرجل ، فحق المرأة في الانتخابات في تلك

---

(١) يشبه مشية المرأة المختالة بمشية الأميرة فايزة شقيقة الملك فاروق ملك مصر السابق .

(٢) هو الشاعر الانجليزي اللورد جورج بيرون - شاعر انجليزي - ساعد الشعب اليوناني في تحريره من تركيا " المنجد "

(٣) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - جريدة الدفاع - يافا - زاوية أزهار وأشواك - ٢ آب ١٩٤٣ العدد ٢٥١٠

الفترة كان في رأى ابي سلمى سابق لأوانه لا سيما وأن الحرية السياسية والاجتماعية لم تكن قد تحققت ، فهو يعطي الاولوية لهذه الحرية الوطنية قبل غيرها من القضايا الاجتماعية ، الا أنه في استخدامه اسلوبا ساخرا وعنيفا مع اطلاق الأحكام علـــى المرأة،فيه كثير من التجني . وقد عبر عن عاطفته الساخرة فيما يلي :

١ـ شبهها بالوحش . ولكنها وحش صغير جميل

٢ـ شبه رأسها برأس النعامة الذى تتجاوب فيه الأوهام

٣ـ جاء بصور توحي بالتقليل من قيمة المرأة .

أقدم امرأة مثل احدث امرأة في الجوهر ، ارفع الطلاء الجديد تجدهـــا هي نفسها التي تفرنت بلين الأفعى ، والتي اخذت الدروس الاولى عـــن الشيطان .

وقد نجد لأبي سلمى عذرا في اثارة هذه العواطف ، وهو التأكيـــد على دور آخر للمرأة ، هو لديه أهم من مساواتها في الحقوق مع الرجـــل ، وهو أن تتحرر اولا من عبودية المظاهر الزائفة مستخدما في ذلك أسلوبا ســاخرا لا يخلو من عنصر الاثارة والتشويق .

وقد ردت على هذا الهجوم القاسي على المرأة احدى الأديبات الفلسطينيات متخفية تحت اسم " فتاة غسان " بقولها :

" ما يدعو الى السرور والارتياح أن يجد الأدب مناصرا مخلصا ومؤازرا قويا في جريدة يومية سياسية كالدفاع الغراء ، لقد خصت هذه الصحيفة العربيـــة الأدباء بقسم من أعمدتها فأتحفونا بكل رائع جميل ، فقرأنا " الوجدانيـــات " فقلنا عذوبة (والازهار والاشواك) فقلنا بلاغة وروعة ورقة وجاءنا العـــدد "٢٥١٠"فإذا بالشاعر أبي سلمى ينسى الأزهار على غير عادته أو قل تناساهـــا وينثر على صفحة الدفاع المحبوبة أشواكا فقط ، اشواكا مؤلمة حادة تواثبـــت على القارئات فأدمت منهن الأيدى الناعمة والأجساد الغضة والأقدام الصغـــيرة ولو اكتفى الشاعر بهذا لهان الأمر ولكنه أبى الا أن يعيب عزة المرأة .

لقد اكتشفت المرأة عدوها في شاعر رقيق مبدع يستلهم وحيه ان لم يكن من المرأة فمن بنفسجة لبها وناعتها أو زنبقة اختلست بعض جمالها وردة أو وردة سرقت من عطرها وفتنتها وسحرها . قلت اكتشفت المرأة عدوا لها والمرأة حين تكتشف لها خصما يتخذ صفحات الجرائد مسرحا لصولاته اتظنها تسكت ؟ طبعا لا والشاعر يعرف هذا فقد قال في حديثه الأخير (قال صاحب الوجدانيات مختفيا وراء كاتب عربي حاملا قلبه الخفاق بيده خوفا من لسان المرأة) .

اذن تخافون المرأة ، وتخافون غضبها ولسانها ، ولكن ليس اللسان سلاح المرأة الوحيد عندها العقل والمنطق والعلم عندها القلم الذى تمنحه قوة من روحها الوثابة ، ومضاء من شعورها المرهف .

قلت أيها الشاعر في مقدمة أشواكك (وأكبر اعدائها من يصارحها) كلا ليس من يصارح المرأة بعدو لها انا طالبتك المرأة بحق الانتخاب فقلت لها بأن طلبها سابق لأوانه ، وأن أمامها مراحل كثيرة قبل أن تصل الى مركز يؤهلها لذلك . نعم اذا صارحتها هذه الحقيقة المؤلمة في صدق واخلاص محترما شعورها فانك لا تصبح لها عدوا ولكن اذا استهزأت بها وبطلبها وأجبتها بأنها (من ضلع زائد من اضلاع آدم ولهذا عليها أن تبقى حيث يضعها أو تسير وراءه) عند ذلك تصيح وتثور وتناصبك العداء ... " .

وتختتم فتاة غسان مقالها بقولها : "وأما بعد فقد كنت قاسيا في حملتك قسوة تتنافى مع رقتك كشاعر ستظل المرأة تطرب لقصائدك الرقيقة الفياضة ..(١) " .

---

(١) فتاة غسان - مكانة المرأة - جريدة الدفاع اليافية - ٢٦ آب ١٩٤٣ العدد ٢٥٣٣ .

المشكلات الأخلاقية :

وفي مرحلة ما بعد النكبة ، اهتم ابو سلمى في مقالاته الاجتماعية بابراز المشكلات الاخلاقية ونقدها .

ولعل من أسوأ ما لاحظ في عاداتنا : المبالغة ، والسلبية ، وميلنا الى الظهور في غير حالنا الحقيقية ، فيكتب عن ظاهرة الضجيج والصياح التي يمارسها بعض الناس ، فيزعجون غيرهم أو يعكرون صفو الهدوء ليستمتعوا بسويعات يقضونها في لهو ومرح على حساب راحة الآخرين ، فيقول تحت عنوان : " أكلة لحوم البشر " .

" ولا أعني بأكلة اللحوم ، أولئك الذين يغتابون الناس ، كما لا أقصد الذين يأكلون لحوم البشر ، وخصوصا الجنس الأبيض في بعض أدغال افريقيا ، وانما أقصد أولئك الذين يستمعون الى المطربات من الوزن الثقيل .

تظهر المطربة كأنها احدى حاملات الطائرات ، وتغني بصوت لا أريد أن أقول كريها ، ولكنه دون الوسط ، وغير جميل . ثم تهتز وتترنح فتهتز الأرض وتترنح من تحتها تبعا لذلك . وتكون لابسة من هذه الدنانيش ، البعيدة عن الذوق ، بعد حوت البحر عن نجوم السماء ، وانا بهذا النوع من المستمعين يموج طربا ، ويزعج العالم بصياحه ، دليلا على فتوته ، وأنت تعلم أيها القارئ الكريم أن الصياح عندنا هو علامة الطرب ، وأن المستمع اذا طرب فانه يعلن عن طربه بالصياح والضجيج وضرب الرجلين ، وأحيانا مع الصفير ، فاذا لم يعل صياحه ، ولم يلمس الأرض برجليه ، فانه لما يطرب بعد .

ولا أعرف أمة تحب الضجيج مثل أمتنا ، ولا أناسا يظهرون طربهم وسرورهم بالصياح مثلنا ، الم تر هؤلاء الذين يسيرون في الطرقات وهم يحملون آلات الراديو يفتحونها على مداها ويستمعون الى الاغاني والموسيقى الصاخبة وهم سائرون مسرورون ، ولا يهمهم ازعاج الماشين من عباد الله ، وغير آبهين بنظرات الاستنكار المحدقة بهم من كل جانب .

ألم تصادف أن يكون بيتك الى جانب دكان أو بائع راديو ، يسره أن يفتح دكانه في الساعة السادسة صباحا ولا يغلقها الا بعد منتصف الليل وهو منذ ساعة يفتح الراديو بأعلى صوته ، ولا يخرس صوته الا عند اغلاق دكانه ، وقد سألت مرة بائع راديو كان صوت الراديو عنده ملعلعا بالجو عن سبب ارتفاع صوت الراديو الى هذا المقدار ، فأجابني حفظه الله حتى يسمعه من يكون في أول الشارع فيعرف انني بائع راديو .

ألم يصادف أن يكون جيرانك من الذين يستيقظون باكرا ومن أصحاب الطرب ويسبقون الشمس في بكورها ، وتمتد الأيدي الطويلة الى الراديو ، واذا بالصوت المجلجل يوقظ أهل الحارة ، كل ذلك لأجل المشاركة في الطرب . واذا كانت هنالك حفلة طرب ليلية تمتد الى ما بعد منتصف الليل فأهل الحارة مضطرون لابعاد النوم من أجفانهم حتى يشاركوا في البلاء والغناء (١)» .

ويستطرد ابو سلمى في حديثه عن أكلة لحوم البشر بقوله :

« ويزيد في الطنبور نغما ، اذا كان بيتك على طريق عام تسير فيه السيارات التي لا يطرب سائقوها الا على نغمات الزامور المتتالية ، ويزيد طربهم باطلاق تلك النغمات في الصباح الباكر أو عند منتصف الليل .

ويزيد في الطين بلة ، اذا كان بيتك على طريق فرعي حيث يقوم بائعو "الخضرة" والحليب بمهمة سائقي السيارات ، ونهيق الحمير ، وأزيز الموتوره يقومان مقام الزامور بكل أمانة واخلاص وخصوصا في الصباح الباكر أو الليل .

أردت أن أسرد هذه الأمور لأقول ، ان كل هذه المزعجات لا تعدو شيئا مذكورا أمام صياح الذين يستمعون الى قناطير اللحم ، فقد ظهرت مرة على شاشة التليفزيون احدى هذه القناطير اللحمية المقنطرة ـ وكثيرا ما تظهر لأنها مطربة شعبية كما قالوا ـ فأخذت تتلوى حسبما يساعد جسمها ، وتغمز بعينيها اللتين شبهها اجدادنا الكرام . وما أصدق التشبيه بعيون البقر الوحشية . ثم ابتدأت تصيح باشارات سمجة ، وتهتز اهتزاز البقرة الهولاندية ،

---

(١) عبدالكريم الكرمي ـ ابو سلمى ـ مجلة المضحك المبكي ـ ٧ شباط ١٩٦٦

فهبّ الحضور ، وأخذوا يصيحون ويضربون الأرض بأرجلهم . كل هذا دليل الطرب أما آن لنا أن نفهم أن الغناء هو صوت حلو ينساب انسياب الماء العذب الى النفوس الظمأى.

أما آن أن تتغلغل النسوة في القلوب هادئة ، بل أما آن لنا أن نفهم أن الطرب ليس بالصياح والضجيج ، بل في السكون والصمت (١) ؟ ! " .

يحلل أبو سلمى في هذا المقال المظاهر السلبية لظاهرة الضجيج التي تظهر في تصرفاتنا وعاداتنا ، وأخلاقنا تدل على تفكك اجتماعي خطير ، وهو يستخدم اسلوبا ساخرا في اظهار انتقاده لهذه الظواهر المرضية . ولكنه يترك العلاج للقارئ معتمدا طريقة الايحاء بما هو أفضل لتغيير الواقع السيء ، كما نلاحظ وضوح الجمل وترك المبالغة والتهويل ، والاعتماد على سلامة الحجج وايرادها على حكم المنطق الصحيح ، وبربط الأسباب بمسبباتها مع الدقة في التفصيل لأن الغرض منه هو تشخيص الأدواء الاجتماعية .

وهو في تحليله يربط الموقف الخاص بالموقف العام ، كقوله وهو يتحدث عن الضجيج الذى يكدر صفو هدوء الناس ويقضّ راحتهم ، " ولا أعرف أمة تحب الضجيج مثل امتنا ، نلجأ الى كثرة أقوالنا دون أن نترجم هذه الأقوال الى أفعال ..." وكأنه في هذا يربط بين الواقع السياسي حيث تخدعنا الشعارات والأقوال السياسية الزائفة ، والواقع الاجتماعي المعاش الذى نشكو منه . فكلا الواقعين مرتبط أحدهما بالآخر ، ولا سبيل الى اصلاح واقعنا السياسي الا باصلاح الواقع الاجتماعي ، والعكس صحيح .

---

(١) عبدالكريم الكرمي ـ ابو سلمى ـ مجلة المضحك المبكي ـ ٧ شباط ١٩٦٦

مدرسة ضيق الصدر :

ويتحدث ابو سلمى بأسلوبه الساخر اللاذع عن موجة ضيق الصدر وتغلغلها في النفوس بسبب ازدياد عدد الثقلاء والمتزعمين فيقول :

" هل تعلم أيها القارئ العزيز ، أن لضيق الصدر مدرسة تأسست حديثا وأصبح لها عدة فروع رغم حداثتها ، نعم ، انه ضيق الصدر موجود منذ القديم ، عند وجود الانسان ، ولكن ضيق الصدر هذا ، كان لا يحمد صاحبه ، وانما الذى يحمد هو رحب الصدر .

وسبب تأسيس هذه المدرسة في الأيام الأخيرة ، هو أنه كان هنالك صديقان يجتمعان معا ويحتفلان معا في القضايا العامة والخاصة ، أما أحدهما فكان يتمتع برحابة صدر يتسع للعالم ، ويزدان بأفق بعيد المدى والغور . أما الثاني ، فكان يتمتع بضيق صدر عجيب ، لا يتسع حتى لثقيل أو بارد الدم ، أو فارغ أو راكض وراء الزعامة ، مع قلة البضاعة ، وكان أولهما يخفف توتر الجو ، ويهدئ الثاني عند ضيق الصدور ، الى أن انعقد أحد المؤتمرات العامة واشترك فيه الصديقان كما اجتمع في ذلك المؤتمر كل من هب ودب ، وظهر فيه مختلف الآراء السديدة والفاسدة والناضجة والفجة ، وكان " الفياشون" في المؤتمر عديدين يطفون كالفقاقيع فوق سطح الماء ، تتلاشى عند أدنى هبة ريح .

وكان الصديق العزيز عميدا لمدرسة رحابة الصدر ، بحق ، اذ أنه سعى مع الأصدقاء لأجل التحلي برحابة الصدر الى أن يتسع حتى للتافهين ، وبالرغم من حججه القوية وبراهينه الساطعة ، فان أكثر الاصدقاء انضموا الى مدرسة ضيق الصدر . وهكذا تأسست هذه المدرسة ووجدت ترحابا في جميع الأوساط .

ما الذى يجنيه رحب الصدر من وراء هذه الرحابة ؟ أن يجني أمانة الأعصاب وتحمل أعباء على الصدر أقلها ثقالة الثقلاء . ويوجد من الثقلاء من لا يستطيع أن يتحمله أحد ، حتى جبل أحد ينوء اذا صعد عليه .

---

(١) الفياشون : هم الفارغون من الأدعياء والانتهازيين .

هذا عدا اضاعة الوقت مع السخفاء ، وجو الهم والغم الذى يسيطر عليه ،
أما ضيق الصدر فهو يحمد الله ، يتنفس كما يريد ويريح أعصابه .ويملأ فراغه
كما يهوى لا يتحمل ثقيلا ولا يساير تافها ، ولا يجامل متزعما فارغا ، وكم من
مرة أراد صاحب هذه المدرسة أن يوسع صدره ، فما جاءه من وراء ذلك الا الندم
والا الرجوع الى ضيق الصدر بأسرع ما يمكن .

هذه المدرسة الجميلة التي تجعل أصحابها يعيشون كما يريدون ، يتقربون
الى الذين يستلطفونهم ، أصبحت الطرق اليها واسعة لكثرة الواردين ، يتوافد
الناس زرافات ووحدانا من الجنسين ، ولكن الاقبال من الجنس الخشن هو أكثر لأن
الجنس اللطيف وان كان اسمه لطيفا ، فانه يتحمل الثقلاء والغلظاء اكثر بكثير
من الجنس الذى يسمونه خشنا أو نشيطا (١)" .

واضح في هذا المقال ، ضيق ابي سلمى بالثقلاء من السطحيين والانتهازيين
الذين يثرثرون ، ويدعون ما ليس عندهم ، إما حبا في الظهور ، أو تملقا ونفاقا .

وقد كان أبو سلمى موفقا الى أبعد الحدود في النفاذ الى عمق هذه
الظاهرة كما كان موفقا في استعماله تعبير مدرسة ضيق الصدر ، ومدرسة رحابة
الصدر فالواقع أن لكل من هذين الاتجاهين ، أنصارا وحججا ، ولكن تزايد عدد
الثقلاء يساعد في تقلص عدد من يؤيدون اتجاه رحابة الصدر على حساب الزيادة
المضطردة عند الثقلاء والتافهين والانتهازيين .

ان هذه المشكلة النفسية والأخلاقية لها جذور عميقة المدى في المجتمع
الأمر الذى باتت تهدد معه قيم هذا المجتمع وأخلاقه ، وعلى ذلك فهي ليست بمشكلة
سهلة الحل أو بسيطة العلاج .

وأبو سلمى في هذا المقال يستخدم العاطفة بعض الشيء ، كما يستخدم اللغة
البسيطة والتعبيرات الشائعة كعوامل مساعدة ،يستخدمها لاثارة الهمم على هذه
الظاهرة بغية تنوير الأذهان والتنديد بالمفاسد الاجتماعية .

---

(١) عبدالكريم الكرمي ـ ابو سلمى ـ مجلة المضحك المبكي ـ ٧ آذار ١٩٦٦

مؤلفــاتـــــه :

هذا الجهد الأدبي والانساني المتصل الذي بذله أبو سلمى في دنيا القلـــم خلّف للمكتبة العربية ثمانية كتب مطبوعة ما بين مجموعة شعرية ، وتاريـــــخ لكفاح شعب وسير أشخاص من أبناء الوطن ،فضلا عن مقالات ومحاضرات لو أنهـــــا جمعت لتألف منها عدة كتب ، ومن كـتبه المطبوعـــة :

١ـ المشرد ـ نشر مكتبة أطلس بدمشق ، وقد صدرت الطبعة الاولى ســـنة ١٩٥٣ والثانية سنة ١٩٦٣ وهو أول مجموعة من شعر أبي سلمى ، وتقع فـــــــي ١٣٦ صفحة من الحجم الصغير و ٣٧ قصيدة متفاوتة في الطـول .

ورغم أن قصيدة المشرد التي سميت باسمها المجموعة توحي بأنهـــــا من أدب الخيام الا أن القصيدة تأتي عكس هذا التصور فهي تبدأ بهـــــذا البيت :

يا أخي أنت معي في كل درب فاحمل الجرح وسر جنبا لجنب (١)

وهذه هي ملاحظاتنا حول هذه المجموعة :

١. الخط الغاضب يزداد وضوحا مباشرا في هذه المجموعة ليصبح أبو سلمى بحق شاعر الشعب .

٢. ان تجربة التنديد بالمنافي وحكامها تزداد حدة لدى الشاعر ، لكـــن التطور في هذه التجربة أن الشاعر لا يندد بهم لأنهم أضاعوا وطنـــه بل يفسر ويشرح ارتباطاتهم بالاستعمار :

" دول تحسبهـا شرقيـة واذا أمعنت فالحاكـم غربـــي (٢)

" عربي السيماء يبدو ولكن وراء السيماء وجها غريبـا (٣)

٣. وتشتد عاطفة الحنين الذي هو احد اساسيات القصيدة لدى أبي سلمـــى وتعود الطفولة لتأخذ مكانا واضحا من شعره ، والحنين قد يكون رومانسيا حالما مثل قصيدة " داري " أو الحنين الغاضب مثل قصيدة " ســـنعود " وقصيدة " بقايا أهلي " .

(١) عبدالكريم الكرمي ـ ابوسلمى ـ المشرد ـ الطبعة الثانية ـ دمشق ١٩٦٣ ص٥٠

(٢) المرجع السابق ص ٦٠

(٣) المرجع السابق ص١٠

٤- ومزج الأرض بالحبيبة يظهر بشكل واضح في هذه المجموعة كما في قصيدة " الأفق المعطر " وقصيدة " أطياف " .

٥- أما مركز التجربة في هذه المجموعة الشعرية فهو هذا الحب الغامر للشعب وتبدو هذه الظاهرة في قصيدتين أكثر من غيرهما .

أ) قصيدة الشعب :

يا أيها الشعب المفدّى	قل لي بربك كيف تهدا
يتدفق العذب الـزلال	فيرتوون وأنت تصدى (١)

ب) قصيدة " نور ونار " :

سيروا على وضح النهار	فالحق من نور ونار
يا أيها الشعب النبيل	أمنت من شر المشار
أنت الذى تهدى السبيل	من اليمين الى اليسار
قرر مصيرك أنت	لا من يبصمون على القرار (٢)

٢ - مجموعة أغنيات بلادى ـ نشر مكتبة أطلس بدمشق ـ وقد صدرت الطبعة الاولى سنة ١٩٥٩ وتقع في ١٤٢ صفحة من الحجم المتوسط وتحتوى على ٣٦ قصيدة .

كتبت قصائد هذه المجموعة في تواريخ متعددة وتقسم الى قسمين :

الأول : شعر الحب ، ويبدأ من صفحة ١ وحتى صفحة ٦٦ والشعر الوطني والقومي والكفاح من أجل الحرية ويبدأ من صفحة ٦٧ ـ ١٤٠ وحول شعر الحب والغزل تتبدى لنا الملاحظات التالية :

١) يمتاز شعر الحب عند أبي سلمى بخاصية الحنين ، فهو يحن الى شيء ضاع .

٢) يستعمل الشاعر اللغة الرومانسية وقاموسها التقليدى المتعارف عليه فتكثر الفاظ العطر ـ السحر ـ الورد ـ موكب الاماني ـ الزهر ـ الاحلام ـ السنا ـ العبق .. الخ .

٣) التجربة عند أبي سلمى أشد حرارة وصلابة منها لدى الشعراء المتأثرين بمدرسة أبولو ، ذلك أنه يمزج هذه الرومانسية

---

(١) عبدالكريم الكرمي ـ ابوسلمى ـ المشرد ـ الطبعة الثانية ـ دمشق ١٩٦٣ ص ٣٠

(٢) المرجع السابق ص ٣٨

بلغة كلاسيكية رصينة وأغلب شعراء فلسطين قبل النكبة يميلون الى هذا المزج ، فهم يجمعون بين شوقي وحافظ وبين الرومانسيين الانجليز أو الفرنسيين .

٤) ثمة مزج آخر وهو بين الحبيبة والوطن الضائع ، فهو دائما يشكو الى الحبيبة ويقول لها الا يكفي ضياع الوطن (فتجربة الوطن المأساوية تزيد من المرارة خصوصا اذا كانت تجربة الحب قاسية ورغم أن الشاعر يكتب قصيدة خالصة عن الحب الا أنه يستعمل بيتين أو بضعة أبيات ليربط بين الحب والوطن . كما في قصائد درب الهوى ص ٢٥ ـ ٢٨ التربة السمراء (ص ٥٤ ـ ٥٧) شباكها الأخضر (ص ٥٨ ـ ٦٠) أخت النجوم (ص ٣٣ ، ٣٥) .

٥) الذروة الشعرية في قصائد الحب عند أبي سلمى تكون اما في البيت الاول من القصيدة أو في البيت الأخير ـ فهو اما أن يطرح خلاصة التجربة منذ البداية ثم يفصلها ، أو يبدأ بالتفاصيل التي تتأكد حتى تصل الى الذروة في البيت الأخير ، ومن ميزات قصيدة أبو سلمى أنه يختتم الذروة بتساؤلات وتقديم خلاصة التجربة وهذه بعض نهايات قصائده :

أ) وكيف أنساك وأنت التي أحببت فيك الشعب والموطنا (ص ٢٤)

ب) أنا في الحياة مشرد أبدا والليل طال على فابتسمي (ص ٣٥)

ج) يطلب قلبي الصفح ان اذنبت فهل الى رضائها من سبيل (ص ٤)

د) لولاك ما الدنيا وأحلامها لولاك ما دمعي وأشعاري (ص ٤٦)

ه) اختاه هل نحن غريبان هنا أم بين أهلينا وفي ديارنا (ص ٥٧)

و) قولي لمن أوحى بأسرارها بحق عينيك ... لم تمذرى (ص ٦٠)

أما الشعر الوطني والقومي والكفاح من أجل الحرية في مجموعة أغنيات بلادي الذي يشكل نصف المجموعة فيمكن أن نبدى الملاحظات التالية حوله :

١) ـ الشعر الفلسطيني القلب يعتمد على (الحنين) وهو حنين ايجابي في أغلب الأحيان .

٢) لا يتخلى ابو سلمى عن تكرار جغرافية فلسطين ، فالمكان البعيد هو أحد مراكز التجربة يتجاور مع نقيضه (الزمان) الجديد الحزين .

٣) لم يقع أبو سلمى كما وقع معاصروه بعد النكبة في التشاؤم وتعذيب النفس بل يمكن أن نسميه شاعر الغضب على الغيام وليس استجداء العطف .

٤) أحد مراكز تجربته هو الشعب فهو البديل للأصنام والغيام واليأس . والشعب وحده عند أبي سلمى هو صاحب القرار الاول والأخير .

ك- مجموعة أغاني الاطفال - نشر وتوزيع مكتبة أطلس - دمشق - الطبعة الاولى سنة ١٩٦٤ .

اشتركت مع أبي سلمى في هذه المجموعة الشاعرة فدوى طوقان حيث نظمت انشودتين هما : ديكي أحبه ، وجنة الدنيا بلادي .

لحن من هذه الأناشيد ثلاثة عشر نشيدا ، اثنا عشر نشيدا منها من تلحين الموسيقي يحيى اللبابيدي ، واللحن الثالث عشر للموسيقي يوسف بدوي .

أما ملاحظاتنا حول هذه المجموعة فهي :

١) حملت هذه المجموعة اسم أغاني الاطفال ، ومن وجهة نظرنا فانه يمكن أن تحمل اسم الأناشيد ، كما يمكن أن تسمى أغاني ، ذلك أن الطفل يمكن أن يتغنى بها بمفرده كما يمكن انشادها مع المجموعة .

٢) جاءت الألحان منسجمة مع الكلمات والموضوعات بما يحقق هدف تذوق الطفل للأغاني والأناشيد الملحنة المنغمة . ولا شك أن تكرار التذوق يكسب الفرد معايير ذوقية سليمة قد تنعكس على تصرفاته الأخرى فتراه يقدر ما هو جيد ويهدف في عمله الى الاجادة والاتقان .

ل- مجموعة من فلسطين ريشتي - نشر وتوزيع دار الآداب - بيروت - الطبعة الاولى نيسان سنة ١٩٧١ .

تقع هذه المجموعة في ٥٦ صفحة من الحجم الصغير وتحتوي على ثلاث عشرة قصيدة ، وفي هذه المجموعة يلخص أبو سلمى تجاربه السابقة

في المشرد ،وأغنيات بلادى : الشعب للحنين - الغضب - العروبة - الثورة - دور الكلمة .

وتختلط ملامح الحبيبة بملامح الأرض ، فعشق الشاعر لهذه الأرض يتضح في التغني بمظاهرها وبصفاتها وبأشجارها وأعشابها ، بشمسها وكواكبها بندادها وعطورها ، بأزهارها وسواقيها وهو اذ يرمز لهذه الأرض بالمرأة فانما ليعطي صورة التداخل في العشق بين فتاة بلاده في سماتها وملامحها الفلسطينية والأرض التي هي رمز العطاء والحب والخصب المثمر .

والحب ليس دعابة ولا لعبة جميلة لذيذة ،ولكنها جهد ساخن وتعب شاق

"... كلما حاربت من أجلك ... أحببتك أكثر
كلما دافعت عن أرضك ... عود العمر يخضر
وجناحي يا فلسطين على القمة ينشر (١) "

والشاعر لا يفرق بين فلسطين وفلسطينية الاسم ، وكأنما لم تعد اسما جغرافيا بقدر ما أصبحت صفة مرادفة للجمال ورمزا له .

يا فلسطينية ، الاسم الذى يوحي ويسحر
تشهد السمرة في خديك ، ان الحسن اسمر (٢)

....

أما الشعب فيتضح دوره أكثر مما مضى . " كل جيش يكون حربا على الشعب ، ذليل اذا التقى الجمعان (٣) وشهداء الشعب هم القادة الحقيقيون وليس بقادة من يجرون الشعب الى المأساة :

ليس من قاد للشهادة جيشا مثل من قاد جيشه للفرار (٤)

ويتحدث أبو سلمى عن دور الكلمة فيؤكد أن الكلمة تقوم بدورها

---

(١) عبدالكريم الكرمي - أبو سلمى - من فلسطين ريشتي - دار الآداب - بيروت ١٩٧١ ص ١٦

(٢) المرجع السابق ص ١٤

(٣) المرجع السابق ص ٢٠

(٤) المرجع السابق ص ٢٤

الحقيقي في أرض فلسطين :

في أرضنا الشعراء ما عبدوا　　في الحق غير الواحد الأحـد (١)

وهو يخاطب شعراء الأرض المحتلة حيث يعتبر أنهم أبناؤه الذين ناضلوا وساروا على طريقه يقول :

شعراء الجليل والشاطئ الغربي　　أنتم طلائع الفرسان

شعركم مثلكم خلودا ويسرى　　من فلسطين في نفح الجنان (٢)

....

٥ - ديوان أبي سلمى - نشر وتوزيع دار العودة - بيروت - الطبعة الاولى بتاريخ ١٩٧٨/٥/١ ، يقع الديوان في ٣٩٨ صفحة من الحجم الصغير ويحتوى على ١٧٣ قصيدة متفاوتة في الطول ويضم بين دفته مجموعاته الشعرية الثلاث : المشرد ، واغنيات بلادى ، ومن فلسطين ريشتي ، كما يضم مجموعة أغاني الاطفال ، كما يشتمل على قصائده التي لم تتضمنها مجموعاته مما كان قد نشر في الصحف الفلسطينية والعربية التي كان الشاعر قد فقد معظمها وقد ساعده في الحصول عليها بعض أصدقائه (٣) .

ونظرة واحدة للعناوين التي تحملها قصائده كافية لالقاء الضوء على طبيعة الديوان وربما طبيعة الشاعر ، فمن بين الأسماء : رفيق التاريخ ، نور ونار ، كلمة استعمار ، جبل النار ، لهب القصيد ، الشهيد ، رجال الفكر ، النسر العربي ، مأساة شعبي ، دنيا الهوى ، بلبلي الشادى ، وردة الشاطئ ، وداع الحبيب ، ربة الشال ، دارى ابنة بلادى ، لولاك يا سمراء ، التربة السمراء ، أغنيات بلادى ، شباكها الأخضر .

هذه العناوين تجسد ما تضمنته قصائده من مفاهيم وتجارب أبرزهما قضيتان هما : " الحب والحرية ، وتتداخل القضيتان في هذا

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابوسلمى - من فلسطين ريشتي - دار الآداب - بيروت ط ١ ١٩٧١ ص ٥٥

(٢) المرجع السابق ص ٣٢

(٣) الباحث أحد أصدقائه الذين تعاونوا معه في جمع بعض قصائده من الصحف

الديوان وتمتزجان بحرارة وصدق خلال الخيوط النفسية والتعبيرية (١).

والحب هنا لا يعني التجربة الذاتية التي عبر عنها الشاعر في مرحلة الثلاثينات فحسب بل يتجاوز ذلك الى التجربة الانسانية بأوسع مداها والتي تتمثل في ذلك الحنين الحار والمزج بين حبه لفتاته وحبه لوطنه والتي اتسم بها شعره بعد النكبة ، فالشاعر في هذا النوع من قصائده لا ينسى وطنه بل ثمة تجاوب بين الحبيبين في وجدانه وتجاربه الشعورية (٢) .

وقد كان مما يشكو منه قراء شعر أبي سلمى قبل ظهور الديوان الأخير أن معظم قصائده غير مؤرخة مما حدا بالناقدين أن يطالبوا بتأريخ هذه القصائد ما أمكن لأن ذلك يلقي أضواء كثيرة حول الخلفية التاريخية ، وقد عمل أبو سلمى في ديوانه الجديد على تحقيق هذه الرغبة في عدد من قصائده .

هنالك بعض القصائد التي لم تظهر في الديوان والتي تضمنتها مجموعاته السابقة رغم أنها قصائد ذات قيمة نضالية وفنية وهي : عيناك ، لهب على الأردن ، ابتسامة ماوتسي تونج وهي من مجموعة اغنيات بلادي .

ونور الديار ، والثوب الأزرق من مجموعة المشرد ، كما أن هناك قصائد ما زالت غير متضمنة في الديوان مثل : جنون الصبا ، الغريب في العيد ، حييت ، دمعة على الذكرى ، لبيبة في عيد الصعود ، تلة الرضوان ، رثاء البطل أحمد مريود ، أيها العيد ، اذكريني وهي مترجمة عن الفرنسية ، ليلى على جبل التوباد ، رقصة السماح ، المجاهد الصغير .

....

٦- كفاح عرب فلسطين ، نشر وتوزيع مكتبة أطلس - دمشق - الطبعة الاولى بتاريخ ١٩٦٥/٦/٢٥ لا غرو أن يسير الشعر الفلسطيني في خط متواز مع

---

(١) الباحث - الحب والحرية في شعر ابي سلمى - جريدة الدستور الاردنية عدد ١٩٧٨/٨/١١ .

(٢) المرجع السابق

التأريخ ، وأن يؤرخ الشاعر لكفاح بلاده وقضيتها العادلة وتاريخها العريق ذلك أن هذا الاشتراك والاندماج بين الشاعر والمؤرخ هو موقف جوهري يتعلق بالمحافظة على الهوية والجذور التاريخية التي تنبع من قضية الانسان الذي وجد نفسه ازاء حاضر يتمخض كل يوم عن تفاصيل مؤلمة ومستقبل مظلم . ومن هنا كان اصدار أبي سلمى لكتاب كفاح عرب فلسطين وهو كتاب يبحث في تاريخ كفاح هذا الشعب على مر العصور ابتداء من الفتح الاسلامي ومرورا بالحكم التركي فالانتداب البريطاني وانتهاء بالنكبة الفلسطينية التي عصفت بالشعب الفلسطيني وحولته الى جماعات من اللاجئين يعيشون في المنافي العربية .

وكما قال المؤلف في مقدمته : " أراد المستعمرون محو اسم فلسطين من خريطة العالم العربي واذا بأحرفها من نار تلمع فوق العصور مشعة ابدا ، ملتهبة أبدا بتنورها العربي اينما كان وفي أية أرض وجد فيلهج باسمها كل صباح وينهض باسمها الى الكفاح . فلسطين يمتزج اسمها مع الأنفاس العربية ويسري مع الدماء العربية وهي أمام كل نهضة ووراء كل ثورة حتى تتطهر أرضها ، وتعود الى أهلها تتعانق مع أبنائها جزءا لا يتجزأ من الوطن العربي الكبير ..(١)" .

لقد أدى أبو سلمى وهو المناضل الذي عاش فصول المأساة ، وخاض مراحل الكفاح قبل النكبة وبعدها ، قد أدى بكتابه هذا خدمة للقضية الفلسطينية خاصة ، والقضية العربية عامة لأنه عالج وبحث قضية بلاده وكفاحها العادل بصدق واخلاص وجرأة .

ويكفي أن أذكر عناوين بعض الفصول حتى نعرف شمول البحث وعمقه وهي :

١) كفاح عرب فلسطين - توطئة - وفيها يشرح المؤلف دور عرب فلسطين في الكفاح من أجل الحرية والاستقلال بعد أن تعرضوا في أواخر العهد العثماني للظلم والاضطهاد .

٢) الوان الكفاح ومقاومة الصهيونية والانتداب

......

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابوسلمى - كفاح عرب فلسطين - دمشق ١٩٦٥ ص ٤

وعن هذا الكفاح ضد الصهيونية والاستعمار يقول أبو سلمى : " ... وكان كفاح الشعب الفلسطيني خلال هذه المرحلة شأنه شأن كفاح أي شعب آخر مستعمر مهدد ، يتمشى مع أدواره ويتطور في أشكاله تبعا لأوضاع شعبه ووعيه وقوة قيادته وظروف معركته فكان ينتقل بين الكفاح السلمي تارة والكفاح المسلح تارة أخرى ويتوجه ضد الصهيونية ووعد بلفور حينا وضد الاحتلال البريطاني حينا آخر وضدهما معا في أعلى مراحله ... (١) .

وفي فصل أبطال من فلسطين يتحدث أبو سلمى عن شيخ المجاهدين عزالدين القسام ويشرح دوافع حركته وأهدافها ويعطي تقييما لهما فيقول :

" كانت حركة القسام هازة للعرب أجمعين هزة عنيفة ، فالرجل المجاهد استطاع أن يدل العرب على الطريق ، طريق القوة وهو لم يكن يجهل النتيجة يوم ذهب الى يعبد بعدد قليل من الرجال ومقدار يسير من السلاح ولكنه آثر الاستشهاد عن يقين وعقيدة ليحيي في النفوس هذه الروح الثورية العملية .. (٢) " .

وأخيرا فالكتاب دراسة تاريخية لمراحل النضال الفلسطيني وفيه تأكيد على رسوخ قدم الشعب وصلابته في كفاحه العادل ضد الظلم والاضطهاد ومن أجل الحرية وفيه توضيح للدور الحقيقي الذى قام به الاستعمار الانكلو اميركي في صنع المأساة وحقيقة أداته ومخلبه "اسرائيل" التي أقامها في قلب البلاد العربية لتكون قاعدة للاستعمار والعدوان ولتحول بين العرب وتحقيق اهدافهم القومية في الوحدة والحرية .

٧- أحمد شاكر الكرمي - مختارات من آثاره - نشر وتوزيع مكتبة أطلس - دمشق آيار سنة ١٩٦٤ :

هذا الكتاب عن حياة وآثار الكاتب الناقد والأديب أحمد شاكر الكرمي ١٨٩٤/ ١٩٢٧ من منشورات وزارة الثقافة والارشاد وقد جمع مواده وأشرف

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابوسلمى - كفاح عرب فلسطين - دمشق ١٩٤٥ ط ١ ص ١٠٢

(٢) المرجع السابق ص ١١٠

على طبعه أخوه عبدالكريم الكرمي "ابو سلمى" وقدم له فؤاد الشايب بدراسة وافية جاء فيها :

".. وأنت وأنا . عندما تقرأ هذه الأوراق التي تركها الكرمي ، نحس بقوتها وتدفقها وهديرها وبأنه اجمل ما فيها وعدها وابلغ ما أتى فيها وورد ، ما سيأتي بعدها ويرد مملوءة بالبراعم ملقحة بالخصب كأن السنوات العشر الأخيرة من عمره لم تكن سوى المدخل الضيق الى حياته العريقة التي لو مكنه منها القدر الظالم وعاش الى الستين او الى السبعين مثلما عاش من سبقه وعاصره من الكتاب والمثقفين لخلق لنا أكثر من ثمانين كتابا أو أكبر من ثروة تحصى وتقيم بعدد الكتب والمؤلفات (١) .... ".

ويتضمن هذا الكتاب التاريخي النفيس جزءا كبيرا من آثار المرحوم أحمد شاكر الكرمي في النقد والبحث الأدبي والاجتماعي والقصة والترجمة لكبار كتاب العالم ، عن اللغة الانجليزية مما نشره في صحف ومجلات عربية بين القاهرة ودمشق من عام ١٩١٩ حتى عام ١٩٢٧ سنة وفاته عن عمر لا يتجاوز ثلاثة وثلاثين عاما .

هذا الكتاب تاريخ موجز لمطلع نهضة الفكر العربي من دمشق .

٨- الشيخ سعيد الكرمي - سيرته العلمية والسياسية - نشر وتوزيع المطبعة التعاونية بدمشق - الطبعة الاولى - ايلول سنة ١٩٧٣ .

يحتوي الكتاب على ٢٨٠ صفحة من الحجم الكبير ويشتمل على مقدمة وتمهيد وأقسام ثلاثة :

أما القسم الاول ، فقد خصص للحديث عن سيرة الشيخ سعيد الكرمي ، ويتحدث أبو سلمى عن جانب واحد منها كما يتحدث عن الجوانب الاخرى من هذه السيرة كل من المجاهد العربي محمد الشريقي والدكتور عدنان الخطيب عضو مجمع اللغة العربية السابق بدمشق ، والأديب عجاج نويهض وعن المصادر التي

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - أحمد شاكر الكرمي - وزارة الثقافة والارشاد - دمشق - ط ١ ١٩٦٤ المقدمة

اعتمد عليها في هذه الدراسة يقول ابو سلمى في مقدمة الكتاب:

" وهكذا توفرت لدي مجموعة وان كانت ليست كل آثاره لكنها مجموعة تكفي للدلالة على بعض آثاره في ثلاثة عهود: العهد العثماني، العهد الفيصلي في دمشق، والعهد العبدلي في الاردن (١) ".

أما التمهيد فيشتمل على الأوضاع السياسية التي كانت سائدة في عصر الشيخ سعيد الكرمي وهي مكتبسة من كتاب " يقظة العرب " " لجورج انطونيوس " والأوضاع الاجتماعية وقد كتبت بقلم ولد صاحب السيرة " الأديب حسن الكرمي ".

أما القسم الثاني من الكتاب فيتضمن مختارات من نثره مثل: نفائس الأفكار، اللغة والدخيل فيها، قاموس الاطباء، شرح مجلة الأحكام العدلية، شذرات من ذهب في أخبار من ذهب، الاعلام بمعاني الاعلام، المصلحون والمجددون وغيرهم.

أما القسم الثالث، فيشتمل على مختارات من شعره ويحتوى على سبع وعشرين قصيدة.

والكتاب الى هذا، يلقي أضواء على شخصية الشيخ سعيد الكرمي شرح فيها كفاحه وقد كان من حملة المشاعل القومية، ودوره الثقافي والفكري من انشاء المدارس الى اسهامه في انشاء المجمع العلمي العربي بدمشق، والمجمع العلمي الاردني، وشعبة الترجمة والتأليف والنشر بدمشق الى مجالس التربية والتعليم والقضاء في الاردن الى مؤلفاته العلمية القيمة ومكتبته التي كانت تضم نفائس المطبوعات والمخطوطات.

والكتاب بالاضافة الى كل ذلك يعطينا فكرة جيدة عن الاوضاع الثقافية والفكرية في فلسطين وسوريا والاردن في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

---

(١) عبدالكريم الكرمي - ابو سلمى - الشيخ سعيد الكرمي، سيرته العلمية والسياسية - المطبعة التعاونية - الطبعة الاولى - دمشق - أيلول ١٩٧٣ ص ١٠ .

وأخيرا، فقد بذل ابو سلمى جهدا جانا في جمع واستقصاء مصادر هذا الكتاب حتى جاء على الصورة التي هي عليه وهو كسب يضاف الى المكتبة العربية وآثارنا الأدبية والعلمية وسجلنا الحضاري والانساني .

٩ - ثورة فلسطين - مسرحية شعرية - مخطوطة

كان أبو سلمى قد أرسل نسختين من هذه المخطوطة الاولى لصديقه الأديب ابراهيم المازني والأخرى لصديقه الشاعر والمؤرخ خير الدين الزركلي ، وبقيت لديه نسخة ثالثة ، وقد فقدت منه هذه النسخة مع حقائبه وأشيائه التي سرقت منه في القاهرة ، كما فقدت منه النسختان الأخريان اللتان كانتا لدى المازني والزركلي .

ويتحدث ابراهيم المازني عن هذه المسرحية بقوله :

" ان القارئ يخرج من هذه المسرحية بفكرة حسنة عن روح العرب ونزوعهم الى الثورة والتمرد على الظلم (١) .. ولكنه يأخذ عليه أن جملة ما يخرج به القارئ من المشاهد في ذاتها أنها لا تعطي فكرة كافية عن الثورة ، ولا يرسم في ذهن المرء صورة تامة لانه ليس هناك الا تصوير حادثة الشيخ القسام ، وهو أوفى ما في المسرحية وأبدعه (٢) . "

---

(١) د . ناصر الدين الاسد - الشعر العربي في فلسطين والاردن - معهد الدراسات العربية - القاهرة - ط ١ ١٩٦١ ص ١٦

(٢) المرجع السابق

خـاتمــــة

خلاصة ما يمكن أن نقوله بعد هذه الرحلة مع ابي سلمى شاعرا وأديبــــا وانسانا انه كان واحدا من جيل الشعراء الرواد الذين سجلوا بأمانة وصدق أحداث البلاد قبل النكبة ، وأسهموا بالكلمة الحرة الجريئة في قضايا شعبهم وأمتهــم .

وكما أنه من جيل شعراء المقاومة ، فهو ايضا من جيل الفردوس المفقود ، عاش هموم شعبه قبل النكبة ، وتجرع مرارة الغربة ، يصدر عن شعور انســـاني صادق ، ووعي عميق بالابعاد الحقيقية لأزمته باعتباره فلسطينيا واكب النكبـــة مرحلة بعد مرحلة ، وسجل أحداثها بصدق وواقعية .

نلمح في تجربته الشعرية محاور ثلاثة كان لها أثرها في تطور شعره ، واخصاب تجربتـه وهــي :

١- المحور الوطني الذى تشرب رائحة الارض بكل معطياتها الطبيعية والنفسية رامزا بالحبيبة للوطن . نجده حين يتصدى لمفاهيم الثورة والجهـــاد يتغنى بالحب للاوطان ، لذا فان شعره يكاد ينفرد بالتصاقه بالارض وتغنيه بالقرية والمدينة والشارع وما تحمله تلك الاماكن من اسماء اقترنـــت بلحظات وذكريات خالدة ظلت تعيش في مخيلة الشاعر .

٢- المحور القومي :

ان فلسطين التي تتحول الى رمز عند ابي سلمى ، لا تتقوقع ولا تتحــول الى الم معزول ، وقضية محلية بل هي بؤرة لهموم أكبر ، أعمق ، أشــمل انها مرتبطة بالصراع العربي ضد الاستعمار ، والهموم العربية كلهـــا ، ففلسطين بالنسبة لابي سلمى هم خاص ، لكنه هم عربي ، يعيش هذه القضيـة بكل جوارحه ويريد أن يعيشها كل عربي بكل جوارحه .

وهكذا تأخذ فلسطين حجمها الحقيقي ، وتظل هما قوميا . انه لا يقزم قضيته بل يعطيها بعدها بكل عمقه وشموليته ، ولعل شعر العروبــــة والأمة ، وشعبها وحاكمها ، لعل هذا الموضوع من أكثر الدوائر اتساعا في شعر أبي سلمى .

٣- المحور الانساني :

نلمح في شعر ابي سلمى سمات وملامح انسانية ، فهو يغني لقضية التحرر العالمي ، ويريد الحرية لوطنه كما يريدها لسائر الشعوب ، وقد كان لاسهامه في المؤتمرات الدولية الأدبية منها والسياسية ، أن فتح أمامه آفاقا واسعة يطل منها على ثورة الانسان المعاصر ضد الظلم والاستقلال ، كما تغنى بكل شيء جميل وخير في هذا العالم الرحب وان كان تغنيه بالخير والجمال لم يذهله عن واجبه ازاء قومه وقضية شعبه .

ومما يلفت النظر في شعر أبي سلمى : المكاشفة الامينة ، والوصف الصادق ، وعرض النضال الثوري ، كما طبعت الصراحة كثيرا من قصائده بطابع التفنيد ، والتطلع الى الثورة والحرية . ولذلك ، فقد كان ايمانه بالثورة والاعتماد على الشعب هما محور تطلعه الى الغد ، وسبيل الحل الوحيد لأزمة الفلسطيني .

ومن حيث اتجاهه الفني ، فاننا نلمس في شعره ذلك التفاعل الحقيقي مع التراث ، والعشق الحميم باللغة العربية ، واتخذ هذا كله عند ابي سلمى منحنى واضحا ، انه التمسك بلغة عربية واضحة وسليمة فيها التراث كله ، ولكنها ليست مقصورة ولا غريبة ، ولا خارج العصر ، انها لغة تمتد في التراث بعيدا ولكنها ليست قاموسا ، انها اللغة التي تعبر عن حب وطن ومعاناة قضية ، وهكذا تتجسد اللغة بقدرتها على التعبير دون أن تفقد تاريخيتها ، ودون أن تتحول عن أن تكون تراثا .

ومن هنا يمزج أبو سلمى بين كلاسيكية رصينة لصيقة لرومانسية حالمة ، وواقعية ثورية ، ينطلق في ذلك من مفهومه للشعر الذي أراد له أن يكون فنا جماهيريا شعبيا يصور كل احساسات الشعب ومعاناته ، وما يجري حوله من أحداث جسام . فشعر ابي سلمى يكاد يكون سجلا للنكبة بكل أبعادها وما ترتب على نتائجها من احداث كان لها وقعها الكبير في ضمير الشاعر .

على أن أهم ما يميز لغة ابي سلمى الشعرية ، هي البساطة والوضوح مع حدة نابعة من احساسه بمرارة النكبة .. ولعل العاطفة ، هي المنهج الرئيسي لكل عطائه الشعري ، كما أن الغنائية هي الطابع الاول المهيمن على كل ما ينظمه حتى جاءت أكثر قصائده مقطعات غنائية ذات لفظ جميل متخير ، ونغم سائغ حلو .

وفي القصيدة تلمس خصائص الشاعر الأصيلة في التعبير الشعري ، من وحدة القصيدة ، وقوة التجربة وعمقها ، ومن موسيقاها الساحرة وخيالها الصادق ومن محافظة على بناء القصيدة الفني .

وهو يستخدم الشكل التقليدي للقصيدة العربية ما عدا بعض التجديدات مثل : التنويع في القافية وما نظمه على نهج الموشحات والمسمطات والمزدوجات والمربعات والمخمسات وغيرها . أما في الأوزان فهو لم يخرج على الاوزان الخليلية .

ومن ناحية ثقافته الفنية ، استطاع ابو سلمى أن يكون نفسه تكوينا ثقافيا جيدا فهو وثيق الصلة بالثقافة العربية القديمة ، ووثيق الصلة بالثقافة العربية الحديثة والمعاصرة .

أما ثقافته العامة فقد امتدت الى الأدب العالمي عن طريق اللغة الفرنسية التي يتقنها والمؤتمرات الادبية والثقافية والسياسية التي حضرها في كثير من أقطار العالم تضاف الى ذلك صلته الوثيقة بالادباء والشعراء في الوطن العربي وفي أقطار العالم الأخرى .

ونلمح في نثر أبي سلمى أنه كاتب يحسن التصرف في فنون القول والكتابة سامي الهدف ، مستقيم النهج . وقد عبر من خلال نقده الادبي نحو كل ما يحقق شخصية الأديب وحريته في التعبير . وهو يقف من الحضارة الانسانية وقفة تؤمن باستمرار تقدمها ، وتطورها وعلى أن لا يكون الفن بعيدا عن روح الجماهير وقيم المجتمع .

وهو ضد الغموض الناشيء عن غموض الفكرة في الذهن ، واضطراب المخيلة ويرى أن الوضوح هو ابرز صفة للأديب .

أما مفهوم الالتزام عنده : فهو أنه ليس قضية فكرية ، أو تبعية لأحد وهو غير الالزام الذي يقتل موهبة الفنان ، وحق ابداعه ... ولكنه التزام ممتزج بروح الشعب ، دفاق بحزيمته .

وهو في نقده الاجتماعي يلتزم بقيم المجتمع ويتجه الى الانسان معبرا في ذلك عن التزامه بقضايا الشعب والوطن ، وهموم الانسان العربي .

وعلى الرغم مما مر به من ظروف شداد ، كان فيها بحاجة الى المال ، الا أنه لم يقع بما وقع فيه غيره فظل متمسكا بمبادئه ، وأهدافه لايحيد عنها .

هذه صورة مصغرة ، ولكنها واضحة لأبي سلمى الأديب الانسان ، واذا كان للحياة أن تزدهي بألحانها الرفيعة المعبرة ، فما أحرى الأمم بأن تعتز بأدبائها وشعرائها المحسنين .

*

ثبت بمصادر ، ومراجع البحث *

- ابراهيم ابو لغد :ـ ترجمة الدكتور أسعد رزوق ـ تهويد فلسطين • مركز الأبحاث الفلسطيني ، ط ١ (بيروت ، ١٩٧٢)
- ابراهيم أنيس : ـ موسيقى الشعر العربي • مكتبة الانجلو المصرية ط ٤ (القاهرة ، ١٩٧٢)
- ابراهيم عبد الستار : شعراء فلسطين العربية ، في ثورتها القومية • اصدار نادى الاتحاد العربي ، ط ١ (حيفا ، د • ت)
- ابراهيم عبد الفتاح طوقان : ديوان ابراهيم • دار الشرق ، ط ١ (بيروت ، ١٩٥٥)
- ابراهيم عبدالفتاح طوقان : ديوان ابراهيم • دار القدس ، ط ٢ (بيروت ، ١٩٧٥)
- ابراهيم عبدالقادر المازني : الدفاع " جريدة " ـ يافا ، مطابع الدفاع ، ٢٤ تشرين الثاني ١٩٣٥ (ع ٢٢٧٤)
- احسان عباس : فن الشعر • دار بيروت للطباعة والنشر ، ط ١ (بيروت ، ١٩٥٥)
- أحمد الشايب : الأسلوب • مكتبة النهضة المصرية ، ط ٥ (القاهرة ، ١٩٦٠)
- أحمد أمين : النقد الأدبي • مكتبة النهضة المصرية ، ط ١ (القاهرة ، ١٩٥٨)
- أدهم آل الجندى : أعلام الأدب والفن • مطبعة مجلة صوره ج ١ ، ط ١ (دمشق ، ١٩٥٤)
- اسماعيل اليوسف : وحي الادباء ، دراسات ومنتخبات أدبية في الشعر والنثر • دار حمد ، ط ١ (بيروت ، ١٩٥٨)

---

* اعتمد الباحث في تنظيم هذا الثبت على التقنيات الدولية للوصف البيبليوجرافي المعروف :
ISBD (MS) International Standards for Bibiliographic Descrebtion for Monograph and Serials.
الصادر عن الاتحاد الدولي لجمعيات المكتبات في عام ١٩٧٧

* د • ن : يعني دون ناشر ، والرمز د • ت : يعني دون تاريخ

- أسمى طوبي : عبير ومجد . مطبعة قلفاط ، ط ١ (بيروت ، ١٩٦٦)

- المحبي (محمد أمين بن فضل الله) : خلاصة الأثر ، في أعيان القرن الحادى عشر . مكتبة الخياط ، ط ١ (بيروت ، د . ت)

- اميل الخورى : المؤامرة الكبرى ، اغتيال فلسطين ومحق العرب . دار النيل للطباعة ، ط ١ (القاهرة ، ١٩٥٥)

- أمين الحسيني : حقائق عن قضية فلسطين . المطبعة السلفية ، ط ١ (القاهرة ، ١٩٥٤)

- بدر شاكر السياب : المجموعة الكاملة لديوان بدر شاكر السياب . دار العودة ، ط ١ (بيروت ، ١٩٧١)

- توفيق زياد : الأدب والأدب الشعبي الفلسطيني في فلسطين . دار العودة ، ط ١ (بيروت ، ١٩٧١)

- جمال الدين الرمادى : فصول مقارنة بين أدبي الشرق والغرب . الدار القومية للطباعة والنشر ، ط ١ (القاهرة ، د . ت)

- جورج الراسي : تأملات في الواقع العربي المعاصر . المكتبة العصرية ، ط ١ (صيدا ، ١٩٦٠)

- حسين نصار : ديوان جميل . جمع وتحقيق - مكتبة مصر - ط ١ (القاهرة ، ١٩٦٠)

- خير الدين الزركلي : الأعلام . ج ١ ، ط ٣ (بيروت ، ١٩٦٦)

- رئيف الخورى : الدراسة الأدبية . دار النهضة ، ط ١ (بيروت ، ١٩٥٤)

- رئيف الخورى : التعريف في الأدب العربي . مطبعة الاتحاد ، ج ١ ، ط ١ (بيروت ، ١٩٦٨)

- سامي الدروبي : علم الطباع . دار المعارف ، ط ١ (القاهرة ، ١٩٦٠)

- سعد بسيسو : اسرائيل جناية وخيانة . ط ٢ (حلب ، سوريا ، ١٩٥٦)

- سليمان البستاني : الياذة هوميرس . مطبعة الهلال ، ط ١ (القاهرة ، ١٩٥٤)

- شكرى عياد : موسيقى الشعر العربي . دار المعرفة ، ط ١ (القاهرة ١٩٦٨)

- شوقي ضيف : في النقد الأدبي . دار المعارف ، ط ٢ (القاهرة ، ١٩٦٢)
- صالح الأشتر : في شعر النكبة - بحث تخطيطي في أصداء نكبة فلسطين في الشعر العربي المعاصر - مطبعة جامعة دمشق ، ط ١ (دمشق ، ١٩٦٠)
- صالح الاشتر : مأساة فلسطين وأثرها في الشعر العربي المعاصر . محاضرة القيت في مدرج جامعة دمشق ، مطبعة جامعة دمشق ، ط ١ (دمشق ، ١٩٦١)
- عارف العزوني : الطريق ، " مجلة " - بيروت ، ايلول ١٩٤٧ (ع ٩)
- عبدالرحمن الكيالي : الشعر الفلسطيني في نكبة فلسطين . المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط ١ (بيروت ، ١٩٧٥)
- عبد الرحمن ياغي : حياة الأدب الفلسطيني الحديث . مخطوطة لنيل شهادة الدكتوراة ، جامعة القاهرة ، ط ١ (القاهرة ، ١٩٧٥)
- عبدالرحمن ياغي : حياة الأدب الفلسطيني الحديث . منشورات المكتب التجارى ، ط ١ (بيروت ، ١٩٦٨)
- عبد الرحيم محمود : ديوان عبد الرحيم محمود . اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، دار العودة ، ط ١ (بيروت ، ١٩٧٤)
- عبد الكريم الكرمي (ابو سلمى)*: أغنيات بلادى . ط ١ (دمشق ، ١٩٥٩)
- عبد الكريم الكرمي (ابو سلمى) : المشرد . ط ٢ (دمشق ، ١٩٦٣)
- عبد الكريم الكرمي (ابو سلمى):أغاني الأطفال . ط ١ (دمشق ، ١٩٦٤)
- عبدالكريم الكرمي (ابو سلمى) : من فلسطين ريشتي . ط ١ (بيروت ، ١٩٧١)
- عبدالكريم الكرمي (ابو سلمى) : ديوان ابي سلمى . دار العودة ، ط ١ (بيروت ، ١٩٧٨/٥/١)
- عبدالكريم الكرمي (ابو سلمى) : أحمد شاكر الكرمي - مختارات من آثاره - ط ١ (دمشق ، ١٩٦٤)
- عبدالكريم الكرمي (ابو سلمى) : كفاح عرب فلسطين . ط ١ (دمشق ، ١٩٦٥)

---

* أشرت الى أوراق أبي سلمى ومحاضراته في هوامش البحث .

- عبدالكريم الكرمي (ابو سلمى) : الشيخ سعيد الكرمي - سيرته العلمية والسياسية - ط ١ (دمشق ، ١٩٧٣)
- عبد الكريم الكرمي (ابو سلمى) : الميزان " مجلة " دمشق ٢٢ آذار ١٩٢٦
- عبدالكريم الكرمي (ابو سلمى) : المجمع العلمي العربي " مجلة " دمشق ١٩٢٧ (م ٨)
- عبدالكريم الكرمي (ابو سلمى) : الزهراء " مجلة " - القاهرة ، ربيع الاول ١٣٤٧ھ (ج ١ م ٥)
- عبدالكريم الكرمي (ابو سلمى) : الرسالة " مجلة " القاهرة ، ٢ آذار (مارس) ١٩٣٦ (ع ١٣٩)
- عبدالكريم الكرمي (ابو سلمى) : الرسالة " مجلة " القاهرة ، ٧ آب ١٩٣٦ (ع ١٦١)
- عبدالكريم الكرمي (ابو سلمى) : الرسالة " مجلة " القاهرة ، ٢١ أيلول (سبتمبر) ١٩٣٦ (ع ١٦٨)
- عبد الكريم الكرمي (ابو سلمى) : المعرفة " مجلة " دمشق ، كانون الاول ١٩٦٥
- عبد الكريم الكرمي (ابو سلمى) : الثقافة الجزائرية " مجلة" الجزائر يوليو (تموز) ١٩٧٥ (ع ٢٧)
- عبد الكريم الكرمي (ابو سلمى) : المضحك المبكي " مجلة " دمشق ، ٧ شباط ١٩٦١
- عبدالكريم الكرمي (ابو سلمى) : المضحك المبكي " مجلة " دمشق ، ٢ نيسان ١٩٦٢
- عبد الكريم الكرمي (ابو سلمى) : المضحك المبكي " مجلة " دمشق ، ٦ كانون الثاني ١٩٦٢
- عبد الكريم الكرمي (ابو سلمى) : المضحك المبكي " مجلة " دمشق ، ٢ تموز ١٩٦٣

- عبد الكريم الكرمي (ابو سلمى) : المضحك المبكي " مجلة " دمشـــق ، ٧ تشرين الثاني ١٩٦٣

- عبدالكريم الكرمي (ابو سلمى) : المضحك المبكي " مجلة " دمشـــق ، ٢ آذار ١٩٦٤

- عبد الكريم الكرمي (ابو سلمى) : المضحك المبكي " مجلة " دمشـــق ، ٢ نيسان ١٩٦٤

- عبد الكريم الكرمي (ابو سلمى) : المضحك المبكي " مجلة " دمشـــق ، ٧ كانون الاول ١٩٦٤

- عبد الكريم الكرمي (ابو سلمى) : المضحك المبكي " مجلة " دمشـــق ، ٧ آذار ١٩٦٥

- عبد الكريم الكرمي (ابو سلمى) : فلسطين " جريدة - يافا ، مطابـــع فلسطين ، ٢٣ حزيران ١٩٣٥

- عبد الكريم الكرمي (ابو سلمى) : فلسطين " جريدة " - يافا ، مطابـــع فلسطين ٢٩ آذار ١٩٣٦ (ع ٣٢١٥)

- عبد الكريم الكرمي "(ابو سلمى) : فلسطين " جريدة " - يافا ، مطابـــع فلسطين ، ٥ نيسان ١٩٣٥

- عبد الكريم الكرمي (ابو سلمى) : الدفاع " جريدة " - يافا ، مطابـــع الدفاع ٣ آب ١٩٤٣ (ع ٢٢٠٥)

- عبد الكريم الكرمي (ابو سلمى) : الدفاع " جريدة " - يافا ، مطابـــع الدفاع ٣ تموز ١٩٤٢

- عبد الكريم الكرمي (ابو سلمى) : الدفاع " جريدة " - يافا ، مطابـــع الدفاع ٩ آب ١٩٤٣

- عبد الكريم الكرمي (ابو سلمى) : الدفاع " جريدة " - يافا ، مطابـــع الدفاع ١٦ آب ١٩٤٣ (ع ٥٢٢٤)

- عبد الكريم الكرمي (ابو سلمى) : الدفاع " جريدة " - يافا ، مطابـــع الدفاع ، ٢ آب ١٩٤٣ (ع ٢٥١٠)

- عبد اللطيف المجذوب : المرشد الى فهم أشعار العرب • مطبعة مصطفى الحلبي ، جـ ١ ، ط ١ (القاهرة ، ١٩٥٥)
- عبدالقادر ياسين : كفاح الشعب الفلسطيني • مركز الابحاث الفلسطيني ، ط ١ (بيروت ، ١٩٧٥)
- عز الدين اسماعيل : الشعر في اطار العصر الثوري • دار القلم ، ط ١ (بيروت ، ١٩٧٤)
- عز الدين اسماعيل : الشعر " مجلة " - القاهرة ، فبراير (شباط) ١٩٦٤ (ع ٢)
- عمر الدقاق : الاتجاه القومي في الشعر المعاصر • معهد الدراسات العربية ، ط ١ (القاهرة ، ١٩٦٠)
- عمر فروخ : شاعران معاصران • المكتبة العلمية ط ١ (بيروت ، ١٩٥٤)
- عيسى السفرى : فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية • مكتبة فلسطين الجديدة ، ط ١ (يافا ، ١٩٣٧)
- عيسى فتوح : الموقف الأدبي " مجلة " دمشق ، آذار (مارس) ١٩٧٩ (ع ٩٥)
- غسان كنفاني : الانوار " جريدة " - بيروت ، مطابع الأنوار ، ١٤ نيسان ١٩٦٨ (ع ٢٦٨١)
- فتاة غسان : الدفاع " جريدة " - يافا ، مطابع الدفاع ، ٢٦ آب ١٩٤٣ (ع ٢٥٢٣)
- فخري صافيه : الثقافة العربية " مجلة فصلية " بيروت ، آيار - حزيران ١٩٥٨ (ع ٢)
- قدامة بن جعفر : نقد الشعر - تحقيق كمال مصطفى الخانجي - ط ١ (القاهرة ، ١٩٤٨) •
- كامل السوافيرى : الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين • مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ، ط ١ (القاهرة ، ١٩٦٤)
- كامل السوافيرى : الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر • مكتبة الانجلو المصرية ، ط ١ (القاهرة ، ١٩٧٣)
- ماهر حسن فهمي : الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث • معهد البحوث العربية ، ط ١ (القاهرة ، ١٩٧٠)

- محمد علي الطاهر : اوراق مجموعة بمكتب الاستعلامات الفلسطيني العربي . ط ١ (القاهرة ، د . ت)
- محمد خورشيد العدناني : أمير الشعراء بين العاطفة والتاريخ . ط ١ (القدس ، ١٩٣٢)
- محمد زكي العشماوي : قضايا النقد الأدبي المعاصر . الهيئة العربية العامة للكتاب ، ط ١ (الاسكندرية ، ١٩٧٥)
- محمد غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث . دار النهضة العربية ، ط ٤ (القاهرة ، ١٩٥١)
- محمد غنيمي هلال : الرومانتيكية . ط ١ (القاهرة ، ١٩٥٦)
- محمد غنيمي هلال : قضايا معاصرة في الأدب والنقد . دار نهضة مصر ، (القاهرة ، رقم الايداع بدار الكتب ٢٤٧٧)
- محمد غنيمي هلال : دراسات ونماذج في الشعر ونقده . دار نهضة مصر ، (القاهرة ، رقم الايداع بدار الكتب ٢٥٣٩)
- محمد مندور : النقد المنهجي عند العرب . مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ، ط ١ (القاهرة ، ١٩٤٨)
- محمد مندور : محاضرات عن خليل مطران . مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ، ط ١ (القاهرة ، ١٩٥٤)
- محمد مندور : الأدب ومذاهبه . مكتبة الانجلو المصرية ، ط ٤ (القاهرة ، ١٩٧٣)
- محمد يونس الحسيني : التطور الاجتماعي والاقتصادي في فلسطين . مطبعة بيت المقدس ، ط ٢ (القدس ، ١٩٦٤)
- مصطفى ناصف : الصورة الأدبية . مكتبة مصر ، ط ١ (القاهرة ، ١٩٥٨)
- مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين - في الديار النابلسية - ط ١ (بيروت ، ١٩٦٩)
- منيب الماضي وسليمان الموسى : تاريخ الاردن في القرن العشرين ١٩٠٠ - ١٩٥٩ ، ط ١ (عمان ، د . ت)
- ميخائيل نعيمة : الغربال . دار المعارف ، ط ١ (القاهرة ، ١٩٤٦)
- نازك الملائكة : قضايا الشعر المعاصر . مكتبة النهضة ، ط ١ (بيروت ، ١٩٦٢)

- ناصر الدين الأسد : محاضرات في الشعر الحديث في فلسطين والاردن • معهد الدراسات العربية العالية ، مطبعة لجنة البيان العربي ، ط ١ (القاهرة ، ١٩٦٠)
- ناصر الدين الأسد : الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والاردن • مطبعة لجنة البيان العربي ، ط ١ (القاهرة ، ١٩٥٧)
- هاشم ياغي : حركة النقد الأدبي في فلسطين • معهد الدراسات والبحوث العربية ، ط ١ (القاهرة ، ١٩٧٣)
- ياسين عرفه الدمشقي : ديوان الثورة السورية • المطبعة العربية ، ط ١ (القاهرة ، ١٩٢٦)
- يعقوب العودات : البدوي الملثم - الغواني في شعر ابراهيم طوقان - دار نجاتي للطباعة والنشر ، ط ١ (بيروت ، ١٩٥٧)
- يعقوب العودات : عرار شاعر الأردن • المطبعة الوطنية ، ط ١ (عمان ، ١٩٥٨)
- يعقوب العودات : ابراهيم طوقان - وطنياته ووجدانياته - ط ١ (بيروت ، ١٩٦٠)
- يعقوب العودات : من أعلام الفكر والأدب في فلسطين • جمعية المطابع التعاونية ، ط ١ (عمان ، ١٩٧٦)

المراجع الأجنبيــة

* Bushnaq A.A. <u>An Anthology of Eng</u>, Verse-Greek Government Press, Jerusalem, 1956.

* Tibawi A.L. <u>Arab Education In Mandatory Palestine</u>, London, W.C.I. 1956.

* Sayegh Fayez A. <u>Zionist Colonialism in Pal</u>, Beirut, 1965.

فهـــرســت الموضــوعـات

****
****
*****
***

استدراك

١- سقط أثناء الطباعة ترقيم التوثيق رقم ١ فوق كلمه «العربيين» في السطر ٤ وكذلك في السطر ٩ من الصفحة نفسها سقط الرقم ٢ فوق عبارة «من مجموع السكان».

٢- سقط أثناء الطباعه توثيق التذييل رقم ١ في السطر الثاني من الصفحة ٤٢ نثبته فيما يلي: (١) شهادة سماعية للمحامي الأستاذ أحمد الخليل بعمان بتاريخ ٢٤/٦/٧٦، ومن المحامي ورئيس لجنة اليتيم العربي الأستاذ محمد البرادعي العباسي في عمان بتاريخ ٢/٧/٧٧

٣- سقط سهوا وضع الرقم ٣ في السطر ١٩ صفحة ٣٠ فوق كلمة «بحيفا».

٤- ورد خطأ في صفحة ٤٩- توثيق التذييل رقم ٣ المصدر على أنه ٩- من فلسطين ريشتي صفحة ١٥ والصواب - المشرد - صفحة ٣٧

٥- ورد خطأ في توثيق التذييل رقم ١ صفحة ١٥٥ أن المصدر من صفحة ٩٢-٩٣ والصواب صفحة ١٢٣ - ١٢٤

٦- انعكس اثناء الطباعة ترتيب التذييل رقم ٢ ورقم ٣ صفحه ١٦٥ إذ تقدم التذييل رقم ٣ على التذييل رقم ٢ والعكس صحيح.

تصويبات

تسربت الأخطاء التاليه اثناء الطبع بالرغم من شدة الاحتراس، ثبتها في الجدول الآتي:

الخطأ	الصواب	الصفحه	السطر
ص ١٧	ص ٤٧	٦	٢٢ تذييل ١
حديد المقلم	الحديد المثلم	٢٦	١٥
يحسن	يجن	٢٧	٥
سود الفضاء	اسود الفضاء	٢٨	٤
لمعروفة ثورة	المعروفة بثوره	٣٣	٢٠
شؤون فلسطين	شؤون فلسطينية	٣٣	تذييل ١
احس معه الألم	احس معه بالألم	٤٠	٢٠
طريق العمر	طرق العمر	٧١	١٨
الفيايا	القضايا	٨٦	٢٠
تتعرف اليها	تنصرف اليها	١٠٣	١٤
وهم أبد	وهم أبداً	١٣٨	٦
في مجلة المعرض	وفي مجلة المعرض	١٦٠	٥
سواء في فلسطين أم	سواء أفي فلسطين أم	١٦٢	٤
لم يرحم	لم يوحم	١٦٤	٧
اشداء الفوائد	اشداء النواصد	١٦٤	١١
نهم أحياء في أشعارهم أغانيهم	فهما حيان في اشعارهما وأغانيهما	١٦٨	٥